

أقرب الساعة

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة
محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة
1426 هـ / 2005 م

يسر المؤلف أن يتلقى آراءكم وملاحظاتكم حول الكتاب على العناوين التالية

هاتف: + 963 33 820110
فاكس: + 963 33 820110
خليوي: + 963 94 636632

بريد إلكتروني: [E-mail:alrayatasoud@mail.sy](mailto:alrayatasoud@mail.sy)



يطلب من دار قتيبة: للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا: ص.ب: 13414
هاتف: + 963 11 2242430
فاكس: + 963 11 2451036

E-mail: dar@kotaiba.com

بيروت - لبنان: ص.ب: 14/6364
خليوي: + 961 3814833
فاكس: + 961 1377171

www.kotaiba.com

أقرب الساعه

بوادر ظهور المهدي ونزول السيد المسيح عليهما السلام
وسيناريو الأحداث المستقبلية في ضوء الأحاديث النبوية
من الآن إلى قيام الساعة

طبعة مزيّدة ومنقحة

أسامة يوسف رحمة



تنويه (٢)

كل ما يتضمنه الكتاب من رؤى وإسقاطاتٍ على مجريات العصر، من خلال محاولة فهم بعض الآيات القرآنية واستقراء عددٍ من الأحاديث النبوية، تعتبر رؤىً مستقبلية ومن وجهة نظر إسلامية للمؤلف، في تحليله للواقع وما قد يؤول إليه الوضع العالمي في المستقبل. ولا تمثل تلك الإسقاطات والرؤى - بالضرورة - وجهة النظر العامة لجوهر الإسلام أو العلماء، بل هي نظرة اجتهادية للمؤلف غير ملزمة، فإن أخطأ فعليه خطؤه، وإن أصاب فيها ونعمت، ونسأله تعالى أن ينفع الأمة بذلك، وأن يقيها شر الفتن، ويؤتيها الظفر بالملاحم. . إنه خير مسؤول وأكرم مأمول.

المؤلف

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا
الْحَقُّ ، أَلَّا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ
لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

صدق الله العظيم

[الشورى الآية : ١٨]

إهداء

إلى من كان جاداً في البحث عن الله فتوصل إليه، وهو سعيدٌ
بالوصول والسكون إليه.. إلى من كان جاداً في البحث عن الله،
ولم يتوصل إليه، وما يزال جاداً في البحث عنه..

إهداء الطبعة الثانية

إلى كلِّ حاكمٍ عربيٍّ غيورٍ يأبى أن يحنى الرأس...
ويقول لأريكا: لا!.

إلى كلِّ عربيٍّ ومسلمٍ لم - ولن - يأسُ بعدُ.
إلى من ألقى برداء الركون إلى الدنيا فشمّر عن ساعديه...
وهرول إلى ساحات العمل.

المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	١٧
صحوة واستفتاح	٢٩
الساعة (لغة واصطلاحا)	٣٣
مدخل وبيان	٣٩
أمارات ما بعد عصر الرسول ﷺ	
المعجزة في حديث الرسول ﷺ	٤٧
تولي عثمان الخلافة	٤٨
الحوأب وموقعة الجمل	٤٩
قاصمة صفين	٥٠
تولي معاوية الملك	٥٠
تطريد أهل البيت وتشريدهم	٥١
دولة بني العباس	٥١
فتح المدائن والأمصار	٥٢
عصر الأمارات الصغرى	
التفاخر بالمساجد	٥٧
التطاول في البنيان	٥٧
تقارب الزمان	٥٨
كثرة الزلازل	٥٩
كثرة الهرج	٥٩
كثرة الزنا	٦٠

- ٦١ كثرة الخمر
- ٦٢ الكاسيات العاريات
- ٦٥ توظيف المرأة وعملها بالتجارة
- ٦٨ ائتمان الخائن وتخوين الأمين
- ٦٨ تولي لكع بن لكع
- ٦٩ الحظر المفروض على أهل العراق
- ٧١ تداعي الأمم على الأمة الإسلامية
- عصر الإنجازات العلمية والاكتشافات
- ٨٣ القرآن المعجزة الخالدة والمتجددة
- ٩٣ الإعجاز العلمي في القرآن
- ١٠٩ الإعجاز العلمي في السنة
- ١١٧ أحداث الحادي عشر من أيلول
- عصر المهدي عليه السلام
- ١٢٩ من هم أهل البيت؟
- ١٣٣ المهدي (نعتة ونسبه)
- ١٣٧ أحداث تمهيدية للظهور
- ١٤٧ خراسان والرايات السود
- ١٥٤ الملحمة الكبرى
- ١٦٢ فتح رومية
- ١٦٤ عليك بالشام
- ١٦٧ أيامه الأخيرة عليه السلام
- عصر الإمارات الكبرى
- ١٧٥ خروج الدجال
- ١٧٧ دجاجة قبل الدجال
- ١٨٢ الدجال (نعتة ونسبه)
- ١٨٧ أتباع الدجال
- ١٩٥ أعداء الدجال

١٩٨	جهد يسبق الدجال
٢٠٥	فتن الدجال
٢١٣	العصمة من الدجال
٢١٦	هلاك الدجال
	نزول السيد المسيح ﷺ
٢٢٥	المسيح في ميزان الشريعة المحمدية
٢٣٠	نزوله عليه السلام من السماء
	خروج يأجوج ومأجوج
٢٣٩	سيرتهم الذاتية
٢٤٤	إفسادهم في الأرض
	طلوع الشمس من مغربها
٢٥٣	طلوع الشمس من مغربها
٢٥٧	طلوع الشمس وانشقاق القمر
	بقية الإمارات الكبرى
٢٦٧	خروج الدابة
٢٧١	ثلاثة خسوف
٢٧٥	الدخان
٢٧٧	نار من قعره عدن
	في الطريق إلى الآخرة
٢٨٣	ذلك ما كنت منه تحيد
٢٨٧	نفخة الصور الأولى وقيام الساعة
	عصر الدار الآخرة
٢٩٣	الموقف
٣٠٠	الشفاعة
٣٠٣	الحساب
٣٠٨	تطير الكتب
٣١٠	الميزان

٣١٥ الحوض
٣١٩ الصراط
٣٢٣ عند جهينة الخبر اليقين
 عصر الخلود
٣٣١ الجحيم
٣٣٧ النعيم
٣٤٢ الحور العين
٣٥٠ هل عرفت أين المقر؟
٣٥٧ خاتمة
٣٦٩ كلمة شكر



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي بعزته نصر نبيه وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده..
الحمد لله الذي بقوته قهر الفراعنة وقصم الجبابرة، وأذل الأنظمة
الديكتاتورية الغاشمة.. الحمد لله الذي بعلوه يعلو الحق على الباطل،
والمؤمن على الكافر، وما ينفع الناس من الطيبات على ما يسيئهم من
الخبائث.. الحمد لله على رسوله الهادي محمد ﷺ تسليماً كثيراً.. وبعد:

لم يمض أكثر من ثلاثة وعشرين يوماً على إصدار الألف نسخة الأولى
من الطبعة الأولى حتى تمّ نفاذها من الأسواق، ولم تمض بضعة أيام
أخرى على إصدار الألف الثانية، حتى تم إقرار كتاب صادر عن وزارة
الإعلام السورية يحظر تداوله في الأسواق. وما هو قد مضى أكثر من حول
على إصدار كتاب الحظر، ولا زالت التدايعات مستمرة وإلى أجل غير
مسمى، بسبب تلك الاحتجاجات الغاضبة على بعض ما نشر في الطبعة
الأولى، من عبارات كان قد أسيء تأويل البعض منها تارة، واستخدم
البعض الآخر لحاجة في نفوس بعض الوصوليين تارة أخرى.

وبينما كان في نيتي تسليط الضوء على مجريات تلك الأحداث في
مقدمة هذه الطبعة الجديدة تلبية لرغبة البعض من جهة، ورغبتني من جهة
أخرى في توعية البقية الباقية من أبناء هذا الوطن، للخروج من هذه الغفلة
التي مازالوا يرقدون تحت فيئها، وإصرارهم على الانعزالية والانكماش
على الذات، وفرض إيديولوجية على الجماعة قد لا تتناسب ومعطيات

القرن الجديد، ومع دخولنا عصر العولمة، وبتحميل هذه الجماعة لأفراد من بني البشر - يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ويتزوجون، أو قد يطلقون النساء - من صفاتٍ لا تكون حتى للأنبياء!.

وبينما كنت في زيارة خاصة لأحد كبار جنرالات هذا البلد، وعلى الرغم من تباين الانتماء العقائدي والإيديولوجي بيني وبينه، إلا أنه كان من أشد المنتقدين لتلك الهجمة الشرسة عليّ، ومن أكثر الناس مؤازرةً لي في محنتي تلك!. فكان من الطبيعي جداً ووفاءً لهذا الجنرال بأن أستشيريه وأطلععه على كل ما يجول في خاطري، ولا سيما فيما يتعلق بمشاريعي الثقافية وما قد يستجد من تطورات بيني وبين تلك الجماعة. . ولذا قمت - في تلك الزيارة - بإطلاع على ما كنت أود طرحه في مقدمة الطبعة الثانية، فأشار عليّ بأن لا أستغلّ تلك الأحداث التي وقعت؛ لكسب مزيد من الشهرة، والإثارة^(١)؛ للنيل من خصومي الذين ربما يصيرون من رفقاء المستقبل.. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الوضع الداخلي للبلد خاصةً، وللمنطقة عامةً يستوجب علينا أن نتحمل المسؤولية أكثر من ذي قبل؛ لإخماد كل ما من شأنه أن يوقد نار الفتنة من جديد.

هكذا كان رد الجنرال السابق وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على درجة الثقافة التي يتبوؤها، إذ ما من شك في أن شهادة الثقافة التي يحظى بها المرء، هي تظل أسمى من جميع الشهادات والأوسمة، التي يمكن أن يستحوذ عليها أيّ إنسان حر عاقل على وجه الأرض!. وأخذاً برأي هذا الجنرال المثقف، وبالحكمة المعروفة: (ما خاب من استخار، وما ندم من استشار)، فسأعرج مباشرةً على زوايا أخرى فيما يخص موضوع الكتاب، وما جال في هذه الطبعة الجديدة من تعديل

(١) حسب رأي الجنرال طبعاً، وإلا؛ فإن الحرص على الولاية وحب الشهرة، من البداهة لا يتفق وشغف الداعي بالدعوة إلى الحق جل جلاله.

وإضافات.. فأسأله تعالى أن يشرح صدورنا لقبول الحق، وأن يعزنا بعزة الإسلام.. إنه سميع مجيب الدعاء.

وأهم تلك التعديلات التي طرأت على الطبعة الأولى، هو أنني قد جزأت الكتاب إلى موضوعين؛ أما الأول فظل تحت عنوانه الأسبق (اقتربت الساعة). وأما الثاني فسيحمل عنوان الباب الذي تم حذفه بالكامل من الطبعة الأولى ألا وهو: (الرياضيات تثبت وجود الخالق). كما سأقوم - بإذن الله - بإضافة نظرية أخرى جديدة إليه تؤكد فوز المؤمن، وخذلان الكافر بعد الممات.. وتستقي هذه النظرية البرهان بطريقة الاستدلال المنطقي.. ولله الحمد في الأولى، والآخرة.

أما بالنسبة لبقية المواضيع فقد أبقيت النصوص على حالها مع التنقيح، وإعادة سبك العبارات مرة أخرى ومن دون حذف، أو تبديل للفكرة.. وفي حال التعليق على بعض الفقرات أو إضافة شيء إليها، فقد حرصت - قدر استطاعتي - أن تكون تلك الإضافات في الهامش السفلي للصفحة، ما عدا المقدمة في فصل (هل عرفت أين المقر؟) إذ اضطررت إلى تبديلها نظراً لخطأ وقعت فيه من حيث لا أدري، وجزى الله خيراً كل من أرشدني إليه.. ووقعت في هذا الخطأ عندما بدأت المقدمة بمقارنة متعة الحور العين ببقية المتع الأخرى في الجنة، وذكرت بأن رؤية الخالق جل جلاله، هي أقوى من كل المتع الأخرى في الجنة حتى وإن كنّ الحور العين.. فأستغفره ربي من ذلك، وأسأله تعالى أن لا يؤاخذني بما نسيت وأخطأت، إنه غفور رحيم..

وتصويباً للخطأ، فإنه لا يجوز لنا أن نقرن رؤية الباري جلّ جلاله والنظر إلى وجهه الكريم، ببقية المتع الأخرى في الجنة مهما كانت درجتها، لأن رؤية الباري عز وجل ستظل بالنسبة للمؤمن المرتجى الأول والأخير في الدار الآخرة. فنسأله تعالى يوم القيامة أن يمن علينا بالنظر إلى وجهه الكريم، وبالرضا الذي لا سخط بعده..

كما أنني استعضت عن بعض البنود في الخاتمة، بينود رأيت من الأهمية
بمكان التذكير بها في خاتمة الكتاب، وتتضمن موجزاً سريعاً لأهم النصائح
التي نصح بها النبي ﷺ أمته؛ للأخذ بها عند ظهور السيد المهدي عليه السلام.

ونظراً لكثرة الجدل والانتقادات التي نجمت عن طرحي لبعض
المواضيع، وخاصةً فيما يعنى بشخصية المهدي عليه السلام، حتى أخذ
البعض - بعلم أو بغير علم - ينفي أصلاً ظهور مثل هذه الشخصية في
المستقبل، كما وينفي ثبوت أحاديث صحيحة للنبي عليه الصلاة والسلام
حول هذه الشخصية! لذا قمت من جديد بتخريج تلك الأحاديث مع
الإشارة إلى درجة كل منها، وإن كان البعض ضعيف السند إلا أن أكثرها
كان صحيحاً أيضاً. ناهيك عن أن الحديث الضعيف يجب أن نفرق بينه
وبين الحديث الموضوع، ولا يعني كونه ضعيفاً أن نتجاهله أو نغض عنه
النظر تماماً. وقد ذكر جمهور العلماء: أن الحديث الضعيف يجوز
الاستئناس به في حالٍ عدم شدة ضعفه^(١).

(١) لا أدري لماذا ثارت فجأة حفيظة بعض الأخوة لإيرادي بعض الأحاديث الضعيفة من
جهة، وإسقاط البعض منها على مجريات العصر من جهة أخرى، وكذلك الأمر بالنسبة
لإسقاط عددٍ من الآيات القرآنية على بعض الاكتشافات العلمية التي تم اكتشافها في
العصر الحديث. علماً بأن معظم تلك الأحاديث كنت قد استندت إليها من مراجع ربما
يقنتيها أغلب الثائرين عليّ، فمنها مثلاً كتاب (التذكرة) للقرطبي، الذي لم نسمع حتى
الآن من انتقده لاحتوائه على بعض الأحاديث الضعيفة، وكذلك الأمر بالنسبة لفضيلة
الدكتور زغلول النجار، وفضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني - الرائد في هذا العصر
في استنباط الإعجازات العلمية من القرآن والسنة بعد إسقاطهما على حوادث العصر -
لم نسمع حتى الآن من توجه إليهما بانتقاداته اللاذعة بسبب هذا الأمر! رغم أن جل ما
استجمعه من إعجازات علمية في القرآن والسنة قد سبقني إليه عدد من العلماء، ومنهم
الشيخان الفاضلان: زغلول النجار وعبد المجيد الزنداني، فما مبرر كل هذه الثورة
على طالب علم مثلي! في حين أن مثل هذه الثورة يجب أن توجه إلى علماء الأمة في
حال تجاوز أحدهم الخطوط الحمراء عند إبدائه الرأي أو الفتيا؛ لأنه - وكما نعلم - زلة
العالم بزلة ألف عابده.. أليس كذلك؟!.

وإن ما يتمخض من تقلبات سياسية في المنطقة وأخرى عسكرية، على الساحة الدولية، مما ينبئ - في المستقبل القريب - بوقوع أحداث هامة وخطيرة للغاية كانت قد أشارت إليها بعض الأحاديث النبوية، مما قد يضاعف من احتمال وقوع ما في بعض الأحاديث، ولا يزيد من درجتها حتى وإن وقعت أحداثها كما وردت في نص الرواية بالضبط^(١).

ولعل السبب الرئيس الذي دفع بتابعي التابعين إلى تضعيف سند أغلب الأحاديث التي تخص ظهور المهدي عليه السلام، أو الرايات السود، هو انتحال شخصيتهم من قبل رايات السفاح أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس سنة ١٣٢ هـ، حينما قدمت راياته من خراسان فقضت على دولة بني أمية، وقامت على أنقاضها الدولة العباسية. أضف إلى ذلك الخوف من انتحال شخصية المهدي عليه السلام من قبل رجال منافقين ودجاجلة، كما حدث ويحدث كل فترة، من بعد وفاة الرسول ﷺ وإلى يومنا هذا.

ولا شك أن السؤال المحير لدى الكثيرين من أبناء الأمة، هو: كيف سنفرق ونعرف بأن الذي ظهر هو المهدي عليه السلام بالفعل! وبين من يدعي ذلك ويكذب على الناس؟

وجواباً على ذلك أذكر بادئ ذي بدء بقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأنفال: ٦٣]. واستنباطاً من هذه الآية الكريمة فقد عرفنا تعالى بعضنا ببعض، دون أن يشاهد الواحد منا أو يعرف الآخر باسمه، أو حسبه ونسبه. وإذا قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

(١) لأن الحديث الشريف ضبطت درجته على أسس علمية، وفي حال تقوية درجة الحديث الضعيف إلى صحيح - بعدما تكون أحداثه قد وقعت - ستتأثر به كافة الأحاديث الأخرى التي تتطابق معه في السند، كما أن وقوع ما في حديث ضعيف لا يلزم منه وقوع ما في حديث ضعيف آخر متفقان بالسند.

فيمكن أن نستدل من فحوى الآيتين السابقتين، على أن معرفة شخص المهدي عليه السلام منوط باعتراف الأئمة قبل العامة فيه، وإقرار أهل العلم منا حصراً أهل السنة والجماعة به، وليس باعتراف علماء غيرنا مهما أظهروا ولاءهم لآل البيت^(١).. نعم؛ ربما ينتاب أحدهم، ومن انتهج

(١) أرجو أن لا يؤول كلامي هذا كما فعل ذلك بعض السذج بالثقافة الإسلامية وبعدما تم إصدار الطبعة الأولى، مما دفع عشرين محامياً منهم إلى رفع دعوى إلى القضاء، تتهمني بأقوال ترمي إلى إيقاظ النعرات الطائفية والمذهبية.. وما تلك إلا شماعة ترفعها بعض أقليات المجتمع كلما رصدت تحت يدها كتاباً يتضح من خلاله الاتجاه المعاكس لمسار الحق لدى فكرها وثقافتها، التي كلما برزت على سطح نسيج الأمة الإسلامية سرعان ما تندمل تلك الثقافات، أو تعود إلى رشدتها وسوادها الأعظم، وتفتني، إلى أن يأذن الله ببروزها إلى السطح من جديد وتحت غطاء إيديولوجي جديد أيضاً. ولا ندري لماذا لم نسمع حتى الآن من توجه بمثل هذه التهم - كإثارة النعرات الطائفية وإضعاف الشعور القومي - لأحد كائناً من كان، ومن قبل أي كان ممن ينتمي إلى إحدى التيارات الإسلامية، وحتى التي تتهم منها بالتطرف والتشدد من أهل السنة والجماعة، أفراداً كانوا أم جماعات، وسواء كانوا أقليات أم سواداً أعظم.. وكل ما في الأمر أنه وفي حال تم رصد كتاب كان قد تجاوز فيه كاتبه الخطوط الحمراء، في إدلائه الرأي والنقد للآخر، قد تطالب تلك الفئات الناضجة عقائدياً بمنع تداوله وتكل الأمر إلى ولاته؛ لتقييم الوضع ومن ثم اتخاذ الإجراء المناسب، أو ترد عليه بمنتج ثقافي آخر. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على درجة الثقة ونقاء العقيدة، وصحة المنهج بكل أصوله وفروعه لدى السواد الأعظم من المسلمين الممثل بأهل السنة والجماعة. ولرب ضارة نافعة أيضاً، إذ إن ما حصل كان قد كشف القناع من أمامنا عن مصطلح (النعرة الطائفية) الذي خدعت به الأمة ومنذ عقود، بعدما اتضح أنه مصطلح مفتعل حديثاً ومن قبل بعض الأقليات؛ لكي تحمي نفسها من شدة لمعان الحق أولاً الذي ما إن يفسح له المجال حتى يكاد يذهب بباطلهم. وثانياً لتقي فكر عقيدتها شر الفضيحة حينما يعرض على كتاب الله، وسنة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام. وكم هو من المؤسف جداً أن تنطلي مثل تلك المصطلحات على علماء، وصحفيين بارزين إعلامياً، وفاتهم بأنه يجب التفريق بين ما يحدث في العراق مثلاً من محاولة اغتيال أئمة من أهل السنة وأهل الشيعة في آن واحد؛ لإيقاع بينهم الفتنة ولكي ينشغلوا ببعضهم البعض عن مقاومة الاحتلال، وإصلاح البلاد، وبين من يجهر بلسانه وقلمه فيحاول أن يبين للناس الحق من الباطل، وحتى إذا ما دفع حياته أو رغد العيش ثمناً =

نهجهم الخوف من بعض الفتاوى، أو قد يسايس بعض الأنظمة الدكتاتورية للتقية، وتخفيف وطأة الظلم عن الرعية والمعتقلين من أبناء المسلمين، الذين ما زالوا ومنذ عقود في غيابات السجون والمعتقلات.. إلا أن هذا الخوف مهما بلغ مبلغه لا يدفع بأحدهم لأن يكذب على الخلق أو الأمة، ومن ثم يصرح بظهور المهدي عليه السلام، ما لم يكن متيقناً من ذلك تمام اليقين.

كما ينبغي على عامة المسلمين قبل مبايعتهم لشخص المهدي عليه السلام، التيقن من إجماع الأئمة وعلماء المسلمين عليه من أهل السنة والجماعة، ولا يكفي تصريح واحدٍ منهم أو آحاد.. إذ روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله مع الجماعة»^(١) وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث..

وإنني في الوقت نفسه لأستغرب كيف أن أكثر المنتقدين لأطروحاتي

= لذلك، ترى الذين في قلوبهم مرض يقولون: (ألقى نفسه في التهلكة) في حين أن التهلكة هي الحرص على الدنيا والإقامة على الأموال لإصلاحها وترك الجهاد، إذ هي التهلكة بعينها.. وربما كان له حظٌّ وافرٌ في أن يتال شهادة كأعظم شهادة حينما يقتدي بذلك الرجل الذي اخترق كل أجهزة أمن ومسالح الدجال؛ ليصل إليه وينطق أمامه بكلمة الحق ويقول له: أنت الأعور الدجال! فهل من اللباقة في المنطق أن يتهم مثل هذا الرجل بأنه يثير نكرة طائفية! في حين أن رسول الله ﷺ كان قد نعت في الحديث الصحيح، بأن شهادته أعظم شهادة في ذلك العصر!. وهل يا ترى حينما يقدم شاب مثلي على أن يبين للناس الحق والباطل، ويقول لهم هذا هو صراط الله المستقيم وذلك هو الباطل (فمن تبعه كان من أتباع الدجال)! ومن تاب وأتاب فقد أفلح ونجح. إذاً؛ أليست أيضاً تلك من السذاجة بمكان حينما يتهم مثل هذا الشاب بأنه يثير نكرة طائفية، أو مذهبية!. والمدهش في الأمر، أن أمثال هؤلاء يحققون دائماً على أنفسهم وبأنفسهم قول الله تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]. ولذا أرجو من كلامي هذا كله أن لا يؤول على أنني أوجه اتهاماً غير مباشر إلى بقية علماء الفرق الإسلامية، بأنهم قد يكذبون على الحق عز وجل أو على الخلق، ولكن لكل مصادره ومرجعياته.

(١) الترمذي (ج ٤/٤٦٦) (ح ٢١٦٧) حديث صحيح.

تلك كانوا من أهل العلم والفقہ والحديث، حتى أصبح لدى البعض منهم التكهّن في هذا العصر بظهور السيد المهدي عليه السلام، أو خروج الدجال، من السذاجة بمكان ولا يزيد الأمة إلا مزيداً من التقهقر والانهيار الثقافي والحضاري! ولا يدرون أنهم بهذا الاعتقاد يجعلون أنفسهم أكثر حضارة وثقافة من رسول الله ﷺ الذي كان يتوقع ظهور الدجال في عصره، بل وأكثر من ذلك كان يخشى أن يكون ابن صياد هو الدجال نفسه، كما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حينما أراد قتل ابن صياد فقال له النبي ﷺ: «إن يكن حقاً فلن تسلط عليه، وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله»^(١). قال عبد الرزاق: يعني الدجال. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

لهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون أبناءهم تلك الأحاديث، ويتباكون لذكرها مغبة أن يدركهم ذلك، وسار على نهجهم السلف الصالح. ففي حديث رواه ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب فيهم خطبةً كان جلّها عن فتنة المسيح الدجال، فروى الحديث بطوله ثم ذكر أن أبا عبد الله قال: سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول: سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول: (ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدّب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب)^(٢)!

أقولها - وبكل أسى - لقد انطلت على جلّ علمائنا اليوم مصطلحات ومفاهيم الماديين والعلمانيين، ونسوا قبل كل شيء بأننا غيبون، ولسنا علمانيين كي لا نصدق بالمهدي عليه السلام، أو الدجال، إلا بعدما تراهم أعيننا رأي العين أو ما يثبتته لنا العلم التجريبي! فلماذا إذاً كل هذا الاندلاق في أحضان الثقافة المادية، ومفاهيم العلمانيين إذا كنا نعلم علم

(١) الترمذي (ج ٤/٥١٩) (ح ٢٢٤٩).

(٢) ابن ماجه عقب الحديث (ج ٢/١٣٦٢) (ح ٤٠٧٧).

اليقين، بأنه لن ترضى عنا اليهود ولا النصارى ولا العلمانيون، حتى نتبع الهوى في كل شيء، وقبل كل شيء في العقيدة.

ثم ما ضير التبشير بقرب ظهور المهدي عليه السلام إذا كانت معظم الأحاديث التي ورد فيها ذكر المهدي، أو الرايات السود، تكاد الظروف الدولية والإقليمية تمهد لظهورهما بالفعل!. فضلاً عن أن جلّ الأحاديث التي تخص ظهور المهدي عليه السلام تتضمن نصائح للأمة والرايات السود، يجب الأخذ بها قبل العلم بظهوره عليه السلام. فهل الحكمة تقتضي منا أن نبقي تلك الأحاديث مطوية ضمن الكتب وعلى الرفوف، ولا تفتح إلا بعدما يظهر المهدي، أو يخرج الدجال أذله الله.. وإلا ما فائدة تلك النصائح - حينها - والأحاديث؟ إذا كنا نحن المسلمين نؤمن ونعتقد بأن نبينا ﷺ لا يتحدث بحديث إلا ويكون في غاية الأهمية، وتجب علينا مدارسته والتأهب لوقوعه في كل زمان ومكان، ما لم يكن في نص الحديث تحديد للزمان والمكان.

ثم إن هذا الانهيار الحضاري المتسارع في الأمة بكل أشكاله: الثقافي والتكنولوجي والجيوسياسي.. والذي لم يعد معه أي بصيص للأمل في إعادة هذه الأمة إلى وضعها الطبيعي، إن لم نقل إلى مركزها الاستراتيجي في قيادة العالم، عوضاً عن دولة الشر والإرهاب العالمي، الولايات المتحدة الأمريكية، كما يعترف بذلك معظم المفكرين والخبراء أنفسهم، ومن قبلهم علماء الدين أيضاً.

..يقصف الشيخ الشهيد أحمد ياسين - المقعد جسدياً، والرجل الأبرز في هذا العصر لصوت الحق والمقاومة - بالطائرات، وقبل مضي شهر واحد يتم استهداف الشهيد البطل عبد العزيز الرنتيسي.. ولم تستطع حتى الآن كل القوى الحية أن تفعل شيئاً رداً على هذا الكيان الصهيوني، وانتقاماً لدماء هذين البطلين^(١)!..

(١) القوى الحية: هي التي لا تزال في ميدان المعركة، أو المواجهة المسلحة مع الكيان الصهيوني وحليفه الولايات المتحدة الأمريكية. أما القوى الميتة: فتمثلها تلك =

.. تلاشت كل الآمال مع انعدام الثقة بالأنظمة الموجودة للخروج من هذا الواقع المرير للأمة.. وإذا ما أقدم شاب غيور على دينه وأمه - ويا لها من نعمة تجزى - على أن يبشر بانبعث رجل كالمهدي عليه السلام سيعيد لهذه الأمة مجدها وعزتها، وبالتالي ليغرس هذا الفتى الأمل من جديد في نفوس أبناء أمته، تراهم على الفور ومن بينهم - ومع كل أسف - علماء وأساتذة إسلاميون يحملونه وأمثاله، وزر هذه الأمة وما آلت إليه. بل ويا للأسى حينما يظهر أحدهم على شاشة إحدى المحطات الفضائية العربية الرائدة في الإعلام؛ ليفصح عن رأيه ويتحدث بكل هفات أن كل من يحاول أن يروج لمثل تلك الأمور، وراءه جهات خارجية أو معادية!.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن! هل سيدنا محمد ﷺ كان أيضاً وراء جهات خارجية ومعادية، حينما بشرنا بظهور السيد المهدي عليه السلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، قائلاً: «أبشركم بالمهدي! يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويملاؤه الله قلوب أمة محمد غنى فلا يحتاج أحد إلى أحد..» (ثم قال): «فيمكث سبع سنين، أو ثمان سنين، أو تسع سنين، ثم لا خير في الحياة، أو في العيش بعده»^(١).

= الأنظمة العربية والإسلامية التي لا تزال في حالة الجبن السفهية تارة، والتخاذلي تارة أخرى، ولا تتجرأ على أن تتخذ موقفاً جريئاً ومشرفاً لكرامتها - لا لكرامة الشعوب - ضد جرائم الاحتلال، سواء في فلسطين أم في العراق، ما لم يأذن لها بوش!. لأن الشعوب العربية والإسلامية كانت - بالأمس - في الجنوب اللبناني، ولا زالت - اليوم - في الفلوجة وغزة وجنين، تثبت للعالم أن كرامتها لا يمكن أن يمحوها جور جائر، ولا عدل عادل، وإنما الأنظمة هي التي قد تفقد كرامتها بالكلية، أو لا تفقدها!.

(١) مسند أحمد (ج ٣/٥٢) (ح ١١٤٨٤). قال الهيثمي في المجمع (ج ٧/٣١٤): رواه الترمذي وغيره باختصار كثير. وقال: رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات.

ولعل قائلاً يقول: فليكن غيرك من يبشر بالمهدي عليه السلام، من رجال الدين وأهل العلم والفقهاء.. أما وبما أنك ما دمت شاباً في مقتبل العمر، فأنتى لك من علمهم وسنهم، كي تبشر برجل كالمهدي عليه السلام!؟

ولعلني رددت بطريقة غير مباشرة على هذا القول، وأذكر بما أشرت إليه آنفاً من أن رجال الدين، وأهل العلم والفقهاء، أصبح معظمهم في هذا العصر يترفعون قليلاً عن الحديث في مثل هذه الأمور.. أم تريداهم أن يضعوا أنفسهم في موقف قد يهزأ بهم العلمانيون.. ويضحك من أطروحاتهم بعض المثقفين!..

..

واستطراداً لكل ما تقدم، يراودني قول أحد الفلاسفة: إن لم يكن هنالك إله لهذا الكون، فعلياً أن نفترض إلهاً كي نعبداه! لا لشيء؛ إلا ليححر العقول من عبادة المادة والعباد، إلى ما هو أسمى من عبادة العباد والمادة. واستيراداً من هذا المبدأ، أقول: إن لم تكن هناك شخصية مستقبلية كالمهدي عليه السلام سينقذ الأمة ويعيد سيرتها الأولى، فينبغي علينا أن نصطنع هذه الشخصية في أذهاننا، لا لشيء، ولكن.. ليبقى الأمل موجوداً.



أسامة يوسف رحمة

٢٨ ربيع الثاني/ ١٤٢٥ هـ

١٦ حزيران/ ٢٠٠٤ م

صحوة واستفتاح

الحمد لله الذي إذا حمد شكر، وإذا استغفر غفر، وإذا استعطي أعطى..
لا إله إلا هو سبحانه ظلمنا أنفسنا، فإن لم يغفر لنا ويرحمنا لنكونن من
الخاسرين.. وأصلي وأسلم على المبعوث هدىً ورحمةً للثقلين، محمد بن
عبد الله، هادي البشرية، ورسول الإنسانية، ومعلم أعظم قادة في التاريخ..
صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه الغر الميامين..

أما بعدُ:

فمنذ النشأة الأولى إلى أن بلغنا الحلم، وها هو ذا الشيب قد بدا على
رؤوسنا، وذكرى فلسطين لا تكاد تغيب عنا، فلا يكاد يمضي يومٌ دون أن
نسمع أن فيها قتلاً وتدميراً، وإذا ما قلنا: لماذا لا نرد الصاع صاعين
لصهيون وأمريكا؟ قالوا: وهل يجرؤ القطُّ على مصارعة الدبِّ؟! فالعين
بصيرة واليد قصيرة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ودارت الساعة، حتى كان الحادي عشر من أيلول.. فناطح الهرّ الدبّ
الأكبر، فكاد من قوة النطحة أن يرديه قتيلاً.. فلا تكاد تسمع في ذلك اليوم
ركزاً ولا همساً لأمریکا وإسرائيل..

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا
أَنَّهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

فما إن لملمت دولة الطغيان والعتو جراحها، واستعادت بعد النطحة
قواها، حتى كشرت عن أنيابها، فذعر العالم بأسره، ومن الدول حتى
أقواها، فاستخارت واختارت، من الأمم أضناها، فأمطرت عليها وابلًا

من القنابل، ونزراً من القمح للطعام، تلك هي حضارة الغرب! لا تعرف للرحمة درباً، ولا عنواناً..

﴿وَفَرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٠ - ١٤].

هنا أصبحت واحداً من أولئك الشباب المسلم، الذين باتوا يهدسون بقضايا أمتهم وتدمدم القهر والظلم على إخوانهم في الدين - ومن أقصى الأرض إلى أديانها - تحت قوة البغي الكبرى، وابتتها المدللة صهيون.. فهل حقيقة تلك أمة لا تقهر؟.

وبينما أقلب على حاسوبي المنزلي وأستعرض أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام.. وأقول في نفسي: لعل نبينا كان قد ذكر لنا شيئاً من هذه الأحداث التي بات يتفاقم شأنها في حياتنا. وأتساءل أيضاً: إننا وفي ظل هذا الواقع الخطير الذي تعيشه أمتنا اليوم، أليس هنالك من سبيل إلى خروج؟.. لأصل في النهاية إلى نتيجة وجواب هو أكبر من كل ذلك بكثير..

وجدت أن أمتنا - بالإضافة إلى أنها تعرف ماضيها وتدرک حاضرها - تمتاز بشيء ليس لغيرها من الأمم، هو أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان قد رسم لها مستقبلها بتفاصيله وعمومياته، بانتصاراته وانكساراته، بأصدقائه وأعدائه.. وهذا ما ستجده قارئ العزیز من خلال قراءة لهذا الكتاب، وستجد بأن المستقبل هو لنا والنصر قريب بإذن الله، وأن الغطرسة التي كان يظن أنها قوة لا تقهر، ستصبح عمّا قريب كالرماد.. وستذكرون ما أقول لكم..

وعندما بدأت بإعداد كتابي هذا، والذي اعتبره تطفلاً على الكتاب والأدباء، وتعدياً على الأئمة والعلماء، فأنا لست من أولئك، ولا من هؤلاء، فما زلت أتلمذ وأنهل مما يكتبونه من علوم وأدبيات، وإنما أقتدي بقول الرسول ﷺ - وأسأله تعالى أن لا يكون في ذلك نفاق أو

رياء - : «بلغوا عني ولو آية»^(١).

لذا فأنا لا أتقدم بكتابي هذا كي أستعرضه في أزياء الأدبيات، ولا في مزادٍ لفتاوى بعض العلماء، بل أتقدم به لقرائي الأعزاء كما يُسرُّ لي، وأمديني الله عز وجل من تواضعٍ في الفقه والنحويات، فإنما لكل امرئ ما نوى وإنما الأعمال بالنيات.

وعندما بدأت بجمع الكتب والمراجع العلمية والدينية؛ لأستعين بها على إنجاز هذا العمل، فكم كان يبتابني الأسى كلما وجدت على صفحة الغلاف عباراتٍ تحظر الاستعانة بالكتاب والاقْتباس منه، كأن يكتب أحدهم: (يمنع الاقتباس من هذا الكتاب، والترجمة.. إلخ) وإذا ما قرأت لأحدهم فقلماً تجد من لم يستعن بكتب غيره، ولو ببضعة صفحات على الأقل..

ولا أستهدف الجمع هنا، بل أقصد الذين يكتبون للإسلام ويهتفون بشعارات مفادها: أن من واجبهم نصره الحق والدعوة إلى دين الله، فتراه يكتب عباراتٍ مكلوءةً بالتقى والورع كأن يقول: (إن الله هداني لإنجاز هذا الكتاب).. أو يقول: (إنما أبتغي به وجه الله.. إلخ)، ثم يحذر في البداية من يستعين دون موافقة مسبقة ولو بعبارة واحدة من كتابه، ويدون عليه رقم الهاتف ليتاجر بالكلمات، فنرجو من تجار الكلمات أن يسعروها لنا؛ لأننا لا نستغرب غداً أن يقوم أحدهم بإقامة الحدِّ على من استعار من كتابه بضعة كليمات! أو يفرض في حقه أشد العقوبات!.

وفي حوار هاتفي مع أحد الكتاب قلت له: إننا في عصر أصبح فيه المرء بمقدوره الحصول على المعلومة التي يريدها، وبالسُرعة القصوى، عن طريق الإنترنت أو الأقراص الليزرية من التي تحتوي على العشرات، وربما المئات من الكتب والمراجع العلمية أو الدينية.. وبالتالي حينما تعلنون الحظر على مؤلفاتكم تلك، فإنكم قد تضاعفون المشقة فقط في

(١) صحيح البخاري (ج ٣/ ١٢٧٥) (ح ٣٤٦١).

البحث عن المعلومة التي لا بد أن يعثر عليها الكاتب، سواءً عاجلاً من مؤلفاتكم، أم آجلاً عن طريق الإنترنت والوسائل الأخرى لنقل المعلومات؛ كالأقراص الليزرية، وأشرطة الفيديو.. ومن ثم تفوتون على أنفسكم فرصة نيل مزيد من الأجر والثواب، والمساهمة في سرعة تبادل المعلومات التي باتت سمة العصر، ومن أهم الوسائل التي تسرع في تقدّم الأمم ونشر المبادئ والعقائد الدينية.. وكافة العلوم الإنسانية.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن طبع أي كتاب بكامله - أو بقسم مجتزئٍ منه - دون موافقةٍ مسبقةٍ من المؤلف، هو أمر غير مقبول شرعاً، ولا عرفاً، لِمَا قد ينجم عن ذلك من ضرر كبير يلحق بالمؤلف، أو بالدار التي ستقوم بطبع الكتاب ربما بنسخ قد تصل إلى عشرات الآلاف؛ ليصل الكتاب إلى أكبر عددٍ ممكن من القراء الأعزاء.. فالحكم الشرعي هنا أنه لا يجوز هذا الفعل عملاً بقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(١).. والله أعلم.

أما من يريد الاستعانة بأي موضوع من مواضيع هذا الكتاب فله الحق في ذلك، والأجر والثواب من الله تعالى، كما أدعو الله لي وله أن يتقبل أعمالنا هذه كلها، ويغفر لنا ما نقع فيه من زلات، وأن يكون فيما نقدّمه صحوّةً لقرائنا الأعزاء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

٧/ ربيع الآخر/ ١٤٢٣

١٧/ حزيران/ ٢٠٠٢

(١) ابن ماجه (ح ٢٣٤١) حديث حسن.

السّاعة (لغة واصطلاحاً)

السّاعة بمعناها اللغوي: هي الوقت الحاضر. وتطلق أيضاً على الزمن المحدد والقصير، فنقول مثلاً: ساعة من الظهر، أو ساعة من الوقت. ولهذا سمّيت تلك القطع والمصنوعات الإلكترونية التي تحدد الزمن بـ (الميكاتية أو الساعة)؛ لأنها تضبط الوقت بدقة، وفي كل لحظة.

أما السّاعة بمعناها الاصطلاحي: فهي اسم من أسماء يوم القيامة، وقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة، فمنها: (الصّاخة والحاقّة والطّامة والقارعة والواقعة والآزفة..). كما قال تعالى: ﴿أَزِفَتْ آآزِفَةٌ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْبَهُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٧ - ٦١].

وقد جيء في معناها عدة أقوال:

- قيل: لأنها تأتي في ساعة غفلة وبغته على الناس.
- وقيل: لأن الله تبارك وتعالى يقضي بين جميع الخلائق في ساعة واحدة.
- وأقول: بما أن الساعة تطلق على الزمن الذي يفصل ما بين وقت وآخر، فقيام الساعة يعني انتهاء الزمن.
- أما أشراتها فيقصد بها أن الساعة لا تقوم حتى تنقضي علاماتها التي

(١) سامدون: لاهون لاعبون. والسمود: اللهؤ.

أخبر عنها الرسول ﷺ في أحاديثه، والتي بلغت حدّ التواتر عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. منها ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوماً بارزاً للناس فأتاه جبريل فسأله عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، ثم سأله: متى الساعة؟ فأجابه عليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أسرارها: إذا ولدت الأمة ربّها^(١)، وإذا تناول رعاة الإبل البهم^(٢) في البنيان»^(٣).

ويطلق على أسرار الساعة أيضاً: (أمارات الساعة). أما الأمانة فهي: العلامة والموعود والعلم. فعندما نقول: أمارات الساعة، نعني بها أعلامها وعلاماتها، وهي مرادفة لكلمة (آية) حينما نقصد بها علامات الساعة أيضاً. فالآية بمعناها اللغوي: المعجزة والأعجوبة والعبرة والأمانة والعلامة. أما بالمعنى الاصطلاحي: فهي تطلق على أي الذكر الحكيم..

وتقسم أمارات الساعة إلى قسمين: الأمارات الكبرى، والأمارات الصغرى. أما الكبرى فسمّيت كذلك؛ لكون ما يحدث فيها إما خارق للعادة أو مذهل للناس. وأما الصغرى فهي كل نبوءة أو إخبار من رسول الله ﷺ وقع بعده، أو شوهد رأي العين وليس فيها من شيء خارق للعادة، وإنما قد تكون نتيجة للتطور العلمي والتكنولوجي، أو نتيجة لتطور المجتمعات الإنسانية من حال إلى حال.. ومثال ذلك ما رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يتناول الناس بالبنيان»^(٤).

(١) ربّها: سيدها.

(٢) الإبل البهم: السود؛ وهي أسوأ الإبل عند العرب.

(٣) صحيح البخاري (ج ١/٢٧) (ح ٥٠).

(٤) مسند الإمام أحمد (ج ٢/٥٣٠) (ح ١٠٨٥٨) حديث صحيح.

فهذه الميزة العصرية من تطاول الناس في البنيان لم تكن شيئاً مألوفاً في شبه الجزيرة العربية، في حين أصبحت في هذا الزمان شيئاً اعتيادياً وضرورياً لنمو الحياة البشرية، وفي الوقت نفسه كان هذا التطاول نتيجةً للتطور التقني في صناعة الآلات الضخمة ذوات الاستطاعات الكبيرة، وبالتالي فإن هذا التطاول في البنيان لا يثير الدهشة والذهول في عقول الناس كما لو وقعت إحدى أمارات الساعة الكبرى.

وقد وجهت لي بعض الملاحظات لاستعمالي بعض المصطلحات الأعجمية التي غالباً ما تستخدم في مجال الفن والرواية كـ (سيناريو - دراما - مسرحية.. إلخ) وفي الرد عليها أقول: كفانا أن نضيّق واسعاً، وساحة الإسلام الأدبية والعلمية تتسع لأكثر من ذلك، مادام الكاتب والأديب المسلم يبتغي من وراء هذا كله، إضفاء شيءٍ على مصنوعه الثقافي من عصريّة وإثارة (فكريّة كانت أم سياسية) بدلاً من أن تبقى تلك الساحة أمام هذه الأجيال الناشئة؛ ليعبث بها أولئك الذين ما انفكوا يثيرونهم بالفلسفات العلمانية، وبعض النظريات الديالكتيكية الضالة، والتي ستودي بأصحابها وأتباعها إلى غيابات الجحيم.

ولا يعني هذا أنني أستثمر جانب الإثارة والحدائث في الكلمة رغم بساطتها، لجذب الأفتدة والعقول بما أطرحة في هذا الكتاب من كل ما هو جديد، وذلك أن مواضيع الكتاب تدور في فلكها حول محورين رئيسين هما: الدين والسياسة (في الماضي، والحاضر، والمستقبل) وأستند فيهما على ثلاثة دعائم أساسية هي: القرآن، والسنة، وما وصل إليه العلم من حقائق علمية وكونية..

كما انتقدني البعض في إضافة كلمة (العصر) إلى مصطلح الدار الآخرة، وكذلك (عصر الخلود)، وحثتهم في ذلك أن كلمة العصر تطلق على فترات زمنية طويلة من الحياة الدنيا، ولا يعمم ذلك على حياة الدار الآخرة.. فماذا تعني كلمة العصر؟

جاء في القاموس المحيط، أن كلمة (عصر) تعني الدهر، والدهر هو الله عز وجل كما جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»^(١).

فإذا كان الله هو الدهر^(٢)، والله الباقي هو باقٍ سرمداً في الحياة الدنيا والآخرة، أفلا يحق لنا بعد هذا كله أن نطلق مصطلح العصر على حياة الدار الآخرة؟.. فكلمة يوم مثلاً التي هي من أهم خصائص الحياة الدنيا، نجد أن الله عز وجل كان قد أطلقها على أيامه السرمدية، التي تفوق إدراكنا لها في الحياة الدنيا وفي الدار الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

وفي سورة النبا جاء قول الله تعالى: ﴿لَبِثْنَا فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣].

فنجد أيضاً أن الله تبارك وتعالى أطلق على المدة التي سيقضيها أهل النار في النار بالأحقاب. والحقب - كما جاء في القاموس المحيط - يقدر بثمانين سنة، أو يزيد، ويأتي بمعنى الدهر أو السنة أو السنين.. فكلمة الحقب إذاً مرادفة لكلمة العصر.

وأخيراً وليس آخراً؛ فمن الانتقادات التي أدلى بها بعض الأساتذة والأصدقاء، وكم سررت بها كونها جاءت قبل نشر الكتاب، مما أمكنني ذلك أن أرد عليها وأوضح لقارئتي العزيز كل هذه الأمور، بدلاً من أن تبقى معلقة في الأذهان ومن دون أي رد، إذ صرح لي البعض أن مواضيع الكتاب هامة ومثيرة كلها، وتستحق بأن أفرد كتاباً لكل واحد منها، إلا أنها

(١) صحيح البخاري (ج ٦/ ٢٧٢٢) (ح ٤٨٢٦).

(٢) وفي الأصل؛ المعنى المراد: هو أفعال الله تعالى وقدره التي يكون الدهر وعاء لها، فيشتم البعض الأيام والأزمان، ويكون في الحقيقة ذاماً لقدرة الله تعالى.

لا تتلاءم في أن تأتي دفعةً واحدة، وفي كتابٍ واحدٍ، وهو يتناول موضوعاً محددًا كقيام الساعة وأماراتها..

وهنا ألفت انتباه القارئ إلى أن عنوان الكتاب الذي استقيته من الآية الكريمة: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] .

كان تحت عنوان: (اقتربت الساعة). ولم يكن أمارات الساعة، أو قيام الساعة، أو اليوم الآخر.. إلخ. فمجريات الأحداث العالمية، ومنجزات الاكتشافات العلمية، وفك رموز وصيغ الأحداث التاريخية، ومن ثم طرح المعادلات السياسية استنباطاً من أحاديث المصطفى ﷺ.. ألا يعتبر ذلك كله من علامات قرب الساعة؟..



مدخل وبيان

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

كل عام يفتن العالم مرة أو مرتين، فتسارع أحداثه كأنما هو في مساره ماضٍ إلى لحظة الانفجار، التي ما إن تقع حتى لا تبقي ولا تذر وليداً ولا بريئاً، ويصبح الكل كالحجر.. وإن ما آلت إليه أحوال المجتمعات الدولية، وخاصة الصراع العربي الإسرائيلي الذي بدأ يأخذ منعطفاً خطيراً في قلب منطقتنا العربية، وحول المسجد الأقصى، وما تعانيه تلك الشعوب المستضعفة من قهرٍ وقمع، وانتهاكاتٍ لحرية وكرامة الإنسان.. كل ذلك بات ينبئ بلحظة الانفجار والتي على أثرها سيكون الفرج والخلاص بإذن الله.. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه أبو داود في سننه: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ؛ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني، أو من أهل بيتي يواطئ^(١) اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٢).

لقد أصبحت مؤشرات وبوادر ظهور السيد المهدي عليه السلام، كثيرة حتى إنها باتت تنبئ بظهوره قريباً بإذن الله. وهذا ما سنلقي عليه الضوء من خلال أبحاث هذا الكتاب واستعراضنا لبعض أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لدراستها ووضعها تحت المجهر، ومن ثم لإسقاط

(١) يواطئ: يشابه ويمائل.

(٢) سنن أبي داود (ج ٤/١٠٧) (ح ٤٢٨٢) حديث صحيح.

مجريات الأحداث العالمية عليها لنرى مدى التطابق فيما بينها وبين تلك الأحداث. وظهور السيد المهدي عليه السلام، ومن ثم انتهاء فترة خلافته على الأرض لا يعني هذا قيام الساعة بعده مباشرة، بل إن هناك - ما بعده عليه السلام - من الأحداث ما سيذهل بها كل والدٍ عن ولده، وما سيدع الحليم من الناس فيها حيران.. تلك هي أشرطة الساعة أو ما يعرف بالأمارات الكبرى؛ ليدخل التاريخ عصراً جديداً ألا وهو عصر الأمارات الكبرى.. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه مسلم في صحيحه: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعره^(١) عدن ترحل الناس^(٢)».

ولكثرة الأحاديث النبوية التي تحدثت عن الآيات الكبرى ولا سيما عن فتنة المسيح الدجال، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتأهبون لوقوعها منذ ذلك العصر، فكانوا يعلمونها ويحفظونها أبناءهم، ويتباكون لذكرها مخافة الفتنة التي قد تتعدى الوصف فيما لو وقعت في ذلك العصر. فكيف بنا إذا ظهرت في زماننا؟!

روى أحمد في مسنده عن الضحاك بن قيس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، فتناً كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام خلاقهم ودينهم بعرض^(٣) من الدنيا^(٤)».

لقد كانت فكرة الكتاب لدي تتضمن في البداية: الحديث عن السيد المهدي

(١) قعره: أرض منبسطة سهولاً وودياناً.

(٢) مسلم (ج ٤/٢٢٢٦) (ح ٧٢٨٦) وفي رواية أخرى للحديث (٧٢٨٥) ذكر: ونزول عيسى ابن مريم ﷺ.

(٣) عَرَض: هدفاً وغاية.

(٤) مسند الإمام أحمد (ج ٣/٤٥٣) (ح ١٥٧٥٣) حديث صحيح.

عليه السلام، وأشراط الساعة مروراً بالأمارات الصغرى؛ للتعرف عليها ومقارنتها بالأمارات الكبرى، إلا أنه لأهميتها وكثرتها قمت بتوسيع وتقسيم هذا البحث إلى عدة أبواب؛ كان أولها للعصر الراشدي وما بعده، وأطلقت عليه (أمارات ما بعد عصر الرسول)، ثم (عصر الأمارات الصغرى)، ثم (عصر الإنجازات العلمية والاكتشافات) وهو الذي مازلنا نعيش فيه حتى الآن.

وبعد أن انتهيت بتوفيقٍ من الله عز وجل من هذا كله، وأنهيت (عصر الأمارات الكبرى)، حدثتني نفسي: ما دمت بدأت من البداية ومنذ العصر الراشدي، فسأكمل ولو بفصل موجزٍ إلى النهاية لأستعرض فيه دخول أهل الجنة الجنة، وكيف سيتأقلم أهلها مع طبيعة الحياة الجديدة التي ستكون فيها؟. وما إن بدأت بإعداد هذا الفصل حتى وجدته لا يقل أهمية عن أي موضوع آخر في هذا الكتاب، بل ربما سيكون من أكثرها فائدةً وسروراً لدى قرائنا بإذن الله. ولذا قمت بتوسيع وتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة أبواب أيضاً؛ كان أولها (في الطريق إلى الآخرة)، ثم (عصر الدار الآخرة)، وختاماً كان (عصر الخلود).

ولكل آيةٍ من الآيات الكبرى أفردت لها باباً خاصاً إلا أن الدجال أخذ أكبر مساحةٍ من بين مواضيع الكتاب؛ نظراً لوفور الأحاديث النبوية التي ذكر فيها، إذ ما يزيد عن أربعمئة وخمسة وسبعين حديثاً نبوياً رويت في أهم كتب الحديث، وقد تحدثت كلها عن المسيح الدجال؛ عما سيسبقه، وما سيخلفه من أحداث، وعن فتنه التي ستملأ الأرض شراً وفساداً، وذهولاً في عقول الناس.

وللإيجاز فقد انتقيت مجموعةً منها فقط، إلا أن هذه الظاهرة - لأهميتها وكثرة الأحاديث النبوية التي تحدثت عنها - لو كنا نريد التفصيل فيها أكثر من ذلك كنا سنحتاج ربما إلى مجلدٍ آخر. ولذا فقد استخلصت من كل تلك الأحاديث الدراما التمهيدية التي ستسبق ظهوره، وتسلسل الأحداث وانتهاءً بنزول السيد المسيح عليه السلام، وقتله الدجال وأتباعه من اليهود والمشركين.

كما أنني أشرت الحديث عن السيد المسيح عليه السلام إلى ما وراء الدجال، وذلك تقيداً بتسلسل الأحداث حسب أولوية الظهور، وكما ورد تسلسلها في الأحاديث النبوية. وللسيد المسيح أفردت له باباً خاصاً من فصلين فقط، على الرغم أيضاً من وفور الآيات القرآنية، وكثرة الأحاديث النبوية التي تحدثت عنه وعن أمّه عليهما السلام، إلا أنني حاولت التقيد بموضوع الكتاب قدر المستطاع.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن السيد المهدي عليه السلام، لا يمكننا أن نصنف ظهوره من الآيات الكبرى؛ لعدم ما يشير إلى ذلك من خلال الأحاديث النبوية، أو ما يدل على أنه سيؤيد بمعجزات خارقة للعادة كالمسيح عليه السلام، أو الدجال. وإنما سيؤيد بكرامات كتلك التي خصّ بها الأولياء والصالحون من عباد الله، والله أعلم.

ولأهمية هذا الموضوع لمثل هذه المرحلة الحرجة التي تمر بها أمتنا اليوم، فقد أفردت للسيد المهدي باباً خاصاً، وأطلقت عليه (عصر المهدي عليه السلام). فكان موقعه من الكتاب - وحسب تسلسل الأحداث - قبل الدجال وعصر الإمارات الكبرى. وبالله التوفيق..

ملاحظة هامة:

عند كتابة الحديث كنت قد اكتفيت بتخريجه أو ذكر المرجع الذي ورد فيه، دون كتابة السند أو درجة الحديث، وذلك تفادياً للملل الذي قد يصاب به القراء من تعدّد الرواة، إذ إن عددهم كان يتجاوز الثلاثة ليصل إلى سبعة رواةٍ وذلك في معظم الأحاديث. فمثلاً عندما نقول: أخرج البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الدين يسر ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه»^(١).

(١) صحيح البخاري (ج ١/ ٢٣) (ح ٣٩).

هذا لا يعني أن البخاري هو الذي سمع الحديث من فم رسول الله ﷺ، ومن ثمّ قام بتدوينه في صحيحه!. إذ كيف يكون ذلك إذا كان البخاري رحمه الله ولد بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي نهاية القرن الثاني بعد الهجرة؟.. إنما ذلك يعني أن البخاري هو الذي خرّج حديث رسول الله ﷺ، بعدما تتبع أثره من راوٍ إلى آخر وبشروط علمية في منتهى الدقة، اشترط وجوب توفرها لدى كل الرواة أحياء كانوا أم أمواتاً، حتى يقوم بتدوين الحديث في صحيحه.. وكذلك الأمر بالنسبة لمسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي.. إلخ.

ولا بد لنا أن نعلّم هنا أنه، ومهما بذلنا من جهدٍ وشرحٍ كي يطلع أولئك المرتابون على الكيفية التي تمّ بها جمع ونقل تلك الأحاديث حتى وصلت إلينا بهذا الشكل، فإن أولئك الذين ما زالوا في ريبٍ منها لا يصدقون بها ولا بكلامنا، وحتى لو جئناهم بكل الرسل والملائكة قبيلاً.. فلا داعي لأن نرهق أنفسنا أكثر من ذلك، وبما لا يجدي نفعاً مع أمثال هؤلاء من بني البشر.. فنسأله تعالى لنا ولهم الهداية والصالح، والثبات على دين نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.

أما بالنسبة لدرجة الحديث، فقد تحريت انتقاء الصحيح ثم الذي يليه.. إلا أنه ولكثرة الأحاديث التي احتجت إليها تمييزاً لمواضيع الكتاب، فقد اضطررت للاستعانة ببعض الأحاديث التي تقل درجتها عن الحسن، وخصوصاً في الفصول الأخيرة من الكتاب إذ لم أجد من ضرر يذكر عند سرد مثل تلك الأحاديث، بل على النقيض من ذلك كانت - كما ارتأى البعض - قد وضعت في مكانها المناسب، بعدما أدت حقها وفائدتها للموضوع. فضلاً عن أن الكتاب لم يركز في فحواه على جانب الفقه أو العقيدة، الأمور التي تتطلب الدقة التامة عند كتابة الحديث سواء في السند، أو الدرجة، أو السير الذاتية للرواة..

ففي الأحاديث الضعيفة مثلاً؛ التي لم يثبت كذبها ولم يتحقق من صحتها قال فيها ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (إذا احتمل الأمرين^(١) روي لإمكان صدقه، ولعدم المضرة في كذبه)^(٢). وروي عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان يقول: (إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام، شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال، وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات، تساهلنا في الأسانيد)^(٣).



(١) أي الصدق والكذب.

(٢) مجموع الفتاوى (ج ١٨/٦٦).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (ج ١/٦٦٦).

أمارات ما بعد عصر الرسول ﷺ

- المعجزة في حديث الرسول ﷺ
- تولي عثمان الخلافة
- الحوآب وموقعة الجمل
- قاصمة صفين
- تولي معاوية الملك
- تطريد أهل البيت وتشريدهم
- دولة بني العباس
- فتح المدائن والأمصار

المعجزة في حديث الرسول ﷺ

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل - وحتى يكثُر فيكم المال فيفيض، حتى يُهمَّ ربَّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به، وحتى يتناول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس - يعني - آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته^(١) فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليب^(٢) حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»^(٣).

في هذه الأسطر القليلة يخبرنا الرسول ﷺ بأكثر من عشرين نبوءة، فمنها ما قد وقع بالفعل، والبعض الآخر بدأت بوادره تلوح في الأفق. فلا يوجد في التاريخ كله بطوله وعرضه.. بملوكه وفراعنته.. بعلمائه وأدبائه.. من تنبأ

(١) لقحته: الناقة الحلوب والقريبة العهد بالولادة.

(٢) يليب: يطئن ويصلح.

(٣) صحيح البخاري (ج ٦/ ٢٦٠٥) (ح ٧١٢١).

طيلة حياته بهذا الكم من النبوءات، ناهيك عن أن يكون ذلك كله في حديث واحد، وما نجده من بلاغة وقوة في التعبير، وما تجلّى في هذا الحديث من نفحات إيمانية وثقة ويقين، يعكس صفة المتكلم وتأكيده على أن ذلك كله واقع لا محالة.. وما كان هذا إلا للرسول محمد عليه الصلاة والسلام.

هذا وقد جمع الحديث السابق بضعاً من الآيات الصغرى مع بضع من الآيات الكبرى، إذ إن أشرط الساعة - وكما نعلم - هي عشر آيات كبرى فقط، أما الصغرى فهي كثيرة ولا تكاد تحصى إلا أنها تتدرج من حيث الأهمية، حسب طبيعة المعجزة وتأثيرها في حياة البشرية، مقارنةً مع لفظ الحديث.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أننا سنركز في الفصول الأولى من هذا الكتاب، على المعيار الإعجازي والغيبى في أحاديث المصطفى ﷺ عند سردنا للأحداث والوقائع التاريخية، ولسنا بصدد عرض التفاصيل التاريخية لتلك الأحداث. ولهذا عزيزي القارئ ستجد بأننا سنعرّج عروجاً سريعاً على معظم الأمارات الصغرى وسنستعرض بضعاً منها فقط؛ لندع التفصيل في الحديث، عن عصر المهدي عليه السلام وعصر الأمارات الكبرى.. وبالله التوفيق.

تولي عثمان الخلافة

يخبر الرسول ﷺ صهره ذا النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن الله تعالى سيقتّمه قميصاً وسينازعه هذا القميص جماعةً من المنافقين، فيأمره عليه الصلاة والسلام أن لا يخلع لهم ذاك القميص أبداً، مهما كانت الأسباب وبلغت التهديدات.. روى أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال لعثمان: «يا عثمان! إن الله عز وجل مقمّصك قميصاً، فإن أردك المنافقون على أن تخلعه؛ فلا تخلعه لهم»^(١).

(١) مسند أحمد (ج ٦/٧٥) (ح ٢٤٤٦٦) حديث صحيح.

وهذا ما حدث فعلاً عندما ألبس الله تعالى عثمان قميص الخلافة، ثم نازعه هذا القميص طائفةً من المنافقين الخوارج، فلم يخلعه لهم حتى قتل واستشهد رضي الله تعالى عنه.

الحوأب وموقعة الجمل

أخبر الرسول ﷺ نساءه، أن من إحداهن من ستأتي الحوأب^(١) وستنبح عليها كلابها، فيحذرهن عليه الصلاة والسلام من تلك الفتنة، ويأمرهن بالعودة فيما لو وصلت إحداهن الحوأب، كما جاء في هذا الحديث الذي رواه أحمد في مسنده: «أن عائشة قالت: لما أتت على الحوأب سمعت نُبأح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعةً، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكنّ تنبّح عليها كلاب الحوأب.. فقال لها الزبير: ترجعين؟! عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس»^(٢).

وبالفعل هذا الذي وقع بالضبط عندما خرجت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، مع ثلّةٍ من رجال أهل المدينة - ومن بينهم رجال من خيرة أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وعلى رأسهم طلحة والزبير - إلى علي بن أبي طالب في البصرة طالبين القصاص من قتلة عثمان، وفي الطريق نبحت على قافلتها الكلاب فتذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها حديث رسول الله ﷺ السابق، وسألت عن هذا المكان فقيل لها: الحوأب. وعندما أرادت العودة أقنعها الزبير بمتابعة المسير، حتى إذا ما التقوا بعلي كرم الله وجهه وقعت قاصمة الجمل.

(١) الحوأب: اسم مكان على الطريق بين مكة والبصرة. وقيل أيضاً: ماء من مياه العرب على طريق البصرة.

(٢) مسند أحمد (ج ٦/٩٧) (ح ٢٤٦٥٤) إسناده صحيح.

ومما أخبر عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الواقعة وحدث بالفعل ، هو خروج الزبير على علي كرم الله وجهه لقتاله ، حيث قال له النبي ﷺ : «أتحب علياً؟ قال : نعم ، قال : أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت له ظالم»^(١).

قاصمة صفين

تلك التي كانت ولا زالت القاصمة الكبرى في تاريخ الأمة الإسلامية والتي تقاتل فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، مع معاوية بن أبي سفيان قرب صفين وإلى الشمال الشرقي من بلاد الشام ، لعلها - وكما يقول أكثر العلماء - هي التي ذكرها رسول الله ﷺ حينما قال : «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، يكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعوتهما واحدة»^(٢).

وفعلاً حدث بينهما مقتلة عظيمة قَدَّرت فيها الخسائر كما في بعض المصادر ، بعشرات الآلاف ما بين قتيل وشهيد ، من أصل مئة وتسعين ألفاً من الطرفين.

تولي معاوية الملك

حثَّ الرسول ﷺ معاوية حينما يتولى من أمور المسلمين شيئاً عظيماً ، أن يتقي الله في ذلك الأمر ، وأن يعدل. وهذا ما حدث لمعاوية بالضبط عندما ولي إمارة الأمة بعد مقتل واستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما. روى أحمد في مسنده عن عمرو بن يحيى بن سعيد عن جده ، أن النبي ﷺ قال لمعاوية : «يا معاوية ، إن وليت أمراً فاتق الله عز وجل واعدل. قال معاوية : فما زلت أظن أنني مبتلى بعملٍ لقول النبي ﷺ ، حتى ابتليت»^(٣).

(١) الحاكم في (المستدرک) (ج ٣/٤١٣) قال : هذا حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري (ج ٦/٢٦٠٥) (ج ٧١٢١).

(٣) مسند أحمد (ج ٤/١٠١) (ج ١٦٩٣٣). قال الهيثمي في المجمع (ج ٥/١٨٦) : وهو

مرسل ، ورجاله رجال الصحيح. وقال الذهبي في السير (٣/٣٣١) : ويروى في فضائل معاوية أشياء ضعيفة تحتمل . وقد ذكر منها هذا الحديث.

تطريد أهل البيت وتشريدهم

يخبرنا الرسول ﷺ أن أهل بيته سيتعرضون من بعده لابتلاءٍ وامتحانٍ شديد، في حديث أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً»^(١).

وهذا ما وقع بالفعل، فقتل علي كرم الله وجهه ومن بعده الحسن والحسين، والكثير من أحفادهم، وشرد الباكون في البلاد والأمصار حتى كاد أن يختفي أثرهم.. فرضي الله تعالى عنهم أجمعين.

دولة بني العباس

روى أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال: لما فتحت خراسان بكى عمر بن الخطاب، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف فقال: ما يبكيك يا أمير المؤمنين وقد فتح الله عليك مثل هذا الفتح؟! قال: ومالي لا أبكي! والله لوددت أن بيننا وبينهم بحراً من نار؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أقبلت رايات ولد العباس من عُقاب»^(٢) خراسان جاؤوا بنعي^(٣) الإسلام، فمن سار تحت لوائهم لم تنله شفاعتي يوم القيامة»^(٤).

وهذا ما حدث بالضبط حينما قدمت من خراسان رايات السفاح أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس سنة ١٣٢ هـ، فقضت على دولة بني أمية وقامت على أنقاضها دولة بني العباس.

(١) سنن ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٦) (ح ٤٠٨٢) إسناده ضعيف، وصححه الحاكم بسند آخر (ج ٤/٥١١) (ح ٨٤٣٤).

(٢) عقاب: حجر ناتئ في جوف البئر يخرق الدلو.

(٣) نعي: إذاعة خبر موت الميت.

(٤) حلية الأولياء (ج ٥/١٩٢) حديث ضعيف، إلا أن أحداثه وقعت تماماً كما وردت في نص الحديث.

فتح المدائن والأمصار

روى البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «... والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(١).

وقد فتحت صنعاء وحضرموت، ووصلت جحافل المسلمين إلى مشارق الأرض ثم إلى مغاربها، وأعطيت الأمة الكنزين الأبيض والأحمر حتى فاض المال فلا تجد من يقبله، ولا سيما في زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز. ولعل ذلك ما قد أخبر عنه الرسول ﷺ في حديث آخر أخرجه مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الله زوى^(٢) لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»^(٣).

والكنزان الأحمر والأبيض هما الذهب والفضة، وقد يراد بهما أيضاً خزائن كسرى وقيصر (أي فارس والروم) كما قال التوريشتي؛ لأن الغالب على نقود ممالك كسرى الدنانير، والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم... والله أعلم.



(١) صحيح البخاري (ج ٣/١٣٢٢) (ح ٦٩٤٣).

(٢) زواه: نخاه وطواه. وزوى الشيء: أي جمعه وقبضه.

(٣) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢١٥) (ح ٧٢٥٨).



عصر الأمارات الصغرى

- التفاخر بالمساجد
- التناول في البنيان
- تقارب الزمان
- كثرة الزلازل
- كثرة الهرج
- كثرة الزنا
- كثرة الخمر
- الكاسيات العاريات
- توظيف المرأة وعملها بالتجارة
- ائتمان الخائن وتخوين الأمين
- ولاية كع ابن كع
- الحظر المفروض على أهل العراق
- تداعي الأمم على الأمة الإسلامية

التفاخر بالمساجد

لم يكن في زمن النبي ﷺ سوى ثلاثة مساجد: (المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد قباء). فالدين لا يزال جديداً وعدد المساجد لا يزال يعدّ على أصابع اليد، بالإضافة إلى ذلك كانت جدرانها من الطين، وأعمدتها من جذوع النخيل، أما بساطها فكان الحصى والتراب. . . وبالتالي كانت المساجد آنذاك أدنى بكثير من أن يخطر على بال أحد التباهي بها.

وإذا ما قورنت تلك المساجد بمساجدنا في هذه الأيام، من التي تكاد بألوانها وهندستها وزخرفتها تبهر الناظرين حتى أخذ الناس حقيقة التباهي بها، حينها سيتضح لنا مدى الإعجاز- في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يخبرنا بهذه الظاهرة التي لم تكن على بال أحد في ذلك العصر- في حديث أخرجه النسائي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد»^(١).

التطاول في البنيان

البناء في زمن النبي ﷺ، كان يهندس بارتفاع طابق واحد فوق الأرضي والذي كان يعرف بـ (العلية)، أما الحصون والقلاع فكانت حكرأ على الفراعنة، والملوك والأقاصرة، إذ لم يكن فيها للناس من شأن سوى بنائها والسهر على أمنها.

(١) سنن النسائي (ج ٢/٣٢) (ح ٦٩٠) حديث صحيح.

ومع تطور الآلات الضخمة ذوات الاستطاعات الكبيرة، استطاع الإنسان في هذا العصر - وإلى حدّ كبير - أن يتناول في البنيان حتى بات بمقدور أيّ كان من الناس أن يتناول فيه، وبمجرد أن توفر لديه قليل من الثروة والمال، إذ لم يعد هذا التناول حكراً على الفراعنة، أو الملوك والأقاصرة.. ليتحقق بذلك قول الرسول ﷺ فيما أخرجه أحمد في مسنده: «لا تقوم الساعة حتى يتناول الناس بالبنيان»^(١).

تقارب الزمان

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض»^(٢).

أما عن تقارب الزمان فاسأل من هو لا يزال على قيد الحياة ومنذ عقود خلت؛ ليخبرك عن الفرق الكبير الذي بات يشعر به من تسارع للزمن وتقارب للمكان.. ويرجع هذا كله إلى ما وصلت إليه تكنولوجيا العصر من تطور وتقدم في كافة المجالات، حتى انعكس هذا بتأثيره المباشر على الحياة اليومية ولا سيما ثورة المعلوماتية وأجهزة الحاسوب، التي بات يعتمد عليها أغلب وسائط النقل والاتصالات، مما قرب البعيد واختصر المسافات.

وتلك الشبكة الإلكترونية التي تدعى بالإنترنت، وما أدراك ما الإنترنت؟ هذه الشبكة العالمية التي جعلت العالم كله كأنه في غرفة واحدة!

(١) مسند أحمد (ج ٢/ ٥٣٠) (ح ١٠٨٥٨) حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري (ج ١/ ٣٥٠) (ح ١٠٣٦).

بعد أن كنا - وبالأمس القريب - نفتخر ونقول بأن هذه الطائرات والسيارات ووسائل النقل على اختلاف أدائها وأحجامها، قد جعلت العالم وكأنه قرية واحدة!! . فأى عبارة يمكن أن تجتمع لها الإنس والجن؛ ليصفوا هذا التحول العجيب في حياة البشرية من قول الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو يصف لنا ذلك كله بكلمتين فقط: (تقارب الزمان)..

كثرة الزلازل

وهي من أمارات الساعة الصغرى كما مرّ معنا في الحديث السابق. وهذا ما نلمسه في هذه الأيام من خلال سماعنا لنشرات الأخبار اليومية، إذ لا يكاد يخلو شهر، أو شهران، إلا ونسمع بخبر هزة أرضية هنا أو هناك في دولةٍ من دول العالم، ولو عدنا إلى المراجع الإحصائية للزلازل المنتشرة على الأرض، لوجدنا أن النسبة تزداد عاماً بعد عام.

كثرة الهرج

جاء في القاموس المحيط، أن كلمة الهرج تعني: الفتنة والاختلاط وكثرة القتل. وأما النبي عليه الصلاة والسلام فقد نعتها في الحديث الشريف؛ بالقتل القتل.. وهي من أمارات الساعة الصغرى كما مرّ معنا أيضاً في الحديث الفائق. حيث باتت هذه الأمانة مكشوفةً ومرئيةً ولا سيما أيضاً عبر شاشات التلفزة، ومن خلال سماعنا لنشرات الأخبار اليومية.. إذ لا نكاد نسمع سلسلة من الأخبار، إلا وأغلبها قتل واغتيال أو عدوان وسفك للدماء! هذه الحالة لم تكن من ذي قبل، وبهذه الصورة المؤلمة كالتي نراها اليوم في فلسطين، وغيرها من بلاد العرب والمسلمين.

ولا شك في أن كثرة الهرج هذه، تعود أيضاً إلى ما وصلت إليه

تكنولوجية الحرب من ابتكار لتلك الأنواع المتعددة من المتفجرات، والتي تستطيع في ثوان أن تبعد العشرات وربما المئات. فضلاً عما توصلت إليه تقنيات الحرب الحديثة من اختراع العديد من الصواريخ القادرة على حمل الرؤوس النووية والجرثومية، والتي تستطيع أيضاً في أجزاء من الثانية أن تحصد عشرات الألوف من البشر، فيما لو نشبت حرب بين أي دولتين نوويتين في هذا العصر.

كثرة الزنا

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ صدق الله العظيم. [النور: ٢ - ٣].

هذا بيان من الله عز وجل يعظم فيه تلك الفاحشة، وأما رسول الله ﷺ فقد حذر منها في أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(١).

وهذا ما حدث بالفعل بعد منتصف القرن الماضي، حينما انتشر في بلاد الغرب خاصةً وجنوب أفريقيا مرض نقص المناعة المكتسب، الذي بات يعرف بـ (الإيدز). حيث أخذ هذا الوباء يهدد أرواح الملايين من الشباب والفتيات، ولا سيما في البلدان التي ما تزال تتسابق في سرعة انتشار هذه الفاحشة، في الشرق وفي الغرب.

(١) سنن ابن ماجه (ج ٢/١٣٣٢) (ح ٤٠١٩). قال البوصيري: هذا حديث صالح للعمل به. وقال عنه الألباني: صحيح.

أليس هذا دليلاً كافياً ووافياً - فضلاً عن الأدلة والبراهين التي باتت لا تعد ولا تحصى - كي يثبت لنا أن شريعة محمد عليه الصلاة والسلام هي الشريعة الوحيدة ولا منافس لها، الكفيلة بضمان كرامة الإنسان وصحة بدنه وسمو روحه المتعطشة لمعرفة بارئها عز وجل؟..

كيف لا؟ وقد أثبت العلم أن مرض الإيدز، وغيره من الأمراض الجنسية الأخرى سببها حصراً الممارسات الجنسية غير الشرعية. فنجد أن الرجل يجامع امرأته التي عقد عليها زواجاً شرعياً (إسلامياً كان أم كتابياً) ربما كل يوم؛ ليصل تكرار الجماع وطيلة حياتهما الزوجية إلى آلاف المرات، دون أن يتسبب ذلك في أي ضرر يذكر لهما. في حين أن نفس الرجل لو أقدم على ممارسة الفاحشة (الزنا) ولو لمرة واحدة من عمره، قد يصاب بالإيدز أو بإحدى الأمراض الجنسية الأخرى.. أعاذنا الله وإياكم منها، ومن أوجاعها التي لا طاقة لنا بها لا في الدنيا ولا في الآخرة، ونسأله تعالى أن يرحم ضعفنا، ويستتر أعراضنا.. وأن يقرّ عيوننا برؤيته في الآخرة..

كثرة الخمر

لا ننسى أن الخمر هو دائماً رقيقٌ ودودٌ للزنا، فحيثما يكثر الزنا يكثر شرب الخمر، أو كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث أخرجه البخاري في صحيحه: «إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر»^(١).

وفي إعجاز آخر للنبي عليه الصلاة والسلام، يخبرنا بأن الخمر ستبديل وستنوع أسماؤها: «يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها»^(٢).

(١) صحيح البخاري (ج ٥/٢٠٠٥) (ح ٥٢٣١).

(٢) سنن النسائي (ج ٨/٣١٢) (ح ٥٦٦١) حديث صحيح.

وحقيقةً فقد تعددت ألقاب الخمر حتى غدا منها: العرق، والوسكي، والشامبانيا.. إلخ، وأخذ أناس من أمة سيدنا محمد ﷺ في التباهي بشربها وأسمائها، كما هو الحال عند شريحة واسعة من الشباب، وفي بعض المجتمعات الإسلامية دون أخرى التي كاد الوازع الديني أن يغيب عنها نهائياً.

وكم ينتابنا الأسى لكثرة ما نسمع من مآسٍ زوجية سببها الإدمان على هذه الآفة الخطيرة، التي باتت تهدد أمن وسلامة المئات من البيوت، فتضرب الأطفال، وتضطهد النساء، ويحرم من قوت يومهن، وفي النهاية تشريد وتطريد، حيث تعود الأم إلى بيت أبيها مهانة مقهورة، أما الرجل فيبقى يتذبذب ما بين حوانيت الخمر وأماكن الرذيلة، ويبقى الأطفال يحيون حياةً ملؤها الخوف والرعب والجوع، وفوق كل هذا حرمان من رعاية الأب وعطف الأم الحنون.

أين هي العيون الساهرة على أمن وسلامة المجتمع؟ وطفولة الأبرياء، ومستقبل الشباب؟ وعدد الخمارات يزداد يوماً بعد يوم!

تقمع - هنا وهناك - حلقات الذكر، ومجالس العلم، التي هي من أهم وسائل التخلص من هذا البلاء! ولا تقمّع خمارة واحدة، أو مركز واحد من مراكز اللّهو والفساد التي هي سبب هذا الداء والبلاء!

الكاسيات العاريات

أهم شيء امتاز به القرن الماضي - وخاصة عبر المرثيات - هو ظهور الكاسيات العاريات، ومع بداية القرن الحالي قفزت ظاهرة الكاسيات العاريات قفزةً نوعيةً مع انتشار الفضائيات، وما أدراك ما الفضائيات؟ إذ بات أكثرها (كباريهات) على الهواء، أو سوقاً لعروضات الأزياء، ومع قلة الحياء، مميلات مائلات، وأخرياتٌ من بنات حواء، مسلماتٌ وغير

مسلمات، لا يزدن حياءً عن تلك الراقصات، ولا يدرين على لسان رسوله بأنهن ملعونات، ولا يدخلن الجنة، وإن كن من المسلمات، فاتقين الله أيتها الكاسيات العاريات في أنفسكن، ولا تبخن أجسادكن فتعرضوهن في سوق الفضائيات، أو في الطرقات وعلى الشرفات، وفي الجامعات.. فالياقوتة لغلاء ثمنها لا تكشف لهذا وذاك، فإن صنت جسدك، يصبغ أعلى من الياقوت بآلاف المرات، ولتكن قدوتك أمهات المؤمنات، أهن خير لك أم تلك المطربات، فإنهن لن ينفعنك يوم ينفخ في الصور ويبعث من في القبور، ولا يجرنك من عذاب الله بكاء ولا عويل.. هذا ما وعد الرحمن ليوم الرحيل.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة^(١) البخت^(٢) المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»^(٣).

وفوق كل هذا فالنبي عليه الصلاة والسلام يأمر كل من يراكن أيتها الكاسيات العاريات، بلعنكن، وإن دلّ هذا على شيء، فإنما يدل على أنك مطرودات من رحمته تعالى في الدنيا قبل الآخرة.. فقد ورد في حديث أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج^(٤) كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المسجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف^(٥)؛ العنوهن فإنهن ملعونات»^(٦).

(١) أسنمة: عصابة أو عمامة أو نحوه تلف على رأس الإبل لتكريمها وتعظيمها.

(٢) البخت: الإبل الخرسانية.

(٣) صحيح مسلم (ج ٣/ ١٦٨٠) (ح ٧١٩٤).

(٤) السروج: جمع سرج: رحل الدابة.

(٥) العجاف: جمع عجفاء أي هزيلة.

(٦) مسند أحمد (ج ٢/ ٢٢٣) (ح ٧٠٨٣) حديث صحيح.

في إحدى البلدان العربية هذه الأيام تروى حادثة وقعت وبالأمر القريب، أن فتاة تكتسي موضةً فاضحةً من آخر مواضع العصر، وشلال شعرها الحريري يتمايل، كلما هبَّ الهواء العليل، ليفوح منه رائحة العطر الباريسي.. أقلت سرفيساً^(١) وجلست إلى جانب شيخ تقى قلبه معلق بذكر الله، ترتعد فرائصه كلما رأى معصية تنم عن عدم استحياء صاحبها من الله، فكيف به وقد جلست إلى جانبه فتاة كهذه التي فقدت آخر قطرة من حياتها أمام الله..

فما كان من هذا الشيخ إلا أن أخذ يلقي على مسامعها عدداً من النصائح والمواعظ، ويخوفها من عذاب الله وناره التي كل جزء فيها يعدل سبعين ألف جزء من نار الدنيا.. ويبين لها الخطر والجريمة الكبرى التي ترتكبها هذه الفتاة بحق نفسها أولاً، وبحق أمتها ثانياً التي من فرضياتها الخلقية والأخلاقية: الحياء لدى الفتيات وعدم إظهار الفتنة؛ لعدم إشغال الشباب وإغوائهم بهذه الصور الماجنة، بدلاً من أن يكنّ عوناً لهم؛ لينشغل شباب الأمة بالعلم والعمل، ول مستقبل أفضل؛ لأمة وصلت إلى الحضيض ولا أحد يدري بعد ذلك ما وراء هذا الحضيض..

فما كان من تلك الفتاة التي أربها الشيخ من لظى جهنم، وحرّها وقرّها، إلا أن أخرجت من حقيبتها - الممتلئة بميكانيكيات المكياج والتبرج - موبايلاً (هاتف خلوي)، فناولته لهذا الشيخ وقالت له: اتصل لي مع ربك كي يحجز لي مكاناً في ناره التي ترتعد أنت منها..

فكاد صواب الشيخ أن يطير من رد هذه الفتاة، فصمت واستمر يستغفر ربّه حتى وصل إلى المكان الذي كان قاصده، فلما أراد أن ينزل من السرفيس وقد انتظرها لحظات كي تفسح له المجال، إذ هي لا تبدي أي حركة.. ولما هتف بها الشيخ، فإذا هي لا تستطيع أن تنطق ببنت شفة.. وكأن الله تعالى قد

(١) سيارة نقل بالأجرة داخل المدن.

استجاب لدعوتها تلك فحجز لها مقعداً في ناره، وهي ما تزال جالسةً على مقعدها الذي حجزته حينما صعدت ذلك السرفيس^(١).

فطوبى لك أيتها الأخت المسلمة، يا من تخمّرت بجلبابها، ووضعت على الرأس خمارها، وامتنعت عن الزينة إلا لزوجها، فاصبري فإن الجنة قد اقترب نعيمها..

توظيف المرأة وعملها بالتجارة

إن من شر الأمور التي لا يلقي لها رجال اليوم بالاً، هي اتخاذهم نساءهم شركاء لهم في التجارة، وفي أعمالٍ كثيراً ما تبتعد فيها المرأة عن بيتها وأطفالها كالوظيفة وغيرها. فالرجل الذي بات هاجسه الأول هو تحسين وضعه المادي، قد عميت عيناه عن زوجته أخالطت الرجال، أم سافرت من غير إذنه وساحت في البلاد، لأن الأولى في نظره أصبح المال وما تجنيه له من أرباح..

أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بين يدي الساعة: تسليم الخاصة^(٢)، وتفشو^(٣) التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة»^(٤).

(١) ليس من عاداتي تصديق كل ما يتردد على ألسنة الناس من حكايا وفوازير قد تكون خيالية في أغلب الأحيان، إلا أن هذه الحادثة أسردها لما أجد فيها من عبرة وعظة، وإن كان السند فيها ضعيفاً إلا أن المعنى يفيد. وكما قال ابن تيمية عند رواية الحديث الضعيف: إذا احتمل الأمرين (أي الصدق والكذب) روي لإمكان صدقه ولعدم المضرة في كذبه.

(٢) الخاصة: ضد العامة.

(٣) تفشو: تنتشر.

(٤) مسند أحمد (ج ١/٤٠٧) (ح ٣٩٨٢) إسناده حسن.

وإذا ما استنكر أحد خروج المرأة من بيتها للعمل - إلا لضرورة، كأن تفقد زوجها، أو أنها طلقت فلم تحصل على النفقة من أحد - تراهم على الفور يتهمونه بالتخلف والرجعية . . وسرعان ما يرددون تلك العبارة التي باتت من السخف بمكان؛ لكثرة ما يرددها أمثال هؤلاء، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى إفلاسهم وفقدانهم لما يدافعون به عن رأيهم هذا إلا بمقولة: (انظر كيف وصل الغرب إلى القمر، وأنت ما تزال تهتم وتشغل نفسك بهذه الترهات)!.

فما علاقة الصعود إلى القمر بخروج المرأة من بيتها إلى الوظيفة؟! ناهيك عن أن من ساهم في اختراع المركبة الفضائية من الألف إلى الياء - والتي بها صعد الإنسان إلى القمر - هم من الرجال، وإذا ما رأينا صعود النساء مع طاقم الرواد إلى القمر، نجد أن امرأة واحدة - فقط - تصعد معهم في كل رحلة قد تستمر شهور، أو سنوات.

فهل سألت نفسك أيها الرجل: ما دور رائدة الفضاء في رحلة شاقة كهذه تكلف المليارات؟ وهل نظرت في طبيعة المهمة الموكلة بالرواد، والتي ما من شك في أن الرجل أقدر على إنجازها من المرأة؟

إذاً فما هو السبب الذي يدفع بالدول الغربية - التي لم يعد شرف وعفة المرأة يعنيتها في شيء - إلى إرسال امرأة واحدة مع عدد من الرجال، كي تنام معهم في كوة صغيرة طيلة أشهر وربما لسنوات؟ تلك الدول التي تقدمت تكنولوجياً وليس حضارياً؛ لأن:

(الحضارة = أخلاقيات + تكنولوجيا)

فأين الأخلاقيات لدى تلك الدول إذا أصبحت عندهم عفة المرأة، وكرامتها تباع وتشتري بثمن بخس، وأضححت تجارة الدعارة تجارة رائجة

(١) قد يساء بنا الظن من أننا دوماً نسيء الظن بكل امرأة قد تدفعها ظروف خاصة لأن تخلو بالرجال سواء داخل المؤسسات الحكومية أو في الأماكن العامة. فعلى الرغم من أنها وبهذا الأمر تعصي الله ورسوله ﷺ، كما أخرج البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم». (البخاري - ٣٠٠٦). فالحكمة التي يمكن أن نستنبطها من هذا الحديث، هي تفعيل الحكمة القائلة: درهم وقاية خير من قنطار علاج؛ لأنه وبعد أن يقع الفأس بالرأس، لا ينفع دواء الطبيب، ولا بكاء الحبيب! . وليست الحكمة أو الغاية من هذا الحديث -إذاً- هي إساءة الظن، وإطلاق الحكم على جميع النسوة والفتيات، دون حجة أو برهان.

(٢) ترددت كثيراً في إثبات هذه الفقرة التي أثارت مشاعر غضب بعض النسوة، وخاصة اللواتي يسعين منهن وبكل الوسائل المشروعة، وغير المشروعة، ليحصلن على وظيفة مهما كانت شروطها وطبيعتها؛ أناسبت أنوثتهن أم تخلت فيها المرأة الموظفة عن آخر قطرة من أنوثتها! . ويا للصدمة حينما بلغني أن بعض النسوة كنّ أيضاً يردن رفع دعوى إلى القضاء ضدي، تتهمني بأقوال ترمي إلى معاداة مبدأ توظيف المرأة والدعوة إلى إساءة الظن بها! . ولكي يحكم عليه القارئ العزيز فقد أقيمت المقال على حاله.. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: إذأ أين هي حرية الفكر؟.. أين هي حرية التعبير؟!.. أين هي الطبقة المثقفة التي كانت، ولا زالت تنطلق من حناجرها الهتافات الطبالة، والشعارات الرنانة على أننا لن نسمو إلى عالم الغرب المتحضر (حسب رأيهم طبعاً) إلا بعدما نصبح قادرين على تقبل الرأي، والرأي الآخر كيفما كان، وتحت أي ظرفٍ كان؟! . نعم فللحرية حدود وخطوط حمراء، ما ينبغي استغلالها للتشهير والظعن في بعضنا البعض. فهل يا ترى تجاوزت في ذلك المقال كل تلك الخطوط الحمراء؟ وإذا كان الجواب: نعم! . فهل يداوى الجور في التعبير بالدعاوى، واللجوء إلى القصور العدلية (عفواً الظلمية)؟ .

أيها السيدات والسادة: الكتابة هي دائماً حمالة أوجه، فكم من كاتبٍ زجَّ به وراء القضبان شهوراً وربما سنين، بسبب تأويل النص حسبما يريد القارئ، لا كما أراد الكاتب حينما خطَّ يمينه هذا المقال، أو ذاك!.. ولذا أدعو شبابنا وشاباتنا؛ المثقفين منهم خاصة والمثقفات، إلى إعادة النظر، وتفعيل لغة الحوار بدلاً من الدعاوى واللجوء إلى القضاء، لأننا نستنزف بهذا الأسلوب - ومن حيث لا ندري - سعة الخيال وآفاق التعبير لدى كتابنا ومثقفينا، وذلك حينما نجمع معهم لغة الحوار!..

انتمان الخائن وتخوين الأمين

حقاً لقد أصبحنا في زمن انعكست فيه الأمور، حيث يؤتمن الخائن ويخون الأمين، مصداقاً لقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه أحمد في مسنده: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة، وحتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين»^(١).

تولي لكع ابن لكع

يخبرنا عليه الصلاة والسلام بأنه سيأتي زمان على الناس، يتولى فيه أمورهم من هو أحمق الرجال، في حديث رواه أيضاً أحمد في مسنده عن هانئ بن نيار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لن تذهب الدنيا حتى تكون عند لكع ابن لكع»^(٢) وروى بعض أصحاب النبي ﷺ قولاً بمعناه: «يوشك أن يغلب على الدنيا لكع ابن لكع»^(٣).

واللكع: هو اللثيم والأحمق والغبي، والمراد أيضاً: قلة العلم. وهذا ما نلمسه في هذه الأيام، في أن غلب على الدنيا أمثال بوش الأحمق وشارون السفاح وغيرهما من زعماء العالم وقادته، الذين باتوا يهددون أمن وسلامة العالم بنشوب حرب إبادية ونووية كبرى.

(١) مسند أحمد (ج ٢/١٦٢) (ح ٦٥١٤) صحيح لغيره.

(٢) مسند أحمد (ح ١٥٨٣٧) حديث صحيح.

(٣) أحمد (ج ٥/٤٣٠) (ح ٢٣٦٥١) حديث صحيح.

ولا يقصد هنا بتولي أمور الناس بعض أمراء العالم وقادته فحسب، بل كل من تولى أمراً - صغراً أم كبيراً - من أمور الناس. فمدير المؤسسة هو ولي أمرها، ومدير المنطقة هو ولي أمرها، وكذلك الأمر في أي دائرة حكومية، كرئيس الدائرة، أو رئيس القسم.. إلخ، ولم تسلم بيوت الله أيضاً من أن تولى بعض أمورها من هم أحق الناس، ولا سيما إذا كان الإمام أو الخطيب، فرض نفسه على الأمر والقوم كارهون له، أو أن تكون جهات معنية أخرى قد فرضته على بيوت الله..

الحظر المفروض على أهل العراق

من كان يصدق أن الحظر الجائر المفروض على أهل العراق، ومنذ حرب الخليج الثانية كان له - وفي أغلب الظن - إشارة في أحاديث المصطفى ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنَعَتِ الْعِرَاقَ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا»^(١)، ومنعت الشام مديها^(٢) ودينارها، ومنعت مصر إردبها^(٣) ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم»^(٤).

جاء في شرح النووي لصحيح مسلم في معنى (منعت العراق) قولان مشهوران: أحدهما: لإسلامهم فتسقط عنهم الجزية، وهذا قد وجد.

والثاني: - وهو الأشهر - أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين، وقد روى مسلم هذا عن جابر قال: يوشك ألا يجيء إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من

(١) القفيز: مكيال أهل العراق.

(٢) المد: مكيال أهل الشام.

(٣) الإردب: مكيال معروف لأهل مصر.

(٤) صحيح مسلم (ج ٤/ ٢٢٢٠) (ح ٧٢٧٧).

قبل العجم، يمنعون ذلك. وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله.

وهذا: قد وجد في زماننا في العراق، وهو الآن موجود. وأما قوله ﷺ: " وعدتم من حيث بدأتم " فهو بمعنى الحديث الآخر " بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ .. انتهى كلام الإمام النووي.

لقد تكرر عبر التاريخ الإسلامي حصار بغداد والعراق عموماً أكثر من مرة، ليعود الآن وبعد حرب الخليج الثانية حصار بغداد من جديد. وبناءً عليه فإن قوة المعجزة في الحديث السابق تكمن في وجود إشارة إلى الحظر الاقتصادي المفروض على أهل العراق، بدلاً من أن تكون تلك الإشارة إلى أسباب ومسببات الحظر، كحرب الخليج، أو غزو الكويت. إذ إن حرب الخليج - وكما نلاحظ - سيطر عليها إعلامياً وبعد الحرب مباشرة، الحظر المفروض على أهل العراق^(١).

(١) لو أعدنا قراءة الحديث السابق بعد سقوط بغداد بتاريخ ٩/٤/٢٠٠٣، وبعدما رأينا كيف أن الترسانة العسكرية العراقية التي ظل يتفق عليها الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين أكثر من ثلاثين عاماً، حتى أنفق عليها طيلة العقود الثلاثة المنصرمة ما يزيد عن نصف مقدرات العراق. ثم كيف أصبحت بين ليلة وضحاها كل هذه الترسانة الصدامية تحت سيطرة القوات الأمريكية، وكيف أن مستودعات الذخيرة والأسلحة المتوسطة والثقيلة، أصبحت كلها تحت قبضة المستعمر الأمريكي، فلعل كان هذا كله مصداقاً لقول الرسول ﷺ في الحديث السابق: " وعدتم من حيث بدأتم" .. وعاد العراق بعد الاحتلال - بالفعل - من حيث بدأ، وشرع بتكوين الدولة العراقية من الصفر! أما الآن وما يدعوا إلى القلق، هو ما جاء في تممة الحديث السابق الذي يشير إلى أن ما حدث للعراق سيتكرر في الشام ثم في مصر .. حيث أن الرسول ﷺ ذكر بعد منع العراق قفيزها ودرهمها أنه سيمنع المد والدينار عن الشام ومثله عن مصر. وما قانون محاسبة سورية الذي صادق عليه مجلس الشيوخ الأمريكي بعد احتلال العراق مباشرة، ثم أتبعه الكونكرس الأمريكي بالمصادقة عليه، ومن ثم الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، إلا بمثابة حجر الأساس لفرض عقوبات اقتصادية جديدة على سورية وعلى غرار ما حدث للعراق قبل الاحتلال. والمقلق أكثر من هذا كله هو تكرار العبارة في الحديث السابق " وعدتم من حيث بدأتم" ثلاث مرات، إذ قد يدل هذا التكرار على أن الشام ستعود من حيث بدأت أيضاً، ومصر من بعدها.. فنسأله تعالى أن يقي هذه الشعوب =

تداعي الأمم على الأمة الإسلامية

كم هي الوصايا والأحاديث، التي حذر بها الرسول عليه الصلاة والسلام أبناء أمته من بعده، كي لا يقعوا في يوم من الأيام فريسةً سائغةً بيد أعدائهم، فتتقاذفهم الأمم وتشعل فيهم نار الفتنة، فيضرب بعضهم بعضاً تارةً، ويكفر بعضهم بعضاً تارةً أخرى...!! ولكن هل من مستجيب؟

ولهذا كان من الطبيعي جداً، أن يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام الأمة من بعده، وكأنه أيضاً مدرك ما هي آيلة إليه في المستقبل.. كما أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا ترتدوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١).

وكما يكون غالباً في كل بيتٍ من يعقّ أبويه، كان في هذه الأمة أيضاً من عق نبيّها، ورسولها عليه الصلاة والسلام، فعصى أبا القاسم ولم يلق بالاً لنصحه وإرشاده، فأشعل في هذه الأمة نار الفتنة التي قد لا تنطفئ إلا بالخليفة المنتظر، ولكن هيهات هيهات من يتعظ ولا ينتظر. ألا يعلم أولئك بأن المقتول في تلك الفتن خير من القاتل؟ ألم يسمعوا قول الرسول ﷺ: «إنها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف، فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل»^(٢)..

= المستضعفة من قبل تلك الأنظمة العلمانية والكولونيالية شر كل هذه الفتن، والقواصم.

(١) صحيح البخاري (ج ٢٦/٢٥٩٤) (ح ٧٠٧٩).

(٢) مسند أحمد (ج ٥/٢٩٢) (ح ٢٢٤٩٩) حديث صحيح.

أخي المسلم: إن حملك للسلاح هو ليس في كل وقتِ نصرَةً أو جهاداً، ما لم يكن دفاعاً عن النفس أو قتالاً ضد الأعداء. ولهذا فالنبي عليه الصلاة والسلام يحذر من حملة، أو حتى المشاركة في القيل والقال فيما لو كانت من أمتة الفتان المتنازعتان - إلا لإصلاح بينهما وردهما عن القتال - في حديث أخرجه البخاري في صحيحه: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاداً فليعد به»^(١).

كما يحذر عليه الصلاة والسلام من اتباع أئمة مضلين، وهم من جلدتنا ويتحدثون بحديثنا، وفي الوقت نفسه هم أصحاب أهواءٍ وبدع، أو قد يكونون على ضلالةٍ وجهالةٍ في فهم النصوص والأحكام الشرعية، ولا سيما فيما يخص أحكام الجهاد الذي لا يبني نتيجة ردود أفعال، أو تحت تأثير مشاعر غضبٍ أو غلٍ تجاه هذا الأمير أو ذاك. فمن عاصر أحداً من هؤلاء الأئمة المضلين فليتبّع جماعة المسلمين وإمامهم، فمن لم يجد لهم جماعة ولا إماماً، فليدع تفرقهم وليعتصم بالقرآن وهدى النبي عليه الصلاة والسلام. . . فعن حذيفة بن اليمان أن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكان يسأله عن الشر فقال: «يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يارسول الله، صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(٢).

(١) صحيح البخاري (ج ٣/١٣١٨) (ح ٣٦٠١).

(٢) صحيح البخاري (ج ٦/٢٥٩٥) (ح ٣٦٠٦).

وكم كان النبي ﷺ يعرب عن قلقه حيال أمته من أمثال هؤلاء الأئمة، الذين يسعون إلى تمزيقها بعد العصبية وتفريقها بعد الوحدة، فيشعلون فيها نار الفتنة التي انبثقت منها هذا الواقع العربي المهزوم، وأفرزت توزعاً ديمغرافياً طوائفياً بغيضاً، أصبح يفضي بين الحين والآخر إلى مشادات مذهبية وتصادمات سياسية طاحنة على كل المستويات، تعيد إلى الذاكرة القواصم التي كانت تعتري الأمة في بداياتها، كلما حاولت حفنة من دعاة الأباطيل والتأويل أن يحدثوا في جدارها الثقافي خرقاً من الغلو والإسفاف العقائدي. . لتبقى تلك الفتنة تستعر بين الفينة والأخرى ولا تنطفئ إلى يوم القيامة. . فقد روى الترمذي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة^(١)، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم^(٢)، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضاً. وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»^(٣).

وكما أسلفنا سابقاً فإن موقعة صفين كانت القاصمة الكبرى التي قصمت ظهر الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ، والتي كان طرفا الصراع فيها آنذاك أكبر فئتين من المسلمين، والتي راح ضحيتها الآلاف من الرجال وأولي القوة والقتال، فكانت درساً تاريخياً للأمة الإسلامية ومن أبلغها وأكثرها كلفة، إلا أنها ومع كل أسف لم تكن الأخيرة.

كما كانت تلك القاصمة السبب الرئيس في تفرق الأمة إلى طوائف

(١) أي: لا يهلكها بجذبٍ وقحطٍ وابتلاءٍ عام.

(٢) بيضة القوم: حوزتهم وحماهم.

(٣) الترمذي، (ج ٤/٤٧٢) (ح ٢١٧٦) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وفرق، أخذ يكفر بعضها بعضاً، ويقطف بعضها رقاب بعض، وكلّ يعتبر حربه وقاتله ضد الفئة الأخرى جهاداً واحتساباً، ويضع وراءه ظهيراً حديث رسول الله ﷺ الذي يقول: «ثلاثة من أصل الإيمان: الكف عن من قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنوب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل. والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل. والإيمان بالأقدار»^(١).

فحكم الجهاد لا زال سارياً، نعم، ولكن كيف؟ وضد من؟ ومتى يصبح الجهاد فرض عين أو فرض كفاية؟.. أسئلة في منتهى الأهمية كم نحن بحاجة إليها في هذا العصر، وللإجابة عنها من قبل علماء متخصصين في الفقه، والسيرة، وإمام ببقية العلوم الشرعية الأخرى؛ ليضبطوا ذلك كله لنا ضمن مقاييس محددة، طبقاً لمقاصد الشريعة الإسلامية وبعيداً عن كل المؤثرات الأخرى، كالتقية من بعض الأنظمة الدكتاتورية، أو الخوف من سياسة الإرهاب العالمي الممثلة بالولايات المتحدة الأمريكية وحليفها إسرائيل..

أيها السيدات والسادة: إن تحرر الأمة الإسلامية من وصايا نبيها عليه الصلاة والسلام، كان قد فتتها إلى دويلات متنافرة تارةً ومتناحرة تارةً أخرى.. فتكالتب عليها الأمم حتى أخذت تنهش من سمينها، وتغرف من مكتنزها.. وبالرغم من كثرتنا، كغشاء السيل صرنا، فلم تعد خلافة توحدنا، ولم يغدُ عدوّ يهابنا، وأمست القضية عند شبابنا، أن نقلد الغرب الذي بات قبلتنا، قفزاً فوق كل المبادئ والقيم التي من أصلتنا، حتى وإن أرغمنا ذلك على أن نتاجر بقضايانا، وعن الأقصى قد تخيلنا.. هكذا نعتنا رسول الله ﷺ في حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع. فقليل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك»^(٢).

(١) سنن أبي داود (ج ٣/١٨) (ح ٢٥٣٢) حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري (ج ٦/٢٦٦٩) (ح ٧٣١٩).

فكان علينا أن ندفع الثمن باهظاً لقاء ما بعناه - وبثمن بخس - من المبادئ والقيم التي هي من أصل ديننا وثقافتنا . فتكاثرت علينا الأمم من كل حذب وصوب، واجتثت المهابة منا من قلوب عدونا، وأغرتنا الدنيا بزهرتها ونضرتها، حتى أشرب في قلوبنا حب الدنيا وكرهية الموت.. أخرج أحمد في مسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها. قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن. قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة، وكرهية الموت»^(١).

وعلى الرغم من ذلك كله فإن هذا لا يزيد المؤمن إلا إيماناً بربه، وتصديقاً بنبيه عليه الصلاة والسلام، ولا سيما بعدما يسمع هذا الحديث الذي يصف فيه رسول الله ﷺ حال الأمة، وما هو واقع بعده بعشرات القرون!! إذ تارة يصف لنا النبي ﷺ الفتن بتفاصيلها وعمومياتها، وتارة يخبرنا عن الفتوحات والانكسارات التي ستعرض لها الأمة من بعده، وتارة أخرى يصف لنا شكل الخلافة وتغيرها من حال إلى حال (راشدية ثم ملكية ثم جبرية)، ثم تتوالى القرون والعصور فيثبت التاريخ لنا صدق هذا النبي الأمي الذي لم يكن ينطق عن الهوى .. فقد روى أحمد في مسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً^(٢) فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»^(٣).

(١) مسند أحمد (ج ٥/ ٢٧٨) (ح ٢٢٣٩٧) حديث صحيح.

(٢) عاصياً: فيه عسف وظلم.

(٣) مسند أحمد (ج ٤/ ٢٧٣) (ح ١٨٤٠٦) إسناده حسن.

والرسول عليه الصلاة والسلام ما أخبرنا بداء سيصيب الأمة من بعده،
إلا ووصف معه الدواء لنا، فيا ترى ما هو هذا الدواء؟

وما أحوجنا أيضاً إلى معرفته في هذه المرحلة الحرجة التي تمر بها
أمتنا اليوم؟

يجيبنا عن ذلك حديث رواه الدارمي في سننه عن علي كرم الله وجهه
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها؟
قال: كتاب الله كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما
بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله،
ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر
الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء^(١)، ولا
تلتبس به الألسنة^(٢)، ولا يشع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد^(٣)،
ولا تقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا
قرآناً عجباً، هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به
أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم^(٤).

بات الآن واضحاً سبب الداء الذي ابتليت به هذه الأمة، وعرفنا ما هو
الدواء، فهل من مذكر؟.. الأمة أيها السادة أمانة بيد الملوك والأمراء، فإن
امثلوا لأمر الله واحتكموا لشرعه وكتابه حتى كانوا ممن يقيم حدوده،
ويحل حلاله، ويحرم حرامه، فقد فازوا ونجوا وأنقذوا الأمة بعد النذل
والهوان.. وإن تولوا وأعرضوا عن ذكر ربهم فمنهم لله..

وإن أعرضوا عن كتاب الله، فلا يجوز لأي مسلم كائناً من كان أن

(١) لا تضل ولا تضرب.

(٢) لا تشبه ولا تختلط فلا تعرف الحقيقة.

(٣) لا يبلى من كثرة المراجعة.

(٤) سنن الدارمي (ج ٢/٥٢٦) (ح ٣٣٣١) في إسناده رجلان مجهولان. وفي رواية أخرى
للحديث (ج ٢/٥٢٧) (ح ٣٣٣٢): رجاله ثقات.

يرفع السيف ليقتل من رجالهم من قد يكون بريئاً، ولا يجوز لأي مسلم التعامل مع أي جهة كانت؛ لضرب آلة الحكم القائمة في البلاد ما لم يكن القائمون عليها يأمرون الناس بالمنكر، وينهون عن المعروف، أو ما لم يثبت على أحدهم كفر بواح.

هذا ما أكدته فضيلة العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (الجهاد؛ كيف ندرسه وكيف نمارسه)، مدعماً رأيه هذا بأحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من خرج على أمتي يضرب برّها وفاجرّها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى لذي عهدٍ عهده، فليس مني ولست منه»^{(١)(٢)}.

وفي هذه الحال أعظم الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر! فإن كنت أخي المسلم ممن يغار على دينه، أو أنك تدّعي في نفسك الجرأة والشدة في دين الله فاصبر على أميرك مهما يكن ظالماً لك، واصدع أمامه بكلمة الحق سواء بدعوته إلى كتاب الله أو بالجهر ضد الفساد، كما وعظنا بذلك رسول الله ﷺ في حديث أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إن من أعظم الجهاد، كلمة عدل عند سلطان جائر»^(٣).

وفي صحيح البخاري: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(٤).

(١) صحيح مسلم (ج ٣/١٤٧٦) (ح ٤٧٨٦).
(٢) ويقول فضيلته في الصفحة (١٤٧) من كتابه: إن الحاكم على كثرة من الناس مسلمة في دولة إسلامية، إذا أعلن خروجه عن الإسلام بكفر بواح صريح لا يحتمل التأويل، يجب الخروج عليه ونزع البيعة من يده. فإذا اتخذ هذا الحاكم من الخارجين عليه موقف المقاومة بالقوة، فقد تلبس عندئذٍ بالحرابة فوق الكفر الذي أعلنه. وعلى المسلمين التصدي لمقلومته والوقوف في وجه عدوانه.

(٣) سنن الترمذي (ج ٤/٤٧١) (ح ٢١٧٤) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) صحيح البخاري (ج ٦/٢٥٨٨) (ح ٧٠٥٣).

إذاً؛ فلا يحق لأي مسلم الخروج عن طاعة الأمير قيد أنملة، لما في ذلك من خطر يهدد أمن الجماعة بأكملها. ويا للغرابة من أولئك الذين لا يعجبهم هذا الكلام على الرغم من أنه ليس بقولي، وإنما استدلال من هدي النبي عليه الصلاة والسلام، وعلى الرغم من كل تلك الدروس والتجارب التي خاضتها الجماعات الإسلامية، سواء أثناء الحروب الطائفية، أو في قتالها للحكام. تلك الحروب التي راح ضحيتها - بالدرجة الأولى - الأبرياء والمستضعفون من الناس، ثم بعد هذا كله يأتي أحدهم ليقول: إن هذا من كلام علماء الحكام والسلاطين ولا يتكلمون ذلك إلا نفاقاً. ولا أقول لمثله إلا: أصلحنا الله وإياك.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

كما أرجو منك قارئ العزيز أن لا ينتاب فهمك لكلامي هذا، أنني أحضك على الرضى بالذل والهوان، أو الإذعان لبعض الملوك والحكام الذين ما برحوا من سفك الدماء، وكم الأفواه، وابتلاع خيرات البلاد، أو أنني أقلص من أهمية الجهاد فتتقاعس عنه وقت النداء، ففلسطين وغيرها من بلاد العرب والمسلمين قد بُحَّ صوتها من كثرة الصياح، وهي تنادي: وامعتصماه.. وامعتصماه.. وامعتصماه..

ولكن كن أخي المسلم على يقين بأن الله تعالى سيقضي أمراً كان مفعولاً فيما لو اعتصمت بوصايا رسوله عليه الصلاة والسلام، دونما تعرض أمنك، وأمن بلدك وأمتك للخراب والدمار، إذ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيِّبَاتُ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّكُمُ فِيْ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ صدق الله العظيم.. [الأنفال: ٤٤].

وروى نعيم بن حماد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سترون أموراً تنكرونها، فعليكم بالصبر، ولا تغيروا، ولا

تقولوا: نغيّر، حتى يكون الله تعالى هو المغيّر»^(١).

وأخيراً - فمن لا يزال مصرّاً أن ما تقدمنا به هو مناقض في نظره لكتاب الله وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام - أقول له: إن كان ما تقول صحيحاً فمن حقنا الاجتهاد حسبما نراه مصلحة للأمة، كما أننا لا نسلب غيرنا الحق في الاجتهاد فيما هم يرونه مصلحة للأمة كذلك، ما توفرت النية الصادقة والعلم الكافي بالقضية. فنحن بإذن الله لا نسيء الظن بمن خالف رأينا، ولا نتهمه باتهامات سنسأل عنها يوم القيامة، ونقتدي بما قاله وسار على نهجه بعض الأئمة والسلف الصالح رحمهم الله: «رأينا صحيح يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصحة»^(٢).



(١) (الفتن) لنعيم بن حماد (ج ١/١٨٦) سنده ضعيف. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه

(٥٠٨/٧)، شعب الإيمان للبيهقي (٦/٦٣).

(٢) حاشية ابن عابدين (ج ١/٤٩).

عصر الإنجازات العلمية والاكتشافات

● القرآن المعجزة الخالدة والمتجددة

● الإعجاز العلمي في القرآن

● الإعجاز العلمي في السنة

● أحداث الحادي عشر من أيلول

القرآن المعجزة الخالدة والمتجددة

أرسل الله الرسل كلاً بلسان قومه ليبينوا لهم ما أنزل إليهم من ربهم ولينذروهم لقاء يوم عظيم، فأيد الله رسله - إضافة إلى الكتب السماوية - بالبراهين التي تؤكد صدق رسالتهم، فكانت المعجزة من أهم البراهين التي أقيمت بها الحجة على الناس بعد الكتب.

وكانت معجزة كل نبي مقرونة بالفعل الذي اشتهر به القوم الذين أرسل إليهم، فنبى الله موسى عليه الصلاة والسلام حيث كان قومه يعرفون ببراعتهم في السحر، فقد جاءت معجزته عليه السلام قرينةً للسحر وتحدياً للسحرة، فأظهره الله عليهم وأذعن البعض منهم للحق بعدما أقلعوا عن الباطل. وقد حدثنا القرآن الكريم عن حكايتهم هذه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْتِجُكَ بِالسِّحْرِ وَإِنَّا لَمُكْرِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُكْرِبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِهْنِيذِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ [الشعراء: ٤١ - ٤٧].

أما نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام فقد كان قومه يعرفون بمهارتهم في الطب، وشفاء المرضى، ولذا كانت المعجزة التي أيده الله بها أن أبرأ لهم الأكمه والأبرص، وشفى مرضاهم من الأوجاع التي استعصى برؤها على أقوى أطباء القوم، بل وتعدى هذا الأمر إلى أن أحيا لهم الموتى بإذن الله، فأمن معه من آمن، وكفر به من كفر كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ لِيُحْيِيَ لَكُمْ مِنَ الطَّلِينِ

كَهَيْسَةَ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُتْرَى الْأَكْمَمَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحَى
الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنْبِثُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[آل عمران ٤٩] .

أما محمد ﷺ وبما أنه خاتم الأنبياء والمرسلين؛ ولأن الله تعالى يعلم
أن عصوراً من بعده ستأتي، ولكل منها خصائصه التي يختلف بها عن
خصائص العصر الذي يسبقه، أو الذي يليه، فقد كانت معجزته عليه
الصلاة والسلام متجددة ومتعددة لتلاءم بذلك مع طبيعة كل عصر.

ولنبداً من عصر النبوة، حيث كان العرب في شبه الجزيرة العربية يعرفون
بقوة البلاغة والشعر، وكانت تعقد هناك الندوات الشعرية والأدبية ليتبارى
فيها الأدباء والشعراء، كما كان السحرة في زمن موسى عليه الصلاة والسلام
يجتمعون فيتبارون بالسحر، وخلف من بعدهم قوم عيسى عليه السلام حيث
كان أطباء قومه يجتمعون ليتنافسوا في الطب وشفاء المرضى.

أما وقد جاء عصر الأدباء والشعراء، فقد جاء القرآن بإيقاعه وجرسه الذي
استولى على عقولهم ومشاعرهم، يتحدى كل بلغاء العرب وجها بذة العصر،
الأمر الذي دفع بالبعض إلى أن يهجر الشعر، ولا سيما بعدما تلذذوا بحلاوة
القرآن التي لم يعد في مخيلتهم يعدلها شيء. فهذا هي الشاعرة والصحابية
المعروفة الخنساء، تسألها ذات يوم السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: أين
شعرك يا خنساء، فأجابتها الخنساء: أو بعد كلام الله أقول كلمة؟!!

وذاك الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فقرأ عليه
النبي ﷺ شيئاً من القرآن، فكأن قلبه قد رق، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام
فأتاه فقال: أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم، قال:
يعطونك إياه، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش
أني أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال وأنت
كاره له، قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا
أعلم برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً

من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليحطم ما تحته ، ويعلو وما يعلى عليه^(١) ..

وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام دخل التاريخ عصراً راشدياً جديداً ، فمن خصائص المعجزة في ذلك العصر أن بدأت تتحقق نبوءاته ﷺ كما أخبر عنها ، وقد ذكرنا في فصول سابقة بعضاً منها كقصة كلاب الحوآب ، وقميص عثمان ، وموقعة صفين ، كما تنبأ عليه الصلاة والسلام بمقتل واستشهاد عمر وعلي والحسين .. إلخ ، وكل ما أخبر عنه عليه الصلاة والسلام وقع تماماً كما أخبر .. فتلك كانت طبيعة المعجزة في ذلك العصر .

ثم بدأت تتغير طبيعة وشكل الخلافة كما أخبر عنها الرسول ﷺ في حديث سابق ؛ من راشدية إلى ملكية ثم جبرية ، بعدما سقطت الخلافة الإسلامية وقامت على أنقاضها الدول الغربية ، فبرعت تلك الدول في مجال العلم والتكنولوجيا ، وأخذ الناس ينهرون بتلك الإنجازات العلمية والاكتشافات التي ما برح الغرب يتوصل إليها تباعاً ودون انقطاع ، ليدخل التاريخ عصراً جديداً .. ألا وهو عصر الإنجازات العلمية والاكتشافات .

وهنا تتجدد معجزته ﷺ في القرآن الكريم ، الذي ما أخبر عن حقيقة علمية من حقائق هذا الكون اللامتناهي الأطراف إلا وجاء العلم ليثبتها ومؤكداً عليها . كيف لا والله الذي خلق كل شيء؟ ألا يعلم ما خلق وهو القائل في كتابه : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿سبأ: ٢ - ٣﴾؟ .

وقال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿الأنعام: ٥٩﴾ .

(١) شعب الإيمان لليهقي (ج ١/١٥٧) .

صحيح أن الغرب بكده وجدده هو الذي يطور أجهزته فيكتشف لنا الحقائق العلمية التي غالباً ما تكون خدمة للإنسانية، ثم يأتي وبكل سذاجة ليرد عليهم بعض البسطاء من المسلمين قائلاً: إن ما ترهقون به أنفسكم وتنفقون عليه المليارات من الدولارات، لو أنكم سألتمونا عنه لأجبناكم مما عندنا في القرآن، ولكنتم حينها وقّرتم على أنفسكم، وأرحتم واسترحتم!!

ولا داعي للردّ على مثل هذا الكلام بعدما نعتنا صاحبه بالسذاجة؛ إذ إن كلام البسطاء - ومن أية فئة كانوا - لا يعمّم على النخب المثقفة والواعية التي تقود طلائع المجتمع، كما أننا لا نريد أن نحلل الأسباب التي أوصلت الأمة إلى هذه الحال، وإلا سنضطر وقتها للدخول في باب السياسة والتاريخ، وسنخرج عن موضوع الكتاب.

وكون الغرب هو الذي يكتشف لنا الحقائق العلمية، سواءً بالتجربة أو المشاهدة، أو البحث العلمي، ثم نحن نقوم باكتشافها في القرآن الكريم، فاعلم أخي المسلم أن هذا الواقع الذي لا نرضاه لأنفسنا، هو في الوقت نفسه يزيد المؤمن إيماناً بربه، وبأن هذا القرآن هو كلام الحق جلّ وعلا الذي أخبرنا عن هذه الحال التي وصلنا إليها، وبأن الغرب هو الذي سيكتشف لنا آيات الله في الآفاق وفي أنفسنا. . كما قال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فلو أن المسلمين هم الذين كانوا يكتشفون الحقائق العلمية، ومن ثم أتت متطابقة مع ما تشير إليه بعض الآيات القرآنية، لاتهمنا الغرب على الفور وقالوا: أنتم يا مسلمون الذين وضعت هذه النظرية حتى جعلتموها مطابقة للآية القرآنية.. أليس كذلك؟

والآن وقد دخل العالم الألفية الثالثة، ودخل معه عصرٌ جديدٌ.. عصر الأتمتة والبرمجة.. عصر الإلكترونيات والرقميات.. ووفقاً للنظرية التي

صيغت على أساسها معجزة القرآن الكريم التي تنص على ضرورة تجديد المعجزة مع تجدد العصر، فقد ظهر ما يعرف الآن بـ (الإعجاز العددي في القرآن) والذي يأتي ضمن ما يعرف في العصر الحديث بـ (الإعجاز العلمي في القرآن).

ولا بد هنا من الإشارة إلى الأمرين التاليين:

أولاً: إن تجديد المعجزة لا يعني بالضرورة نسخ المعجزة السابقة، بل تضاف إلى سابقتها وتبقى المعجزة الجديدة الأكثر إعجازاً واستغراباً لدى أبناء عصرها.

ثانياً: ناظر أحد أتباع المذاهب الليبرالية فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني قائلاً له: افرض أن العلم تقدم واكتشف أن إحدى هذه الحقائق العلمية التي اكتشفها علماء اليوم - وأنتم يا مسلمون كنتم قد فرحتم وابتغظتم كثيراً عندما وجدتم أنها جاءت متطابقة مع ما تومي إليه إحدى الآيات القرآنية - فتبين فيما بعد عدم صحتها، ومن ثم برهن العلم على حقيقة علمية مناقضة للأولى.. فكيف سيكون موقفكم آنذاك؟.

ومن قبل أن نكمل الحوار عزيزي القارئ، لا بد أولاً أن نعرف ما هو الفرق الأساسي ما بين الحقيقة العلمية، والنظرية العلمية:

فالحقيقة العلمية: هي النتيجة التي يتوصل إليها العالم أو الباحث سواءً بالتجربة، أو المشاهدة، أو البحث العلمي، وبالاستعانة بإحدى الوسائل التقنية، أو القوانين الفيزيائية، أو الرياضية.. بحيث لم يعد هناك أدنى مجال للشك في صحة تلك النتيجة بعد إثباتها.

ومثال ذلك: كروية الأرض: أثبتها العلم بالمشاهدة وبالعين المجردة والتقط لها صوراً من الفضاء مما أكد تلك الحقيقة، فهل من المنطق - بعد هذا كله - أن نفترض بأن العلم قد يتقدم فيثبت لنا أن الأرض مربعة أو مثلثة؟!.

أما النظرية العلمية: فهي النتيجة التي يستخلصها الباحث من خلال

دراسته لفرضية علمية ما دون أن يراها رأي العين، وبالتالي فهي قابلة للتغيير والتبديل حسبما يستجد من حقائق علمية جديدة، أو مشاهدات لم تكن شوهدت من قبل.

ومثال ذلك أيضاً: نظرية داروين التي توصل بها إلى أن أصل الإنسان كان من القردة، ومما لا شك فيه أن داروين لم ير بأم عينيه النشأة الأولى للإنسان، كي يقرر بأنها جاءت من القردة، أم من آدم وحواء كما أخبر عنه القرآن الكريم.

ومن هنا وبعد أن عرفنا الفارق الرئيس بين الحقيقة العلمية والنظرية، نقول: بأن الحقيقة العلمية والمحتّم صحتها يتفق عليها المسلمون وغير المسلمين. أما النظرية فكل فريق حرّ بما يؤمن ويعتقده، طالما أن العلم لم يتأكد من صحة تلك النظرية بعد، التي - كما قلنا - هي قابلة بين الفينة والأخرى للتغيير والتبديل حسبما يستجد من حقائق علمية جديدة.

وبالضبط هذا ما حدث لنظرية داروين التي مسخت من أساسها بعد اكتشاف الكروموزومات التي أكدت على وحدة النوع لكل من الأنواع الحية، وبأن أصل الكائن هو من نفس الجنس حتماً، ومن ثم برهن العلم على صحة حقيقة القرآن الكريم، وبطلان (خرافة) داروين.

بالإضافة إلى ذلك ومن خلال اطلاعنا على العديد من النظريات العلمية، كالتي فسرت أصل الكون، وعمره، وعمر الأرض، والنظرية النسبية. . وغيرها من أحدث النظريات التي حقيقةً تذهل العقل، وتثير الدهشة من هذا التطابق الرهيب فيما بينها وبين ما جاء في القرآن الكريم، والتي لم أطلع على أيّ منها حتى الآن ثم وجدتها متناقضة مع ما يقرره القرآن الكريم من حقائق علمية وكونية، بعد نظرية داروين التي مسخت - كما أسلفنا - من جذورها.

والحقيقة العلمية إذا ثبت صحتها لا بد لها أن تأتي مطابقة لما نصّ عليه القرآن الكريم. من هنا ورداً على فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عندما صرّح بضرورة الأخذ بما أقره العلم، ريثما يتحقق العلم من صحة ما تنبأ به القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن فضيلته أكد في ندوات لاحقة أن العلم لا يمكن أن يتناقض مع ما ينص عليه القرآن الكريم^(١).

وأنى لمثلي أن يقف أمام هذا العالم الجليل ليصحح له أو يخالفه الرأي، ولكنها الأمانة التي حمّلت في أعناقنا ألا نكتم الحق الذي نراه، وإن كان ذلك أمام خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله تعالى عنهم أجمعين. كيف لا؟ والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

هذا لا يعني أن ما أقوله هو الحق بعينه وقول فضيلة العلامة هو الباطل، معاذ الله. بل أجتهد بما أراه هو الحق، والله تعالى أعلم بالحق منا جميعاً..

أذكر فضيلته بالبحث الذي تقدم به في بداية كتابه (كبرى اليقينيّات الكونية) الذي كان تحت عنوان (المنهج العلمي للبحث عن الحقيقة عند علماء المسلمين)، وأذكر أيضاً فضيلته بما قاله في الصفحة الأولى: (كان على كل باحث عن حقيقة أن يخط إليها منهجاً علمياً لا يشوبه الحدس أو

(١) فقد ورد في الصفحة (٨٠) من كتاب فضيلة العلامة (الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية): فالقرآن يقرر بوضوح أن على الإنسان أن لا يُخضع ذاته لأي تبعية فكرية أو اعتقادية أياً كانت، إلا بعد أن يتأكد من توقيع الحقيقة العلمية عليها، وبعد أن يتأمل فيتأكد أنه ليس توقيعاً مزيفاً ملصقاً بها..

وفي الصفحة (٨٣): يقول فضيلته أيضاً: ومعنى ذلك: سر مع الحقيقة العلمية أتى سارت، ولا تسلم يقينك إلا لما دلّ الميزان العلمي الحر على أنه حقيقة ثابتة، لا وهم وخيال. أي فليس للإسلام حكم على شيء من تلك المذاهب والأفكار، إلا حكم العلم ذاته.

الوهم، وأن يلتزم هذا المنهج لا ينحرف عنه يمناً ولا يسرة).

فكيف لفضيلة العلامة أن يبرهن للقارئ أن المنهج الذي سلكه علماء المسلمين للبحث والوصول بهم إلى الحقيقة القرآنية - والتي من أهمها صدق وصحة الرسالة بشرطها القرآن والسنة - فأثبت للقارئ أن هذا الأسلوب من البحث هو منهجٌ علميٌ ولا يقل أهمية ولا موضوعية عن بقية العلوم الأخرى، ثم يضيف فضيلته: إن من سلك منهجاً علمياً للبحث عن الحقيقة، عليه أن يلتزم هذا المنهج ولا ينحرف عنه يمناً ولا يسرة.

وأسأل هنا فضيلته: أليس اتباعنا لما أقره العلم إن كان مغايراً لما يقره القرآن أو السنة، انحرافاً عن المنهج الذي اتبعه علماء المسلمين والذي توصلوا من خلاله إلى اليقين بصدق كل حرف من حروف القرآن الكريم، وبصدق كل ما أخبر عنه وقرره من حقائق علمية وغيبية؟

فعلى سبيل المثال: إذا نص القرآن الكريم بأن على الأمهات أن يحملن ويفطمن أطفالهن في عامين، ثم قال العلم غير ذلك، أن الحمل والقطام يجب أن يكون في مدة قدرها ثمانية عشر شهراً إذ هو أنجع للطفل، ثم أخذت الأمهات يفطمن أطفالهن بعد حمل وفصال مدة ثمانية عشر شهراً، ومع مرور الوقت لاحظ الأطباء تدهوراً في صحة الأطفال الذين فطموا قبل المدة التي حددها لهم القرآن الكريم؛ ليصل بعدها العلماء إلى نفس النتيجة التي أقرها القرآن.

أليس اتباعنا هنا لما أقره العلم وإعراضنا عما نص عليه القرآن، قد أضر بصحة الأطفال الذين فطموا قبل المدة التي حددها لهم القرآن الكريم؟

وأذكر مثلاً آخر وقع بالفعل أقر فيه العلم حقيقة علمية كانت مغايرة لما نص عليه القرآن، ثم أثبت فيما بعد أن ما أقره القرآن هو الصواب:

كان العلم في منتصف القرن الماضي يقرر بأن مراحل تشكل الجنين

تنتقل من النطفة إلى العلقة إلى المضغة، ثم يتشكل اللحم وبعده العظام . إلى أن جاء العالم والطبيب المشهور (نلسن)، الذي حاز على جائزة نوبل للتصوير الطبي، بعدما أثبت هذا العالم بواسطة التصوير الشعاعي أن مرحلة المضغة يتبعها مباشرة تشكل الغضروف العظمي، وذلك قبل بضعة أيام من بدء اكتساء الغضروف العظمي باللحم . أي على عكس ما كان يقرر العلم، ومطابقاً لما أقره القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُرْسَلَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤] .

فلو أخذ العلماء يركبون بعض الأدوية من مواد كيماوية مختلفة لعلاج بعض أمراض العظام وغيرها من أعضاء الجسم، واستندوا في أبحاثهم عند تركيبهم لتلك الأدوية على الفرضية الأولى التي كانت تقول بأن اللحم يتشكل قبل العظام، فما من شك أن تلك الأدوية ستكون حينها ضارة بدلاً من نفعها، لأنها استندت على فرضية علمية خاطئة.

إذاً؛ أليس من الأنجح أن يعتمد العلماء في أبحاثهم الطبية والعلمية والنفسية.. إلخ على ما ينص عليه القرآن الكريم، ريثما هم الذين يصلون إلى الحقيقة العلمية التي أقرها القرآن، لا العكس؟

لاشك أن ذلك خير وأحسن مما ذهب إليه وقاله فضيلة الدكتور البوطي.. أطال الله في عمره؛ ليكون ذخراً لهذه الأمة وفي وقت هي بأشد الحاجة إليه، ولأمثاله من العلماء الذين كما قال فيهم رسول الله ﷺ: «هم وريثة الأنبياء»..

وهذا لا يعني أن نقف عند ما صرح به القرآن الكريم، ونعتمد الحقائق العلمية التي نص عليها كقواعد أساسية لأبحاث علمية أخرى دون معرفة التفسير العلمي لذلك، بل علينا أن نستمر في البحث والكشف لنصل إلى

التحليل والتفسير العلمي لكل ما أخبر عنه القرآن الكريم؛ لأن ذلك سيزيد المؤمن إيماناً بربه وفي الوقت ذاته، قد تكتشف لنا حقائق علمية جديدة لم تكن في البال فتكون خدمةً للبشرية جمعاء.

عود على بدء:

بعدما عرفنا الفارق الرئيس ما بين الحقيقة العلمية والنظرية، سنكمل الآن الحوار الذي دار ما بين فضيلة الشيخ الزنداني، والمتسائل الذي افترض بأن العلم قد يتقدم ويصل في المستقبل إلى حقائق علمية غير التي وصل إليها الآن، والتي جاءت متطابقة مع ما نص عليه القرآن الكريم.. فأجابه فضيلة الشيخ الزنداني: أنفك هذا أليس حقيقة علمية. قال: نعم. قال: إذا؛ لا نستبعد أن العلم غداً قد يثبت لنا أن ليس لديك أنف.. فابتسم فضيلة الشيخ، وفرّ المتسائل كأنه من حمر مُستنْفِرة فرّت من قسورة.



الإعجاز العلمي في القرآن

١ - القرآن يفسر أصل الكون كما أثبتت النظرية الحديثة (BIG BANG):

أثبت العلم الحديث أن المجرات بما فيها من نجوم وكواكب كانت كتلة واحدة، فحدث الانفجار العظيم مما أدى إلى تناثر المادة. ولعلّ القرآن الكريم يؤكد لنا هذه النظرية قبل العلم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا^(١) فَفَنَقَّصْنَاهُمَا^(٢)﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ليصبح الكون بعد الانفجار العظيم عبارة عن دخان من المادة الكونية الأولى، ثم بعد ذلك تم تجمع الكتل الغازية، فتشكلت الكواكب والنجوم. وهذا أيضاً ما أكدته القرآن الكريم ربما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١١ - ١٢].

٢ - القرآن يقرر بأن الكون يتمدد ويتوسع:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

أثبت العلم أن النجوم تبتعد مساراتها رويداً رويداً عن مركز المجرة، وشبه العلماء هذه الحادثة بالبالون المنفوخ باستمرار، وبالتالي فإن الكون - وحسب تعبير العلماء - يتوسع إلى ما لا نهاية.

(١) متصلة بعضها ببعض.

(٢) فصلناهما عن بعضهما.

٣ - لعل القرآن يشير قبل العلم إلى أن الفضاء شديد الظلام :

قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ﴿٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

وقال أيضاً: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ حَلَقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغَطَّسَ ﴿١﴾ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ - ٢٩].

تشير الآيتان السابقتان إلى أن السماء في ظلام دامس، وقد أكد رواد الفضاء هذه الحقيقة على الرغم من وجود الشمس والنجوم بكثافة عالية في الفضاء، وفسر العلماء هذه الظاهرة بأن الضوء لا يرى بذاته، ولكنه يرى بالانعكاس على ذرات الهواء الموجودة في الغلاف الجوي للأرض، وبما أن الفضاء خال من الهواء لذلك فإن الضوء لا يجد شيئاً يعكسه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾. هذا ما قد يدلل أيضاً على انقطاع نور الشمس عند مروره في الفضاء حيث الظلام الدامس، حتى إذا ما وصل إلى الغلاف الجوي للأرض خرج نور الشمس، وهو ما يعرف بالضحي.

٤ - توازن الكون يعتمد على أعمدة غير مرئية :

يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢].

أما العلم فقد فسّر توازن الكون بأنه يعتمد في ثباته واستقراره على أربع قوى (أعمدة) لا ترى، وهي: قوة الجاذبية - القوة الكهرومغناطيسية - القوة النووية القوية - القوة النووية الضعيفة.

٥ - إعادة خلق السماوات والأرض :

وقد فسّر العلماء ذلك حينما قالوا بأن الكون سيستمر في التوسع، حتى تتساوى فيه القوى الجاذبية والقوى المضادة للجاذبية مما يؤدي إلى توقف

(١) جعل السماء في ظلام دامس.

التوسع ، وبالتالي يبدأ هنا بالانكماش على نفسه ، حتى يصل إلى مرحلة تجمع فيصبح كتلة عالية الكثافة لا تلبث أن تنفجر وتحول إلى دخان ، ثم تتشكل كواكباً ونجوماً جديدة مثلما تشكلت في المرة الأولى . . كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم : ٤٨] .

وقال أيضاً : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

٦ - هل قرأ أنشتاين القرآن أم أن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تنبأ بنظرية أنشتاين؟

يقول العالم الألماني أنشتاين : إن كل شيء يتحرك يحمل معه زمنه ، وكلما تحرك الشيء أسرع فإن زمنه سينكمش بالنسبة لما حوله ، وهذا ما أثبتته العلم . فلوركبنا في صاروخ سرعته (٨٠٪) من سرعة الضوء إلى نجم يتعد عنا مسافة (٤٠) سنة ضوئية ، فإننا سنصل إليه بعد (٥٠) سنة من زمن الأرض و(٣٠) سنة حسب زمن الصاروخ ، ومعنى ذلك أن الآباء الذين في المركبة بعد عودتهم إلى الأرض يكونون أصغر سناً من أبنائهم على الأرض .

أما إذا كانت سرعة الصاروخ قريبة من الضوء ، فإن الرحلة التي تستغرق (٥٠٠٠٠) سنة بالنسبة لزمن الأرض ، يمكن أن تدوم يوماً واحداً بالنسبة لزمن الصاروخ ، وهذا ما يطابق زمن سفر الملائكة كما جاء في الآية الكريمة : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج : ٤] .

وحيثما قال تعالى : ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة : ٥] .

قد يظن بأن هناك تناقضاً بين الآيتين ، إلا أن ما أكدته النظرية النسبية والتي تقول بأن الانكماش الزمني يزداد كلما زادت السرعة ، وعلى هذا فإن عروج الملائكة يتم في يوم مقداره (٥٠٠٠٠) سنة أكبر من سرعة الأشياء الكونية التي تعرج في يوم مقداره (١٠٠٠) سنة .

من هنا وحسب النظرية النسبية لأنشتاين لو وجد كائن يسير بسرعة أكبر من سرعة الضوء لتلاشت أمامه المسافات مهما عظمت، وهذا ما قد يفسر رحلة الإسراء والمعراج التي خصّ بها رسول الله ﷺ، ومن أن المعراج الذي عرج عليه رسول الله ﷺ كانت سرعته أكبر من سرعة الضوء.

إن النظرية النسبية هذه تسمح بوجود أشياء سرعتها أكبر من سرعة الضوء، وهذا ما عبر عنه العلم الحديث بـ (التاشيون)، وهي دقائق تخيلية لم يرها أحد ويفترض العلماء أنها تسير في اللازم، وأي حركة للتاشيون يعني حدوث النتائج قبل حدوث المسببات، أي أن مهمة التاشيون هي معرفة المستقبل، بل هو ترجمة وتنفيذ تخيلي لما سيحدث بالضبط للأشياء في المستقبل، أي أن النتائج تظهر قبل حدوث المسببات وكأننا نرى المستقبل قبل حدوثه، وربما هذا الذي يفسر ما يحدث في المنامات أن الرجل أحياناً يرى المستقبل قبل وقوعه.

وهذا أيضاً ما يشغل بال المفكرين في الشرق والغرب كيف أن النائم يكشف له المستقبل! ولهذا السبب فإن علماء المعسكرين الغربي والشرقي، في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي (سابقاً)، ومنذ عقود يدرسون هذا السر ويحاولون الوصول إليه للتحكم في هذه الظاهرة؛ ليتمكنوا من استخدامها - ولا سيما في المجالين العسكري واللوجستي - لأنهم يعتقدون أنه من نجاح في هذا المجال سيشكل تفوقاً على المعسكر الآخر، فهم يقولون: لو استطعنا أن نعرف السر في كيفية رؤية النائم للمستقبل؛ لاستطعنا التحكم في هذه الظاهرة، ولقمنا بتنويم رجل ثم نتحكم بمناماته ليرى لنا ماذا ستفعل أمريكا مثلاً بعد سنة؟! أو من سيكون حلفاؤها ومن سيكون أعداؤها..؟ وبالتالي يستطيعون أن يعرفوا كل ما سيفعل عدوهم في المستقبل، فيأخذوا حذرهم ويعدّوا له عدتهم.

إلا أن السؤال: هل النائم الذي يرى في منامه أنه ذهب، وأكل،

وتحرك، فانكشف له حجاب الزمن ورأى ماذا سيحدث في المستقبل، هو نفسه الذي نام على السرير؟ قطعاً لا، وإنما الذي تحرك وغادر ثم عاد، هي النفس التي تسكن هذا البدن كما يصور تعالى هذه الحالة لنا في كتابه العزيز: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

إلا أن هذه الدقائق التخيلية (التاشيون) - وحسب النظرية النسبية - قد تصل إلى جهتها المقصودة قبل أن تقوم من مكانها التي تنطلق منه؛ لأن سرعتها - كما قلنا - أكبر من سرعة الضوء. وما أدراك لعل القرآن الكريم قد أشار إلى مثل هذه الظاهرة، التي تعدّ من أحدث النظريات العلمية ومن أكثرها دهشةً واستغراباً، حينما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النحل: ٤٠].

وفي إعجاز قرآني آخر لهذه النظرية نجد أن النظرية النسبية تؤكد على اندماج المادة والطاقة حسب المعادلة التالية:

$$\text{الطاقة} = \text{الكتلة} \times \text{مربع سرعة الضوء}$$

وعلى هذا الأساس فإن المادة قد تتحول إلى طاقة في عملية تسمى (التمويج)، أو أن الطاقة تتحول إلى مادة في عملية تسمى (التجسيد)، وهذا ما قد يفسر تجسد الملائكة وظهورهم على هيئة بشر، إذ بات هذا الأمر مقبولاً علمياً طبقاً لنظرية أنشتاين، أما القرآن الكريم فقد أشار إلى هذه النظرية قبل أربعة عشر قرناً حينما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا^(١) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

هذا لا يعني أن الملائكة حينما تسير في مساراتها الكونية واللاكونية، أنها تخضع لقوانين الحركة والطاقة (كعمليتي التمويج والتجسيد السابقتين)، أو

(١) روحنا: روح القدس. أي: جبريل عليه السلام.

كالتي يعتمد عليها توازن الكون وحركة أجرامه وذراته . ولكننا نرمي من ذلك ، ومن إسقاط نتائج النظرية النسبية على بعض آي الذكر الحكيم - كالتي تضمنت أحداثاً غيبية ، ولا سيما فيما يتعلق بمسارات الملائكة وتحولها إلى هيئات أخرى ليستطيع الإنسان التخاطب معها - نرمي من ذلك إلى الوصول في النهاية إلى حقيقة منطقية مفادها : إذا كان العلم قد أقر بإمكانية وقوع مثل تلك الغيبيات ، فمن باب أولى أن نؤمن بها ونصدق وقوعها كونها تحدث بأمر وإخبار مباشر من الله عز وجل الذي يحكم كل هذه القوانين الكونية واللاكونية ، لا القوانين هي التي تحكم قدرة الله تعالى^(١) ..

وأخيراً؛ وتتميماً لإعجاز النظرية النسبية في ضوء الآيات القرآنية ، فقد أثبتت النظرية بأن الضوء مثل المادة ينحني أثناء مروره في مجال تجاذبي ، وعلى هذا فإن الحركة في الفضاء الكوني لا تعرف مطلقاً الخط المستقيم ، وهذا ما جاء مطابقاً أيضاً لما أشار إليه القرآن الكريم حينما عبّر بكلمة (عروج) على أسفار الفضاء ، سواءً كانوا من الملائكة ، أو الأنبياء ، أو الأشياء كالكواكب والنجوم وغيرها .

ومعنى العروج هنا : الصعود ، والخروج عن الخط المستقيم . فأعد عزيزي القارئ قراءة الآيات السابقة ، ومن ثم لاحظ تكرار تعبير العروج في كل آية تتحدث عن أسفار الفضاء .

(١) إن عملية إسقاط بعض القوانين والحقائق العلمية على بعض الأخبار الغيبية؛ للتدليل على حقيقة المعجزة وصدق الرسالة السماوية بشطريها : القرآن والسنة ، يجب أن لا يتعدّد حد المقارنة ، أو المطابقة ، ومن غير تفسير مادي لتلك الأخبار . لذا يجب أن نتنبه إلى أن الخوض في مثل هذا الجانب العلمي - والغيبى في آن واحد - قد انزلق فيه كثير من كتابنا ومثقفينا ولا سيما المتعلمين منهم ، حتى أخذوا يفسرون تلك المعجزات والنبوءات تفسيراً مادياً . وهذا منزلق خطير غالباً ما يؤدي إلى إنكار المعجزة من أساسها ، وبالتالي إلى إنكار معجزة خاتمة الرسالات السماوية لسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ، ولا سيما معجزته الخالدة والمتجددة : (القرآن الكريم) الذي ما تزال إعجازاته تترى بشكل مبهر مع تجدد العصر .

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن، هل كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قد قرأ نظرية أنشتاين؟ أم أن أنشتاين قرأ ما قاله سيدنا محمد ﷺ، فيما أخبره به جبريل عن ربه عز وجل؟!

٧ - أبواب لخروج المركبات الفضائية:

عندما تريد المركبات الفضائية الخروج من الغلاف الجوي المحيط بالأرض، عليها أن تتخذ طريقاً محدداً ودقيقاً، إذ كلما أرادت أن تتحرر من مجال الجاذبية الأرضية، عليها أن تعرج وفق زاوية معينة ومسار معين على سطح الأرض؛ لتستطيع النفاذ من جاذبية الأرض إلى الفضاء الخارجي، وبالعكس حينما تريد العودة إلى الأرض، لا تستطيع الدخول إلى نطاق الغلاف الجوي إلا من خلال فتحات وطرق معينة في الغلاف الجوي، وإلا ستبقى في الفضاء الخارجي في حال دخلت من ممر أعلى من الفتحة التي حددت لها، أو أنها تحترق قبل وصولها إلى الأرض في حال دخولها من ممر أسفل من الممر المحدد لها.

وهذا ما حصل منذ مدة عندما حدث عطب فني في إحدى المركبات الفضائية، فتاهت عن الباب الذي كان عليها أن تدخل منه وبقيت في الفضاء، حتى تمّ وبعد محاولات مضمّنية التعرف أخيراً على الباب الذي دخلت منه ونجى طاقمها من الموت^(١). فتدبر عزيزي القارئ قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحج: ١٤ - ١٥].

٨ - القرآن قبل العلم يقرر بأن الإنسان يصاب بالاختناق كلما ارتفع

في السماء:

يقول العلم: إن الإنسان كلما ارتفع عن سطح البحر إلى ما بعد مسافة

(١) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني للدكتور سمير عبد الحليم (ص ٤٨).

(١٠) كم، فإنه يصاب بضيق في التنفس يؤدي بعدها إلى الاختناق بسبب انخفاض الضغط الجوي ونسبة الأوكسجين في طبقات الجو العليا، ولهذا السبب فإن رواد الفضاء يرتدون بدلات مكيفة للضغط، وأنبوبة أوكسجين للتنفس أثناء رحلاتهم الفضائية. . فتفكر عزيزي القارئ في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فهل كان لدى سيدنا محمد ﷺ مراكب فضائية كي يصعد بها إلى السماء، ويخبرنا بأن الإنسان إذا ما ارتقى في الفضاء يصبح صدره ضيقاً حرجاً بسبب تناقص كمية الأوكسجين في الهواء!؟

٩ - إذا نظرنا إلى السماء في الليل فهل الذي نشاهده حقيقة النجوم أم هي مواقع النجوم؟

أقسم تعالى في كتابه العزيز بمواقع النجوم، ولم يقسم بالنجوم نفسها مما حير العلماء وأدهشهم ذلك، حينما قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

وشدد عز وجل في عظمة القسم حينما قال: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦].

وظل هذا القسم يشغل الكثير من العلماء، ولم يجدوا له تفسيراً علمياً إلا مؤخراً مع الكشوفات العلمية الحديثة. فما الذي أثبت العلم؟

أثبت العلم الحديث أن النجوم التي نراها في السماء ليست هي النجوم نفسها، وإنما هي مواقع النجوم التي ربما كانت مواقعها منذ عدة سنوات؛ لأن النجم الذي يبتعد عنا مئات السنين الضوئية لا يصلنا ضوءه إلا بعد سنوات عدة من سني الأرض، ولا شك في أن النجم الذي يدور ويسبح في هذا الفلك اللامتناهي الأطراف - بالنسبة إلينا طبعاً - لا يبقى ثابتاً في مكانه، بل يكون قد قطع مسافة تقدر بمئات السنين الضوئية!. فالذي نراه

حقيقة في السماء هو مواقع النجوم، وليس النجوم نفسها!!!
﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِۦٓ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

١٠ - لعل القرآن يشير قبل العلم إلى وجود مقبرة النجوم في السماء:
وذلك حينما قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ (١) ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَسِ (٢)﴾ [التكوير ١٥ - ١٦].

فقد أثبت العلم الحديث وجود مقبرة للنجوم في السماء أطلق عليها العلماء (الثقوب السوداء)، حيث تقوم هذه الثقوب بابتلاع كل نجم يصل إليها. ولعل القرآن الكريم يشير إلى موتها أيضاً حينما قال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٣)﴾ [المرسلات: ٨].

وهذا أيضاً ما أكدته العلم من أن لكل نجم دورة حياتية يمر بها؛ وهي: ولادة، ثم نمو، ثم نضوج، ثم احتضار، ثم طمس (فناء). وتتمة لهذه النظرية فقد راح العلم أبعد من هذا بكثير، ويا للمعجزة عندما نجد أن القرآن الكريم سبق العلم، وأيضاً راح أبعد منه بكثير.. كيف ذلك؟

توصل العلماء في دراستهم لهذا الكون إلى اكتشاف وجود حبال من الثقوب السوداء محبوكة مع بعضها البعض على شكل شبكة، ثم قاموا برسمها وتحديد مهامها التي من أهمها توازن الكون، وابتلاع الكواكب والنجوم التي ينتهي عمرها.. وفي سورة الذاريات نجد قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُوكِ (٤)﴾ [الذاريات: ٧].

يقول الصابوني في تفسير هذه الآية: الله تبارك وتعالى يقسم بالسماء ذات الطرائق المحكمة، والبيان المتقن.

(١) الخنس: الانقباض والاختفاء.

(٢) الكنس: الستر والاختفاء.

(٣) طمست: محيت، وذهب نورها وضياؤها.

(٤) الحبك: الطرائق. والمحبوكة: ما أجيد عمله.

١١ - القرآن قبل العلم يؤكد أن باطن الأرض ثقيل :

درس علماء الأرض سبب الجاذبية فوجدوا أن باطنها ثقيل جداً، وكلما كان الشيء ثقيلًا كانت قوة جذبته للأشياء أقوى. ومن ثم كلما نزلنا في باطن الأرض كانت أكثر ثقلاً، وبالتالي أقوى جذباً. حتى وصل العلماء بأجهزتهم التقنية إلى القرب من مركزها فوجدوا فيها سائلاً ثقيلًا يدور في قلب الأرض، وهو الذي ينشأ عنه خطوط الجاذبية المغناطيسية التي تجذب الأشياء. ولعلّ هذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة ١ - ٢] .

فأثقال الأرض في مركزها كما أثبت العلم، وستخرج هذه الأثقال يوم القيامة كما أخبر عنها القرآن الكريم. ولكن ما الذي سيحصل فيما لو خرجت تلك الأثقال من باطنها؟

عن ذلك تجيبنا الآيتان التاليتان : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّت ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق : ٣ - ٤] .

ألقت ما فيها : لعل ذلك بعدما تخرج أثقالها التي تسبب الجاذبية، حتى إذا ما حدث ذلك تخلت الأرض عن جذبها للأشياء. والله أعلم.

١٢ - كما أخبرنا القرآن فقد أثبت العلم أن للأرض صدعاً :

أثقال الأرض التي تحدثنا عنها هي عبارة عن كتل ملتتهبة ومنصهرة، تصدر عنها غازات كثيرة كالتي نشاهدها على شاشات التلفزة أثناء ثوران بعض البراكين، أما سطحها فهو عبارة عن ألواح وصفائح باردة لوجود الماء وتأثير بعض العوامل الجوية الأخرى على سطحها. وحينما التقط رواد الفضاء صوراً لطبقات الأرض وجدوا أن فيها أثراً لصدع كبير يصل ما بين جوف الأرض الناري وبين قاع المحيط الأطلسي، ولعلّ القرآن الكريم قد أشار إلى هذا الصدع في قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [الطارق : ١٢] .

ووظيفة هذا الصدع هو أنه بمثابة صمام أمان؛ لأن مركز الأرض - كما أسلفنا - هو عبارة عن كتل منصهرة تصدر عنها غازات مستمرة، ولولا هذا

الصدع لانحبس الغاز في باطنها ، وأدى إلى انفجارها منذ زمن بعيد.

١٣ - القرآن قبل العلم يحدد أخفض منطقة على الأرض :

تؤكد العلوم الجيولوجية اليوم أن حوض البحر الميت هو أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً على الإطلاق ، إذ يبلغ منسوبه حوالي (٤٠٠)م تحت مستوى سطح البحر . وبالتالي فهو يشكل أدنى بقعة على سطح اليابسة ، ولعل الله تعالى قد أشار إليها قبل أربعة عشر قرناً حينما قال : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى ^(١) الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَكَيْلُونَ ﴿٣﴾ فِي بَيْضِ سِنِينَ ﴾ [الروم : ١ - ٤] .

اتفق المؤرخون على أن المعركة التي عُلبت فيها الروم والتي ورد ذكرها في الآية السابقة ، وقعت أحداثها في تلك المنطقة بالضبط وإلى جوار البحر الميت ، ولم يخالف في ذلك أحد ممن كتب في التاريخ . فهل كان لدى الرسول ﷺ أجهزة قياس كي يقيس بها الارتفاع والانخفاض عن سطح البحر؟! ..

فضلاً عن أن هذه الآية قد تضمنت إعجازاً غيبياً آخر عندما تنبأت بأن معركة أخرى ستقع بين الفرس والروم ، وفي بضع سنين من نزول تلك الآية ، وسيتصر فيها الروم على الفرس . والتاريخ - كما قلنا - بكل مصادره دون لنا تلك المعركتين بتفاصيلهما التي جاءت مطابقة تماماً لما تنبأ به القرآن الكريم ^(٢) .

إلا أن الافتراض الذي دوماً يفترضه ممن هم يتحدثون بحديثنا ، والذين ما برحوا يمتعضون من تلك الاكتشافات العلمية وإسقاطنا لها على بعض

(١) أدنى : أقرب . وتأتي بمعنى ؛ أخفض .

(٢) ففي سنة (٦١٣م) هزمت جيوش الفرس جيش الإمبراطورية الرومانية الشرقية على أرض فلسطين ، واحتلت القدس ودمشق ، ثم مصر بعد سنة . وفي سنة (٦١٥م) غزت قوات الفرس أرض الأناضول ، وهددت القسطنطينة نفسها في سنة (٦١٦م) ، أي في السنة السابعة بعد هجرة المصطفى ﷺ ، ثم انقلبت موازين القوى بعد ذلك بثماني سنوات ، حين هزمت القوات الرومانية جيوش الفرس ، ودخلت الأراضي الفارسية في سنة (٦٢٤م) ، وهي نفس السنة التي انتصر فيها المسلمون في موقعة بدر الكبرى .

الآيات القرآنية، بدعوى أن (القرآن حمال أوجه، ولا يعلم تأويله إلا قائله جلّ من قال) - وما تلك إلا مقولة حق أرادوا بها باطل - وقد يدعون بأن تلك الآية قيلت بعد وفاة الرسول ﷺ.

وأردّ على ادعائهم هذا: بأن تلك الآية إما قيلت من فم رسول الله ﷺ قبل وقوع المعركة التي انتصر فيها الروم على الفرس، وحينها تكون المعجزة واضحة وضوح الشمس ولا ينكرها إلا معاند مستكبر. أو أن المسلمين هم الذين ألفوا هذه الآية بعد وقوع تلك المعركة ومن ثم نسبوها إلى رسولهم وقرآنهم..

وسنفترض جدلاً أن كلامهم هذا صحيح فما الذي كان يمكن أن يحصل؟

لا شك أن آباءكم وأجدادكم يا من آمنتم بأفواهكم ونافقت قلوبكم موجودون هم في كل زمان ومكان، فحينما سيقدم المسلمون - وفي أيّ عصر كان - على تأليف مثل هذه الآية بعدما تكون أحداثها قد وقعت، فما من شك أن أجدادكم كانوا سيقولون لأبناء عصرهم وللتاريخ: بأن المسلمين يؤلفون آيات بعد وفاة رسولهم ليرصدوا بها أحداثاً وقعت في الماضي، ويلصقوها بالإعجاز الغيبي لنبيهم وقرآنهم. والأهم من هذا كله أنهم سيجدون في ذلك فرصة ذهبية للنيل من مصداقية هذا الكتاب المعجز، إلا أننا لم نسمع قديماً ولا حديثاً من انتقد هذه الآية وادعى بأنها قيلت بعد وقوع تلك المعركة.

١٤ - لعل القرآن قد أخبرنا قبل العلم عن وجود الحواجز المائية بين ملتقى مياه البحار:

وذلك في قوله تعالى: ﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٠].

كما أشار القرآن الكريم إلى وجود تلك الحواجز عند ملتقى مياه البحار

مع مياه الأنهار، وذلك في قوله تعالى أيضاً: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

والتفسير العلمي لهذه الحواجز المائية التي تفصل مياه البحار بعضها عن بعض، يعود إلى اختلاف الكثافة وتركيز الملوحة في مياه كلا البحرين، حتى إن الأسماك التي تعيش في أحد المائين لا تستطيع عبور هذا البرزخ، بل تموت على الفور لذلك السبب.

كما أثبت العلم أن منطقة الدلتا - وهي منطقة مصب مياه النهر في البحر - تعيش فيها أسماكها الخاصة بها، حيث لا تستطيع هذه الأسماك العبور إلى مياه البحر أو مياه النهر على طرفي الدلتا، وبالمقابل لا تستطيع الأسماك التي تعيش خارج منطقة الدلتا الدخول أو اجتياز الدلتا لنفس السبب!

١٥ - القرآن قبل الغواصات يخبرنا عن وجود أمواج داخلية للبحار

العميقة:

يقول تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ^(١) يَغَشَّاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَأَ يَكْدُ بِرَبِّهَا وَمَن لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

تشير تلك الآية قبل كل شيء إلى وجود البحار اللجية (العميقة)، وبالتالي فكل شيء ورد فيها من إعجاز علمي هو خاص بالبحار اللجية فقط، وهذا موافق لما اكتشفه العلماء من وجود أمواج داخلية في البحار العميقة جداً، غير الأمواج السطحية التي تعلقو البحار والتي نراها بالعين المجردة. وأن من خصائص تلك البحار استمرارية مرور السحاب من فوقها مع تعاقب الفصول الأربعة، مما يتسبب في حدوث ثلاث ظلمات هي: الموج الداخلي والموج السطحي والسحاب، وبالتالي تقلل هذه الظلمات الثلاث من ضوء الشمس الذي يخترق البحار اللجية؛ لينعدم

(١) البحر اللجي: الذي لا يدرك قعره لعمقه.

الضوء تماماً في القاع، حتى إذا أخرج الإنسان يده لم يكدرها..

وفي عام (١٩٠٠) م تمكن علماء اسكندنافيون من تصوير هذه الأمواج بواسطة الأقمار الصناعية، حيث ثبت علمياً أن الأمواج تحدث ظلمة على عمق (٢٠٠) متر، فلا يكاد الإنسان يرى يده تحت هذا العمق إذا وضعها أمام عينيه. لذلك فإن الأسماك التي تعيش في أعماق البحار اللججية إما أن تكون من غير عيون فتسبح بواسطة حاسة السمع، أو أن لها عيوناً وبالتالي يكون لديها جهاز إنارة، أو أشعة خاصة تمكنها من الرؤية في هذا الظلام الدامس.

١٦ - القرآن يؤكد وجود بحار أسفلها مياه حارة:

ثبت علمياً أن البحار العميقة (اللججية) في أسفلها نار وحرارة تسخن قاع البحر، أي أن هناك بحاراً تسجر وتوقد النار من تحتها. وقد تم تصوير هذه النيران التي غالباً ما تنجم عن براكين تثور في قاع المحيطات، ولم يتمكن العلماء من تصويرها إلا في أواخر القرن الماضي، كما استطاعوا أن يقيسوا درجة الحرارة في قاع هذه المحيطات، ولعل هذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ^(١)﴾ [الطور: ٦].

فهل كان لدى الرسول ﷺ غواصات مائية مكنته من الغوص إلى أعماق البحار ليخبرنا بأن هناك بحاراً تسجر؟!..

ونختم حديثنا عن الإعجاز العلمي في القرآن بهذا المثال البسيط، وهذه المقارنة المضحكة، ليتبين لك عزيزي القارئ مدى ضآلة الإنسان وتفاهة قدرته أمام قدرة الله تعالى، على الرغم من كل تلك الهالة الكبيرة التي أحيطت بها الحضارة الغربية وإنجازاتها العلمية، والتي لا تزال تغطي بصائر وعقول أغلب الناس عن رؤية الحقيقة:

(١) المسجور: الموقد ناراً.

هناك طير يعرف باسم (عصفور الخروف) لا يتجاوز وزنه (٣٥) غراماً، وهو يهاجر من أستراليا إلى اليابان عبر المحيط الهادي، ثم يتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية بحيث يقطع مسافة (٢٥٠٠٠) كم خلال مدة (٦) أشهر، يعود بعدها إلى نفس العش الذي انطلق منه حيث يبيض بيضة واحدة، وبعد (٦) أشهر يعاود نفس الهجرة ليعود إلى المكان الذي انطلق منه بتأخير أسبوع واحد على الأكثر. . كل ذلك وهو يحمل دماغاً لا يتجاوز وزنه أكثر من نصف ميلي غرام!.

وبالمقارنة نجد أن الإنسان يجمع آلاف العقول الإلكترونية وآلاف الأطنان من الحديد، لكي يسيّر مركبة فضائية لا تستطيع أن تقطع نفس المسافة وبنفس الطاقة التي يستهلكها هذا العصفور..

كان هذا غيضاً من فيض من الأدلة العلمية التي باتت لا تعد ولا تحصى، والتي تزيد من مصداقية هذا الكتاب المعجز عند غير المسلمين، أما المسلمون فليسوا بحاجة إلى براهين علمية كي يتأكدوا من أن هذا القرآن هو من كلام الخالق جل جلاله، أم من صنع البشر.

لهذا فقد وعد الله الكفار والمنافقين - والذين ما زالت قلوبهم في ريب مما نزل على عبده محمد ﷺ - بأنه سيكشف الحجب عن بعض آياته في الآفاق وفي أنفسهم؛ لكي يتبين لهم أن هذا القرآن هو كلام الحق جل وعلا فقال تعالى: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وفي ختام هذا الفصل أذكرك عزيزي القارئ بأننا لم نتناول من النظريات والحقائق العلمية التي جاءت متطابقة مع بعض الآيات القرآنية إلا كحبة في فلاة. إذ لم نتحدث بعد سوى في مجالي الفلك والبحار. . فهناك من الحقائق العلمية فيما يخص علم الأجنة والطب والجيولوجيا والتاريخ والنفس والفيزياء والكيمياء والرياضيات والأدب. . وغيرها من العلوم الأخرى، وهي لا تقل أهمية عن هذا التوافق (العلمي - القرآني) في مجالي الفلك والبحار.

وأودّ لو أن المجال يتسع لأستعرض المزيد، إلا أنني أتوجه إلى القارئ العزيز إن كان يريد المتابعة في هذا الموضوع، أن يقرأ كتاب (الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني) للدكتور سمير عبد الحليم، حيث فاض كتابه بكمّ غزير من النظريات العلمية والاكتشافات الكونية، وآخر ما وصل إليه العلم من حقائق علمية في مختلف العلوم التقنية والعصرية، والتي أكدت جميعها على صدق ما جاء به القرآن وسنة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.



الإعجاز العلمي في السنة

١ - الطاعون:

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن هذا الطاعون رجز سلط على من كان قبلكم، أو على بني إسرائيل، فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها»^(١).

لقد ثبت علمياً أن وباء الطاعون عندما يصيب بلداً فإن نسبة المصابين بالجرثومة تصل إلى (٩٥٪) من سكان هذا البلد، ولكن ليس كل مصاب يصبح مريضاً فهناك طائفة من الناس يتغلب عليهم المرض، وطائفة أخرى يظهر عليهم المرض بصورة حمى خفيفة؛ لأنهم يتمتعون بجهاز مناعة قوي، وطائفة ثالثة يتغلبون على المرض بكامله، ويكون المصاب سليماً في الظاهر ولكنه حامل للجرثومة، ولو سمح له بمغادرة البلاد لاستطاع أن ينقل الجرثومة إلى مئات الألوف من الناس ويقتل الضعيف منهم!! فمعنى هذا أنه من أراد الخروج من البلد المصاب بالطاعون لكونه سليماً فنهذا يكون في الظاهر فقط؛ لأن هذا الشخص السليم يكون حاملاً للجرثومة ولا خطر عليه طالما تغلب على المرض، ولكنه يعتبر خطراً على غيره فيما لو خرج إلى بلد آخر غير مصاب بالطاعون... فمن علم محمداً ﷺ هذه التفاصيل؟!!

٢ - عدوى الكلب:

قال رسول الله ﷺ: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله

(١) صحيح مسلم، (ج ٤/١٧٣٨) (ح ٥٧٧٢).

سبع مرات أولاًهن بالتراب»^(١).

لقد أثبت العلم أن الكلب هو السبب الرئيس في إصابة الإنسان بداء الكيسات المائية. كان ذلك حينما اكتشف العلماء وجود ديدان الشريطة المكورة المشوكة التي تعيش في أمعاء الكلب، حيث تطرح بيوضها لتخرج مع البراز إلى الخارج. وبما أن الكلب ينظف شرجه بلسانه فإن لعاب الكلب وفمه يكونان مليئان كذلك بتلك البيوض، وبذلك تتم العدوى عن طريق الكلاب التي تعيش في المنازل وهذا ما نشاهده حالياً في كثير من البلاد الغربية.

أما الحكمة من تنظيف الإناء الذي ولغ فيه الكلب بالماء والتراب، فهو أن بويضات هذه الدودة صغيرة جداً بحيث لا نستطيع رؤيتها بالعين المجردة، وهي تعلق بالإناء وقد لا يجرفها الماء لصغر حجمها، والتراب له ميزة خاصة إذ إن ذرات التراب تختلط مع هذه البويضات، فإذا غسل الإناء بعد ذلك بالماء سبع مرات زالت تلك البويضات مع التراب، وضمن أنه لم يعلق شيء منها في الإناء.

٣ - الهرة ليست بنجس :

يقول عليه الصلاة والسلام في الهرة: «إنها ليست بنجس، إنما هي من الطوافين عليكم والطّوافات»^(٢).

وفي نهاية القرن العشرين جاء البروفسور البريطاني (نلسن) - وهو من الذين حضروا المؤتمر الإسلامي للإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي عقد في إسلام آباد - ليقول لنا: لكننا نجد مثل الكلب حيواناً يعيش حول الإنسان وهو لا يختلف في الظاهر كثيراً عن الكلب، فهنا نرى أن تعاليم الرسول ﷺ قد اختلفت إذ بينما ينهانا عن اقتناء الكلاب في البيوت،

(١) صحيح مسلم (ج ١/٢٣٤) (ح ٦٥١).

(٢) سنن النسائي (ج ١/١٧٨) (ح ٣٤١) حديث صحيح.

يخبرنا أن الهرة ليست بنجس. فماذا وجدنا نحن العلماء؟

بعدما اكتشفنا المجهر وأخذنا ندرس الجراثيم والطفيليات، جئنا نبحث عن الكلب فوجدناه يحمل أكثر من (٥٠) مرضاً طفيلياً، بينما الهر لا يحمل في نفسه مرضاً طفيلياً واحداً ولكنه يتسبب في مرض طفيلي واحد عن طريق برازه إذا ما أكل منه الدجاج، أو الخروف، أو البقر، فتدعى حينها هذه الأنعام بالجلالة^(١)، فينتقل هذا الطفيلي إلى الإنسان عن طريق لحوم الجلالة أو لبنها إذا ما شرب منه الإنسان أو أكل من لحمها، مع العلم أنه ما خلا كائن إلا وفي برازه عدد من الطفيليات وليس الهر فحسب.

وفي إعجاز طبي مذهل آخر، ينهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الجلالة اتقاء لهذا المرض الطفيلي الوحيد لدى الهر.

جاء ذلك في حديثٍ أخرجه الترمذي في سننه: «عن ابن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها»^(٢).

فالقط إذا ما طاف بالبيوت أو شرب من أوعيتها، فهو لا ينقل إلى الإنسان طفيليات - ولا حتى طفيلياً واحداً - على عكس الكلب الذي حذرنا منه رسول الله ﷺ. . فمن أخبر سيدنا محمد ﷺ بذلك كله؟! .

٤ - الذباب وغمسه بالوعاء :

يقول عليه الصلاة والسلام: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه؛ فإن في إحدى جناحيه داءٌ والأخرى شفاء»^(٣).

أجرى أحد العلماء تجارب حول الذباب: فقام أولاً بحبس الذباب، ثم أتى بماء معقم وآنية معقمة ثم طرح الذباب في الأنبوبة، ثم ضيق على

(١) الجلالة: هي التي تأكل من براز غيرها.

(٢) سنن الترمذي (ج ٤ / ٢٧٠) (ح ١٨٢٤) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) صحيح البخاري (ج ٣ / ١٢٠٦) (ح ٣٣٢٠).

الذباب حتى سقط لوحده في الماء، ثم رفع الأنبوبة وأخذ عينات من هذا الماء وزرعها في مزارع للجراثيم، ثم عاد وغمس الذباب ثم زرعها في مزارع أخرى للجراثيم، ثم راح يغمس الذباب في الماء للمرة الثانية. وأخذ عينات من الماء بعد غمس الذباب للمرة الثانية وزرعها في مزارع أخرى للجراثيم، وأعاد هذه العملية للمرة الثالثة.

وفي اليوم الثالث أخذ يراقب تلك المزارع فلاحظ أن مزارع الجراثيم التي أخذت من سقوط الذباب بدون غمس تحتوي على جراثيم كثيرة، وأما مزارع الجراثيم التي أخذت من الماء بعد غمس الذباب مرة واحدة هي أقل بقليل، وأما التي غمسها ثلاث مرات فهي لا تحتوي إلا على القليل من الجراثيم. هذا يعني أن غمس الذباب أنزل مادة قضت على الجراثيم.. وهذا أيضاً ما أشار إليه الحديث الشريف منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

بقي أن نفسر كيف أن الذباب فيه داء: وبالفعل فقد أقرت الأمم المتحدة في الأربعينيات أن جناح الذباب يحمل دواء يقتل ذلك الداء، وقد ثبت ذلك عندما أصاب الهند وباء الكوليرا في الأربعينيات، وقد توقع الجميع حدوث عدده ضخم من الوفيات إلا أن المراقبين لاحظوا أن المرض بدأ يتلاشى، فوجدوا أن الذباب ينقل الداء ويذهب إلى مياه الشرب فيسقط فيها، فينقل من الجهة الثانية كائناً آخر اسمه بكتريوفاج وهو قاتل البكتريا. فمن علم النبي الأمي هذه العلوم التي لم تكتشفها البشرية إلا في القرن العشرين؟!..

٥ - عَجَبَ الذَّنْبِ :

قال رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم يبلى ويأكله التراب إلا عَجَبَ الذَّنْبِ منه خلق وفيه يركَّب»^(١).

(١) مسند أحمد (ج ٢/٣٢٢) (ح ٩٥٢٨) حديث صحيح.

عجب الذنب: هو العصعص الأخير والفقرة السفلى من العمود الفقري، وقد تمكن من إجراء التجارب على عجب الذنب الدكتور عثمان البكري من جامعة صنعاء، حيث قام في البداية بسحق عجب الذنب عند الحيوان فوجد أن الخلايا لا تموت، ثم قام بغلي تلك الخلايا فلم تمت أيضاً، وبهذا يكون العلم التجريبي قد أثبت صحة الشطر الأول من الحديث.

وأما الشطر الثاني فعلم الأجنة قد بين لنا، أن أول ما يخلق في الجنين البشري - وفي اليوم الرابع عشر - هو عجب الذنب، حيث يستطيل ليتشكل منه الخيط الأولي وفي رأسه العقدة الأولية التي يتشكل منها الرأس. . أما الخيط الأولي فينتج عنه بقية أعضاء الجسم. وإذا ما أدى الخيط الأولي هذا دوره منذ البداية في خلق الإنسان، فإنه يضمحل ويتلاشى حتى يعود إلى عجب الذنب.

فعجب الذنب هذا منه يخلق الإنسان، وحينما يموت فلا تموت خلاياه؛ ليركب منه يوم القيامة. فهل كان لدى الرسول ﷺ مجاهر إلكترونية ليرى فيها خلايا عجب الذنب؟!.

٦ - الحبة السوداء:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داءٍ إلا من السّام. قلت: وما السّام؟ قال: الموت»^(١).

أجريت تجارب في أمريكا على الحبة السوداء بإشراف الدكتور أحمد القاضي، واختار مجموعة من المتطوعين، وأعطاهم غراماً في الصباح وغراماً في المساء، فوجد أن الحبة السوداء أعطت تحسناً في الخلايا المساعدة لجهاز المناعة بنسبة (٧٢٪)، كما أعطت تحسناً في الخلايا

(١) صحيح البخاري (ج ٥/ ٢١٥٣) (ح ٥٦٨٧).

الآكلة للجراثيم والأمراض بنسبة (٧٣٪)، وهذه النسبة نتيجة غرام واحد فقط فماذا لو استعملت جرعة أكبر قليلاً؟!.

لكن الدكتور أحمد القاضي لم يكتف بهذا بل جمع بين الحبة السوداء والعسل والثوم، ثم أجرى تجارب على مرض السرطان فكانت النتيجة تحسناً في الخلايا المساعدة لجهاز المناعة بنسبة (٢٠٠٪)، وتحسناً في الخلايا الآكلة للجراثيم والأمراض بنسبة (٣٠٠٪).

من فوائد الحبة السوداء تقوية المناعة وقتل الجراثيم وتقوية الطاقة الجنسية وقتل الديدان، وتستعمل لمعالجة الصداع، وآلام البطن، وآلام الأسنان، والزكام، والسعال المزمن، وتستعمل أيضاً لتهدئة الأعصاب، ومقاومة السرطان وضد الحساسية، وتخفيض سكر الدم. ولمن أراد أن يتداوى بالحبة السوداء يجب سحقها واستعمالها فوراً بعد السحق؛ لأن الزيت الطيار فيها يتطاير بسرعة بعد السحق.

٧ - الوضوء والاستنثار بالماء:

قال عليه الصلاة والسلام: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء ثم لينثر»^(١).

أثبت الطب الحديث أن الجراثيم المؤذية تكون موجودة في الفتحاح الطبيعية مثل الفم والأنف وتحت الأظافر، وكذلك بين الأصابع، لذلك لوحظ أن هذه الجراثيم شبه معدومة لدى المصلين، فالاستنشاق يخلص الأنف من تراكم المواد المخاطية الممزوجة مع الغبار والجراثيم، فيؤدي إلى تنظيف الممر وتجديد طبقاته المخاطية، وهذا ما يؤدي بدوره إلى تجنب الكثير من الأمراض الجرثومية مثل الزكام المتكرر والأنفلونزا، والسيل الرئوي، والتهاب القصبات، التي تنتقل عن طريق الهواء لتدخل عبر الأنف إلى الجسم. كما أن المضمضة في الوضوء تزيل بقايا الطعام من

(١) صحيح مسلم (ج ١/٢١٢) (ح ٥٦٠).

بين الأسنان مما يؤدي إلى تجنب تكاثر الجراثيم التي تسبب التهابات اللثة وتسوس الأسنان، ورائحة الفم الكريهة، والاضطرابات الهضمية.

تلك كانت أمثلةً من العشرات وربما المئات من أحاديث المصطفى ﷺ، ثم جاء العلم ليؤكد صحتها ويؤكد صدق هذا النبي الذي لم يكن ينطق عن الهوى. وقد رأينا في فصول سابقة كيف أن الكثير من النبوءات التي تنبأ بها النبي ﷺ ثم سار بها التاريخ إلى الأمام، فوقعت بالضبط كما أخبر عنها الرسول عليه الصلاة والسلام.

وبعد:

إن الذين رووا تلك الأحاديث لنا عن رسول الله ﷺ كأبي هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن مسعود، وغيرهم من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن بعدهم من الذين قاموا بجمعها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه كالبخاري ومسلم والترمذي، وغيرهم من خيرة السلف رحمهم الله، ثم تعاقبت الأيام والليالي وتوالت العصور، فأثبت العلم والتاريخ لنا صحة الوفير منها وبقي الكثير منها لم يتحقق بعد، إلا أن مؤشرات ذلك بدأت تلوح في الأفق، كعصر المهدي عليه السلام ومن ثم عصر الإمارات الكبرى.

فرداً على الذين ما برحوا يتخذون أحاديث أبي هريرة وابن ماجه وغيرهم من الصحابة والسلف - رضوان الله عليهم - سخرياً ومنها يضحكون، أقول لهم: ها قد أثبت العلم والتاريخ صحة الكثير، وسترون بأم أعينكم صحة الباقي منها سواء أبقيتم أحياء، أم صرتم أمواتاً.

وإنني كنت قد أفردت باباً خاصاً ألخص فيه كيف جمعت تلك الأحاديث ورويت عن رسول الله ﷺ منذ ذلك العصر؛ ليعلم أولئك الذين ما برحوا يشككون بأحاديث الرسول ﷺ أن ما تم جمعه لم يكن بين ليلة وضحاها، أو تفرد به شخص لو حده، وليعلموا كم من الجهد والمشقة بذل أولئك الرجال

عند جمع كل حديث من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ثم لينظروا كيف أسس أولئك الرجال علوماً تضبط سير الحديث ونقله من راوٍ إلى آخر، فكان علم (تراجم الرجال) الذي انفردوا به عن غيرهم من كل أتباع الديانات والمذاهب الأخرى، حيث صنفوا من خلاله السير الذاتية للرواة إلى قسمين (مراتب العدالة - ومراتب الجرح)، وكل بدوره قسّم إلى ست مراتب وكل مرتبة لها شروطها وفروعها الخاصة..

كما أسسوا (علوم الحديث وأصوله) فلم يدعوا حديثاً واحداً إلا ونخلوه نخلاً مع رواته، ثم صنفوا الأحاديث حسب درجة الراوي إلى الصحيح والحسن والضعيف والموضوع.. وكل منها يتفرع بدوره إلى أقسام وفروع، واشترطوا لكل منها شروطاً ومعايير خاصة.. ثم يأتي وبكل قحبه من يغض الطرف عن كل هذه العلوم وذاك المنهج العلمي الفريد؛ ليضرب بأحاديث المصطفى ﷺ عرض الحائط!!..

إلا أنني ولكي لا أخرج عن موضوع الكتاب لم أتمكن من تخصيص هذا الباب، ولكنني أنصح بمتابعة هذا الجانب الهام في الفقه والعقيدة من الكتب التالية: الرحلة في طلب الحديث - السنة قبل التدوين - أصول الحديث - تراجم الرجال .. إلخ؛ حيث تفيض - وبفضله تعالى - مكتباتنا بهذه الكتب.



أحداث الحادي عشر من أيلول

كثرت في السنوات الأخيرة الذين يكتبون عن الإعجاز العلمي أو العددي في القرآن والسنة، وأريد أن ألفت الانتباه هنا إلى أن من بين هؤلاء من يروج في كتبه لمثل تلك الأمور دون دقة أو ضابط لها، فإما أن ينقل حرفياً ما يكتبه آخرون عن الإعجاز العددي في القرآن، أو أن كلمة ما قد ينقصها رقم واحد ليصبح عدد تكرارها في القرآن الكريم معجزةً فعلاً، فيقوم بإضافة رقم من عنده، أو بليّ عنق كلمة أخرى ليصبح عدد تكرارها في القرآن موافقاً للعدد الذي يريد. . وهذا ما حذر ربنا عزّ وجلّ منه بني إسرائيل من قبل كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

فأمثال هؤلاء ربما لا يرغبون من وراء ذلك سوى تجارة رابحة، أو حرفة رائجة من قبل أن تكون غايتهم الأساسية الدعوة والحفاظ على أسس هذا الدين، ناهيك عما يكتب بعضهم دساً على الإسلام والمسلمين. فلينتبه قارئ اليوم إذ عليه التأكد من مصداقية الكاتب قبل الكتاب، ولا سيما فيما يتعلق بالأمور الدينية والعقدية.

كما أرجو منك قارئ العزيز أن لا تظن بأنني أروج لما أكتب، وأنسب المصداقية التامة لنفسي فإنني - ويعلم الله - قد عرضت كتابي قبل نشره على جلة من أساتذة وعلماء الإسلام في بلاد الشام والمشهود لهم بالثقة إن شاء الله، فنسأله تعالى أن يمد في أعمارهم وأن ينفعنا بعلمهم إنه على ذلك قدير.

ومن الأمثلة على الإعجاز العددي في القرآن بعدما قمت بإحصائها من (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) ما يلي:

((أقيموا + أقمن) الصلاة) تكررت (١٧) مرة = عدد ركعات الصلوات
الخمسة المفروضة في كل يوم وليلة.

ملائكة ومشتقاتها تكررت (٨٨) مرة = عدد تكرار كلمة الشياطين
ومشتقاتها.

كلمة ساعة تكررت (٤٨) مرة = ضعف عدد ساعات اليوم^(١).

كلمة شهر مفردة تكررت (١٢) مرة = عدد أشهر السنة.

كلمة يوم مفردة تكررت (٣٦٥) مرة = عدد أيام السنة الشمسية.

الوزن الذري للحديد (٥٧) = رقم سورة الحديد^(٢).

العدد الذري للحديد (٢٦) = رقم آية الحديد^(٣).

رقم آية الوسطية في سورة البقرة (١٤٣) = عدد آيات السورة ÷ ٢ .
وبالتالي فإن آية الوسطية تقع في وسط السورة بالضبط .

وأكثر ما يأخذ بالألباب عندما أحصيت عدد أحرف سورة نوح فبلغت (٩٥٠)

(١) لاشك أن العلم سيجيبنا في المستقبل عن هذا اللغز، وعن السبب في تكرار كلمة ساعة في القرآن الكريم (٤٨) مرة، وليس (٢٤) مرة كعدد الساعات الحالية في اليوم واللييلة . أي ربما اكتشف العلماء ضمن كل حلقة تدل على طول الليل والنهار- في المقاطع الاستعراضية للنباتات أو المستحاثات أو حتى عند الإنسان- حلقات جديدة عددها (٤٨) حلقة تدل كلاً منها على زمن الساعة الحقيقي . وبالفعل فإن الساعة وحسب المفهوم اللغوي القديم قد تدل على وقت يقل عن طول الساعة التي اعتدنا عليها اليوم، أي أن زمن الساعة الحقيقي ربما يكون بمقدار نصف الساعة الحالية (٣٠) دقيقة، وليس (٦٠) دقيقة . وبالتالي- إن حصل ذلك- فلن تكون هذه المرة الأولى التي سيبرهن فيها العلم على أسبقية القرآن الكريم بتدليله على مكونات الطبيعة وعناصرها الزمانية والمكانية .

(٢) علينا أن ننسب في حالة الرجوع إلى جدول التصنيف الدوري للتأكد من صحة الأرقام، بأن للحديد ثلاثة نظائر ووزنها الذري: (٥٤-٥٦-٥٧) فقد لا تظهر النظائر الثلاثة على نفس الجدول .

(٣) إذا نظرنا في المصحف سوف نجد أن آية الحديد رقمها (٢٥) من دون آية البسملة، وحينما تضاف إليها آية البسملة يصبح رقمها (٢٦)، علماً بأن البسملة تعتبر آية من كتاب الله باتفاق العلماء، وإن اختلفوا في كونها تعتبر آية من كل سورة بدأت بها، أو هي آية فقط من فاتحة الكتاب، وسورة النمل .

حرفاً ، وهي نفس المدة التي لبثها في قومه كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت ١٤] .

وآخر ما تم استطلاعه عن الإعجاز العددي في القرآن والسنة ، هو أحداث الحادي عشر من أيلول في نيويورك وواشنطن ، والتي اتضح فيما بعد أن لها إشارة قرآنية قوية جداً ، كما أنها قد تكون هي المقصودة بفتنة الدهيماء والتي سنمر على ذكرها لاحقاً - بإذن الله - .

وأول ما سمعت الخبر استنكرت الأمر ، وقلت في نفسي : سبحان الله أصبحنا نلصق كل شيء يحدث بالقرآن أو بالسنة ، ونحاول أن نجد له رابطاً يربطه بهما ، إلا أنني ذكرت قول الله تعالى : ﴿ فَتَيَّبْنَا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء : ٩٤] .

فكان لا بد أن أطلع بنفسي على الأمر لكي أعلم من أين أخذ الناس يروجون لمثل تلك الشائعات ، وبالفعل عندما رجعت إلى القرآن وقرأت الآيتين (١٠٩ - ١١٠) من سورة التوبة إذ فيهما يقول تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَّ بِئِنَّكُمُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَّ بِئِنَّكُمُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ لا يزال بينهم الذي بنوا رببة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليهم حكيم ﴾ [التوبة : ١٠٩ - ١١٠] .

وجدت الآيتين السابقتين - وإن كان سبب نزولهما مسجد الضرار - إلا أنهما تتحدثان عن ذاك البيان الذي إن لم يكن على تقوى من الله ، فكأنما يبني على شفا جرف هار ، فلا ريب أنه سينهار بأهله وسكانه عاجلاً أم آجلاً .

ومن خلال هذا المثال السيطر سيوضح جلياً لنا خاصية القرآن الكريم التي أشرنا إليها من قبل ، والتي تفرد بها عن غيره من الكتب السماوية والوضعية ، وقوته على التأثير والتجديد في كل زمان ومكان . فنجد مثلاً أن الآية القرآنية حينما نزلت ترصد حادثة ما وقعت في زمن النبي ﷺ ، فتتوالى عليها الأعوام والقرون وإذ بالآية الكريمة ترصد أو تشير أيضاً إلى أحداث إما من الماضي السحيق ، أو في المستقبل البعيد..

وفي نفس السورة ، وفي الآية (١١١) يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ

وَيَقْتُلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبِرُوا يَتَّبِعْكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١].

فإننا نلاحظ الآية الفاتحة والتي تلي مباشرة الآيتين السابقتين، تحدثت عن الجهاد في سبيل الله وعن الذين يقصدون الشهادة فيبيعون أنفسهم لله، فيقتلون ويُقتلون.. وكان الآيات (١٠٩-١١٠-١١١) تصف لنا أحداث نيويورك وواشنطن مما زاد اهتمامي بها، فسارعت إلى تدوين الأرقام التي تتعلق بالآيتين (١٠٩-١١٠) ومقارنتها بالأعداد التي تدل على الأحداث، ومن ثم قمت بإعداد الجدول التالي ليتضح لنا من خلاله مدى الإعجاز، والتطابق المذهل ما بين تلك الأحداث والآيات الكريمة السابقة من سورة التوبة^(١):

(١) كما أسلفت في المقدمة أن بعض الأساتذة والأصدقاء ممن قرؤوا الكتاب قبل نشره، كانوا قد تقدموا إلي ببعض آرائهم وملاحظاتهم حول بعض فقرات الكتاب، ومن بينها هذا الجدول الذي يتضح من خلاله التطابق العددي بين ميقات الأحداث والأرقام التي تدل عليها الآيات، بدعوى أن التاريخ الميلادي ليس منا ولسنا منه، ولو أن هذا التطابق كان مع التاريخ الهجري لكانت المعجزة واضحة وضوح الشمس.. وأذكرك هنا عزيزي القارئ بقول الله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.. إذا أليست المطابقة مع التاريخ الميلادي أبلغ بكثير في نفوس غير المسلمين فيما لو كانت هذه المطابقة مع التاريخ الهجري؟ كيف لا؟ وإذا كنا نحن المسلمين نكاد لا ندري متى يبدأ العام الهجري ومتى ينتهي، لولا أجهزة الإعلام وما رحم ربك من العلماء فكيف بنا أن نحفظ كل يوم مع تاريخه الهجري، فضلاً عن أن نكره غير المسلمين على أن يحفظوا تاريخنا القمري هذا! ما دام هذا الدولار يمثل مركز الثقل لمؤشرات البورصة العالمية للعملة العربية والأجنبية. ومن جانب آخر، فالمثال الذي طرحته من ضمن الأمثلة عن الإعجاز العددي في القرآن، حيث تبين أن عدد تكرار كلمة يوم في القرآن الكريم بلغت (٣٦٥) مرة كعدد أيام السنة الشمسية ولم يكن كعدد أيام السنة الهجرية؛ ليري الله عز وجل غير المسلمين آياته في القرآن وفي أنفسهم لعلهم يهتدون، لا ليرينا نحن لأننا وبفضله تعالى نؤمن به، وبكتابه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ. بالإضافة إلى ذلك فإن التاريخ الميلادي لم يردنا نص صريح عن رسول الله ﷺ كان قد نهانا فيه عن استعماله بشكل أو بآخر، فضلاً عن أن التوقيت القمري - كما نص عليه القرآن الكريم - هو معني بمواقيت العبادة كالصيام والحج أكثر من الأمور الأخرى كما قال تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾.. حيث لا يزال المسلمون - وبفضله تعالى - إلى اليوم يتخذون التوقيت الهجري أساساً لهم في ضبط مواقيت العبادة، كبدء =

مسلسل	أرقام تتعلق بالآيتين (١٠٩ - ١١٠)	أرقام تتعلق بتوقيت وموقع أحداث نيويورك وواشنطن
١	رقم سورة التوبة في القرآن	رقم شهر الأحداث من السنة (أيلول) ٩
٢	رقم الجزء	اليوم الذي وقعت فيه الأحداث ١١
٣	رقم الحزب	القرن الذي وقعت فيه الأحداث ٢١
٤	رقم الآية	عدد طوابق أعلى بناية دمرت ١١٠
٥	عدد الكلمات من أول السورة إلى نهاية الآية ١١٠ ^(١) كلمة	العام الذي وقعت فيه الأحداث ٢٠٠١

(٢)(٣) إضافة لذلك فإن سورة التوبة هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي لا تبدأ بالبسملة أي ب (بسم الله الرحمن الرحيم) وإنما تبدأ

= أشهر الصيام والحج.. ولا يعتمدون في ذلك على التاريخ الميلادي، الذي من خلاله تتمكن من معرفة تواريخ الفصول الأربعة وعلى مدار السنة، بدقة وسهولة قد لا يوفرها لنا التوقيت القمري؛ لعدم ثباته كالتوقيت الشمسي.. والله أعلم.

(١) عند إحصاء الكلمات من بداية السورة إلى نهاية الآية (١١٠) قمت بإلحاق الحروف التالية بالكلمات التي تليها أو التي تسبقها، وذلك حسب نوع الحرف: كحروف الوصل (الباء، الفاء، الكاف، اللام) - حرف العطف (و) - (لا) النافية - (لا) النافية - (ما) النافية - (ما) موصولة - أداة الاستفهام (ما) - أداة النداء (يا) - ألأ..

(٢) إن تطابق الأرقام الآنفة الذكر من جهة، وانتشار الأمر والإشاعة به على ألسنة الناس من جهة أخرى، لهو حجة تضاف إلى بقية الحجج والبراهين السابقة - واللاحقة أيضاً - على أن الأمر ليس كلام أضغاث، أو هباء منثوراً. لأن الله جلّ وعلا حينما نزل الآيات السابقة على قلب سيدنا محمد ﷺ كان يعلم بأنه سيأتي يوم الحادي عشر من أيلول عام /٢٠٠١/ وستقع فيه تلك الأحداث، وكان يعلم أيضاً أن الناس سيتدبرون هذا الأمر وسيلاحظون أن فيه توافقاً وتطابقاً غير عادي بين الأعداد التي تدل على الأحداث، والأرقام التي تدل عليها الآيات السابقة. وبالتالي فإن علم الله المسبق بذلك وإبقائه على ذلك؛ لربما كان خير دليل على جدية الأمر وعدم العبثية فيه.. والله أعلم.

(٣) لم يتسن لي التأكد من اسم الشارع الذي يطل عليه - ومن إحدى جهاته الأربعة - مبنى =

بقول الله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.. فالأحداث التي وقعت في نيويورك وواشنطن لهولها وضجتها الإعلامية، إن دلت على شيء فإنما تدل على براءة الله تعالى من هذه الأمم المتعطرسة الذين يسعون في البلاد فيكثرون فيها الفساد^(١). ومع كل هذه الإشارات البينات فإننا وفي أواخر السورة نجد قول الله تعالى: ﴿أَوَلَا

= التجارة العالمي الذي انهار في أحداث الحادي عشر في نيويورك، حيث أشيع بين الناس أن اسمه (jerf harr) ويكاد لفظه يتطابق مع لفظ العبارة: (جرف هار)، التي هي موجودة كما ترى عزيزي القارئ في نص الآية (١٠٩) من سورة التوبة.. ولعدم تثبتي من هذه المعلومة الهامة آنذاك لم أشأ وضعها في الطبعة الأولى، ولكي أدونها في هذه الطبعة الجديدة بعد التثبت منها، صرت أبحث عنها على شبكة الإنترنت.. ويا للأسف حينما دخلت على أحد تلك المواقع فإذا بهجوم يشن علينا لا يليق بموقع إسلامي يريد أن يوصل كلمته الطيبة، وأن يخاطب العقول بالحجة والمنطق.. وينعت ذلك الموقع كل من يعتقد بأن لأحداث الحادي عشر من أيلول إشارة قرآنية في سورة التوبة؛ بأنه جاهل أحمق غبي..!!

أهكذا أدبنا دين محمد ﷺ؟! أم هكذا يجب أن يكون رد المسلم على أخيه المسلم حينما يخالفه الرأي، بأن يشتمه ويصفعه بالكلمة الفاقدة لأدبيتها.. لكن السؤال الذي أطره هنا على إخواني هؤلاء: هو ما حجم تلك الجريمة النكراء التي يرتكبها كل من يعتقد ذلك الاعتقاد الذي استند فيه أصحابه على حجج وأدلة بيّنة ومنطقية جداً قد استعرضت جلّها في هذا البحث؟

ألم يأن لنا أيها السادة أن نتحدث وتبادل وجهات النظر فيما بيننا باستعمال الكلمة الطيبة والمؤلفة للقلوب، وأن لا يدفعنا غرورنا بعلمنا وإعجابنا برأينا، أن نستعمل مع الاتجاه المعاكس لفهمنا ورأينا - مهما كان ضعيف الحجة والرأي - ما ينفر القلوب ويولد البغضاء بين النفوس؟!

(١) تدبر توافقية مطلب الآية الأولى من سورة التوبة والتي يقول تعالى فيها: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ① وبين استراتيجية تنظيم القاعدة الذي بني على أساس حديث واحد فقط، ألا وهو: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب!». حديث صحيح رواه الشيخان. فهل هذا جاء صدفةً أيضاً!.

يُرَوَّنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا
هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿التوبة: ١٢٦﴾ .

كل هذا التطابق المذهل بين أحداث الحادي عشر وتلك الإشارات
البيانات في سورة التوبة، نجد بين الفينة والأخرى من يخرج من علماء
الأمة وأئمتها ليسفه الأمر ويستخف به دون أن يتبين حقيقة الأمر بذاته،
كأن يقرأ الآيات السابقة بتمخّص وتدبّر، أو يتثبت من صحة الأرقام
فيحصيها بنفسه.

وللمرة الأولى أجد اهتمام العامة بهذه الإشارة القرآنية لأحداث
الحادي عشر من أيلول دون غيرها من باقي الإشارات والإعجازات
العلمية، فكم رأيت هذه المرة من حملة الشهادات وخريجي الجامعات،
وذوي المناصب والريادات، من وقف عند هذه الإشارة القرآنية لأحداث
الحادي عشر وقفة دهشة واستغراب، مع بداية إعادة حساباته الدينية
والعقدية من جديد. في حين لا يزال بعض علماء الأمة وأئمتها يشككون
في الأمر وينقصون من شأنه، ويفوتون مثل هذه الفرصة في إيقاظ بصائر
الكثيرين من الناس.

ولا بد هنا من التنويه إلى أن وجود مثل هذه الإشارة القرآنية لأحداث
الحادي عشر في القرآن الكريم، لا يجوز أن نعتبرها تبريراً شرعياً لتجيز لنا
- أثناء الجهاد - وسائل كهذه الوسائل في المقاومة والدفاع عن النفس، إذ
هناك لأمتنا دستور قرآنيّ وتعاليم نبوية هي التي تضبط لها متى وكيف يكون
الجهاد. ولهذا فإن كانت تلك الأحداث هي المقصودة بفتنة (الدهيماء) -
والتي سنمر على ذكرها لاحقاً بإذن الله - نجد أن النبي عليه الصلاة
والسلام كان قد أطلق عليها اسم (فتنة)، ولم يسمّها فتحاً أو نصراً أو
جهاداً.. والله أعلم.

فهي تشبه وإلى حدٍ كبير فتنة صفين وموقعة الجمل، تلك الفتن التي لم تدع أحداً من المسلمين على وجه الأرض إلا ولطمته، سواء بشكل مباشر، أم غير مباشر، ولا نغفلوا ما إذا قلنا بأن قاصمة صفين لا تزال تداعياتها السلبية مستمرة إلى اليوم، إذ لم تدع أحداً من الأمة إلا وما زالت تلطمه لطماً مبرحاً! . . . ولم لا، وقد ابتلعت تلك الفتنة شورتنا من الحكم، وأمتنا لا تزال تفرق إلى اليوم مذاهبَ وفاقاً؟

والغريب في الأمر أن من بين علماء المسلمين من قد برّر لمعاوية قتاله لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما بأن قال: إن علياً اجتهد فأصاب، أما معاوية فقد اجتهد فأخطأ. على الرغم من أن قاصمة صفين راح ضحيتها الآلاف من القتلى والشهداء، وكلهم من المسلمين ومن بينهم من هم من خيرة أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام.

وبالمقابل فإن فتنة الدهيماء هذه التي راح ضحيتها بضعة آلاف فقط - إذا ما قورنت بفتنة صفين - وأكثرهم من غير المسلمين، بل من الذين كانوا يكيّدون كيداً للإسلام والمسلمين، لم نسمع حتى الآن من قال من علماء الأمة: إن ابن لادن اجتهد فأخطأ!

ولا أريد الخوض في الحديث عن هذه الفتنة أكثر من ذلك، نظراً لحساسيتها التي لا تزال تفرض نفسها على الساحة الدولية، كما أذع الحديث لذوي الاختصاص والخبرة من علمائنا لتقييم الأحداث، ووضعها في الميزان الذي هو عندنا: القرآن والسنة.

بيد أنني أخالف الشيخ أسامة بن لادن في نعتة للعلماء الذين لم يجيزوا له تلك الأحداث بأنهم علماء الحكام والسلاطين، وإن كان منهم القلة أبواقاً لبعض الملوك والسلاطين. فينبغي لنا ولا بن لادن والعلماء، وكل غيور على هذا الدين أن لا نشغل بتبادل التهم فيما بيننا، سواء في ذلك من وافق رأينا أو خالفه، وكل منا يرمي بالكرة على الطرف الآخر، حتى غاب عن الأذهان أن فريقنا واحد ومرمانا واحد، فمن صوّب الهدف على أخيه المسلم فكأنما حقيقةً يسدده على نفسه..

كما وينبغي للعلماء أيضاً أن لا يوجهوا إداناتهم اللاذعة للشيخ أسامة بن لادن؛ لمجرد أن غضبت الولايات المتحدة الأمريكية عليه بعدما كان قد صفعها صفعةً، لم تصفع مثلها إمبراطورية في التاريخ..

وأخيراً؛ فإن ما تقدمنا به من الأمثلة عن الإعجاز العددي في القرآن، لهو أيضاً غيظ من فيض من تلك الأمثلة التي تدهش القارئ وتأخذ بالألباب.. إلا أنني أكتفي بهذا القدر، لننتقل إلى عصر آخر وموضوعٍ جديد. وبالله التوفيق..



عصر المهدي عليه السلام

- من هم أهل البيت ؟
- المهدي (نعتة ونسبه)
- أحداث تمهيدية للظهور
- خراسان والرايات السود
- الملحمة الكبرى
- فتح رومية
- عليك بالشام
- أيامه الأخيرة عليه السلام

من هم أهل البيت؟

سؤال لا بد من الإجابة عنه في مستهل هذا الفصل ، لكي نميظ اللثام عن مدلولات بعض الأحاديث المنتشرة بين دواوين السنة المطهرة ، والتي جاءت مضامينها مؤكدة على ظهور هذه الشخصية في المستقبل الواعد للأمة ، ولإنقاذ هذه الإنسانية التائهة والمولعة بمفرزات الحضارة الغربية المتسرلة بشعار الحرية والدمقرطة والعدالة . . . بعد ما ترهل هذا الشعار وجف من تلافيف عروقها ، وكافة أوعيتها الفطرية والوجدانية .

هذا ومما لا شك فيه أن القرآن والسنة قد تركانا على المحجة البيضاء . . . وبيّنا لنا : من هم أهل البيت من ذرية نبينا المصطفى محمد ﷺ؟ ليتسنى لعلماء الأمة وجمهرتها الكبرى التعرف على هوية المهدي المنتظر في آخر الزمان .

أما في كتاب الله فقد تكررت عبارة (أهل البيت) مرتين ، حيث جاءت الأولى في سورة هود بعدما كانت الآيات الكريمة تتحدث عن أهل بيت النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، إذ قال تعالى : ﴿ وَأَمْرًا أَنَّهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٧١) قَالَتْ يَتُوبَلِّغُنِيَّ اللَّهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَّتْهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ ﴿٧٣﴾ [هود : ٧١ - ٧٣] .

والثانية وردت في سورة الأحزاب بعدما كانت الآيات الكريمة تتحدث عن نساء النبي محمد ﷺ ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وبالنظر في الآية السابقة نجدها تقرر بشكل صريح أن نساء النبي ﷺ يعتبرن من أهل بيته ، إذ يأمرهن تعالى في بداية الآية بعدم التبرج وعدم الخروج من بيوتهن إلا بإذن النبي ، ثم يأمرهن بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . . . وفي نهاية الآية يبين تعالى سبب تخصيصه لهن بهذا النداء دون نساء المؤمنين ، فيخبر أنه من أجل أن يذهب عنهن الرجس ، ويطهرهن تطهيراً ، ولكونهن يعتبرن

من أهل بيت النبي محمد عليه الصلاة والسلام^(١).

وقد بدأنا الحديث عن نساء النبي ﷺ في حديثنا هذا عن أهل البيت، وذلك لورود ذكرهن دون سواهن في الآية الوحيدة من كتاب الله التي جاء فيها ذكر أهل بيت النبي محمد ﷺ، ولكونهن يعتبرن السبب الرئيس في الخلاف الدائر ما بين الفرق والمذاهب الإسلامية على اعتبارهن من أهل البيت، أم لا.

أما الرأي الآخر فحجته في عدم اعتبار نسائه ﷺ من أهل بيته، أن أم سلمة رضي الله تعالى عنها سألت ذات مرة النبي عليه الصلاة والسلام أن تكون منهم فلم تعط ما أرادت، كما جاء في حديث رواه الترمذي: «عن أم سلمة: أن النبي ﷺ جلّل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على خير»^(٢).

ويمكن تأويل الخلاف الظاهر ما بين الآية الكريمة وحديث الترمذي، على أن نساءه ﷺ فقط دون ذريتهم يعتبرن من أهل بيته. أما فاطمة وعلي مع الحسن والحسين وذريتهم إلى يوم الدين، فيعتبر بإجماع الأمة جميع هؤلاء من أهل البيت.. ويرجح هذا الرأي حديث أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا تارك فيكم ثقلين^(٣): أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله

(١) من الملفت للانتباه، أن كلا الحالتين التي وردت فيها عبارة أهل البيت في كتاب الله، فقد تم مجيئها في المرة الأولى بعد ذكر امرأة النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفي الثانية تم مجيئها بعد ذكر نساء النبي محمد ﷺ، وبالتالي قد يدل هذا على أن نساء الأنبياء إن كن من المؤمنات فهن من أهل البيت حتماً، وإن كن نقيض ذلك كامرأة لوط مثلاً، فلا تمنحن مثل هذا الوسام لأفضل نساء العالمين.. والله أعلم.

(٢) سنن الترمذي (ج ٥/٦٩٩) (ح ٣٨٧١) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) الثقلين: مثني الثقل: وهو الشيء النفيس والخطير. وسميا بالثقلين؛ لعظمتها وكبر شأنهما. وقيل: لثقل العمل بهما.

واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد! أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرْم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرْم الصدقة؟ قال: نعم^(١).

وهنا يتضح أمامنا خلافاً آخر حول تشخيص أهل البيت وضبطهم بدقة، حيث يشير الحديث السابق إلى أن آل عقیل، وآل جعفر، وآل عباس، هم أيضاً يعتبرون من أهل البيت. وما يهمنا من هذا كله أن أهل البيت يقصد بهم بالدرجة الأولى آل علي كرم الله وجهه إلى يوم القيامة، كما تواترت الأحاديث الصحيحة في ذلك. منها ما رواه أحمد في مسنده عن وائلة بن الأسقع أنه قال: «جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين رضي الله تعالى عنهم، أخذ كل واحد منهما بيده، حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه - أو قال: كساء - ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق^(٢).

إن وفرة الأحاديث النبوية التي ذكر فيها أهل البيت إن دلت على شيء، فإنما تدل على مدى أهميتهم ومكانتهم عند رسول الله ﷺ، حتى إنه عليه الصلاة والسلام كان قد نعت بغض أهل البيت وبني هاشم بالكفر، في حديث أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «بغض بني هاشم والأنصار كفر، وبغض العرب نفاق»^(٣).

(١) صحيح مسلم (ج ٤/١٨٧٣) (ح ٦٢٢٥).

(٢) مسند أحمد (ج ٤/١٠٧) (ح ١٦٩٨٨) حديث صحيح.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (ج ١١/١٤٥) (ح ١١٣١٢) قال الحافظ الهيثمي في (المجمع) (ج ١٠/٢٧): رواه الطبراني ورجاله ثقات. وقال الألباني: ضعيف جداً.

وفوق كل هذا فإن محبة أهل البيت فرض على كل مسلم ومسلمة، كما جاء في حديث رواه ابن ماجه عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني»^(١).

وجعل أيضاً النبي عليه الصلاة والسلام محبة أهل البيت من أولى مهمات التربية لدى أبناء المسلمين، جاء ذلك في حديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن علي كرم الله وجهه: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن»^(٢).

فالمعني بأهل البيت إذا هم: علي وفاطمة وولداهما الحسن والحسين وذريتهما إلى يوم الدين. وهي الذرية التي سيخرج منها المهدي عليه السلام، كما جاء في حديث أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً. قال: ثم يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً»^(٣).



(١) سنن ابن ماجه (ج ١/ ٥٠) (ح ١٤٠) ضعفه الألباني، وقال عنه السندي في الزوائد: رجاله ثقات.

(٢) الجامع الصغير (ج ١/ ٤٨) (ح ٣١١) السند ضعيف ولكن المعنى صحيح ومطلوب أيضاً.

(٣) مسند أحمد (ج ٣/ ٣٦) (ح ١١٣١٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين.

المهدي (نعتة ونسبه)

المهدي من الهدى (أي الهداية والإيمان)، ولقب بالمهدي؛ لأنه مهدي إلى الحق ويهدي إلى الحق، ويلقب أيضاً بالجابر؛ لأنه يجبر قلوب المسلمين في زمانه بعدما ذاقوا الويلات والدمار من قهر الظلمة، وظلم الجبابة، فيأتي المهدي عليه السلام ليجبر خاطرهم، ويقطف رقاب هؤلاء الجبابة - أذلهم الله - .

أما نسبه فقيل: من أولاد الحسن، وقيل: من أولاد الحسين، إلا أن نسبه المؤكد يعود إلى فاطمة رضي الله تعالى عنها بنت رسول الله ﷺ، كما جاء في الحديث الصحيح: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(١).

وروى ابن ماجه عن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال: «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة»^(٢).

وفي حديث آخر أخرجه ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي»^(٣).

أما اسمه ف (محمد بن عبد الله أو أحمد بن عبد الله) حيث يوافق اسمه اسم النبي ﷺ، واسم أبيه أيضاً اسم أبي النبي ﷺ، إذ كما جاء في

(١) أبو داود (ج ٤/١٠٧) (ح ٤٢٨٤) حديث صحيح.

(٢) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٧) (ح ٤٠٨٥) في إسناده ياسين بن شيبان، قال عنه ابن معين وأبو زرعة: لا بأس به. وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات.

(٣) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٨) (ح ٤٠٨٧) قال عنه الألباني: صحيح.

الحديث: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم.. لطوّل الله ذلك اليوم.. حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي.. يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

ومن أوصافه الخَلقية عليه السلام، ما رواه الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون بينكم وبين الروم أربع هدن.. تقوم الرابعة على يد رجل من أهل هرقل»^(٢) يدوم سبع سنين. قيل: يا رسول الله، من إمام المسلمين يومئذ؟ قال: من ولد أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري، في خده الأيمن خال^(٣) أسود، عليه عباءتان قطوانيتان^(٤)»^(٥).

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المهدي مني: أجلى^(٦) الجبهة، أقنى^(٧) الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً»^(٨).

وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال: (المهدي اسمه محمد بن عبد الله وهو رجل ربة^(٩) مشرب بحمرة^(١٠) يفرج الله به عن هذه الأمة كل كرب ويصرف بعدله كل جور)^(١١).

(١) أبو داود (ج ٤/١٠٧) (ح ٤٢٨٢) حديث صحيح.

(٢) هرقل: ملك الروم في دمشق عاش في زمن النبي ﷺ.

(٣) خال: شامة أو نكتة سوداء في البدن.

(٤) عباءة قطوانية: عباءة بيضاء قصيرة الخمل.

(٥) المعجم الكبير للطبراني (ج ٨/١٠١) (ح ٧٤٩٥).

(٦) أجلى: واسع.

(٧) أقنى: دقيق.

(٨) أبو داود (ج ٤/١٠٧) (ح ٤٢٨٥) حديث حسن.

(٩) ربة: متوسط الطول أي: ما بين الطول والقصر.

(١٠) مشرب بحمرة: بشرة وجهه بيضاء مشربة بحمرة.

(١١) فتح الباري (ج ١٣/٢١٣) والحديث ضعيف.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: (المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي ﷺ.. كثر اللحية، أكحل العينين^(١)، براق الشنايا^(٢)، في وجهه خال، أقنى، أجلى، في كتفه علامة النبي^(٣)، يخرج براية النبي ﷺ، من مرط مخملة^(٤) سوداء مربعة، فيها حجر لم ينشر منذ توفي رسول الله ﷺ، ولا تنشر حتى يخرج المهدي، يمد الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم، يبعث وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين)^(٥).

وعن عبد الله بن الحارث قال: (يخرج المهدي وهو ابن أربعين سنة، كأنه رجل من بني إسرائيل)^(٦).

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال أيضاً: (هو فتى من قريش، آدم^(٧)، ضرب من الرجال^(٨))^(٩).

وعن أبي الطفيل رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ وصف المهدي فذكر ثقلًا في لسانه، وضرب بفخذه اليسرى بيده اليمنى إذا أبطأ عليه الكلام»^(١٠).

-
- (١) أكحل العينين: شديدتا السواد.
(٢) أسنانه فيها بريق ولمعان من شدة البياض.
(٣) في كتفه خاتم كخاتم النبوة يدل على أنه من ذرية نبينا محمد ﷺ.
(٤) مرط مخملة: كساء من صوف أو خز له حمل (طنفسة).
(٥) الفتن لنعيم بن حماد (ج ١/ ٣٦٦) (ح ١٠٧٣).
(٦) الفتن لنعيم بن حماد (ج ١/ ٣٦٥) (ح ١٠٦٧).
(٧) آدم: لون بشرته كلون الأرض (ترابي).
(٨) أي كل شيء منه على حدته فهو بارع الجمال، وقيل غير مظهرهم: خفيف اللحم ممشوق مستدق. وفي معنى ممشوق: ضعيف اللحم. ومستدق: ما دق منه واسترق.
وللتطهيم ثلاث معاني: ١- السمين الفاحش السمن. ٢- النحيف دقيق الجسم. ٣- التام من كل شيء فهو بارع الجمال. ولا ندري أي الطهم هو.. هكذا ورد في لسان العرب والقاموس المحيط.
(٩) الفتن لنعيم بن حماد (ح ١٠٧٤).
(١٠) الفتن لنعيم بن حماد (ح ١٠٦٩).

وعن السقر بن رستم عن أبيه قال: (المهدي رجل أزج^(١)، أبلج^(٢)،
أعين^(٣)، يجيء من الحجاز حتى يستوي على منبر دمشق)^(٤)(٥).

أما سيرته الذاتية فهي مما لا شك فيه ستحذو حذو سيرة المصطفى ﷺ
الذي كان خلقه القرآن؛ فيسخط لسخطه ويغضب لغضبه، وما سأله سائل
قط إلا أصغى أذنه إليه، ولا ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه،
وإذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع
يده من يده، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف
عنه، ولا يرى مقدماً ركبته بين يدي جليس له أبداً، ولا يسب ولا يشتم
عاملاً أو أجيراً عنده، ولا يقول له أفّ قط، ولا لشيء فعله لمّ فعلته، أو
لشيء لمّ يفعله لمّ تفعله..

وأخيراً: فمما لا شك فيه أيضاً أن ما من أحدٍ في الوجود وصل إلى ما
وصل إليه سيدنا محمد ﷺ من صفاء النفس وطيب الخلق، بعدما قال فيه
ربنا جل جلاله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. هذا وإن السيد
المهدي عليه السلام لا شك بأنه سيكون أشبه الناس بخُلُق النبي محمد عليه
أفضل الصلاة والسلام.



(١) أزج: حاجباه فيهما دقة وطول.

(٢) الأبلج: الأبيض الحسن الواسع الوجه.

(٣) أعين: عيناه واسعتان.

(٤) الفتن لعنيم بن حماد (ح ١٠٧٢).

(٥) أوصاف المهدي عليه السلام الخلقية - عدا ما تم تخريجه بسند صحيح أو حسن - فهي
ضعيفة السند، وبالتالي يبقى احتمال أن تكون تلك الأوصاف بمجملها، أو مطابقتها
لشخص المهدي عليه السلام ضعيفة أيضاً. ولذا أهيب بعلماء الأمة اليوم وقبل الغد، أن
يعقدوا مؤتمراً خاصاً لبحث هذا الموضوع الهام والنفيس، والذي يعتبر واحداً من الثقلين
في تراث هذه الأمة وثقافتها، ومدارسته من خلال ما روي عن النبي ﷺ وما أثر عن
السلف الصالح رحمهم الله، في المراجع المعتمدة لدى أهل السنة والجماعة.

أحداث تمهيدية للظهور

يظهر المهدي عليه السلام وفي الأرض ظلم وجور كبيران، وخلاف واسع واقتتال فيما بين العرب والمسلمين من جهة، وفيما بينهم وبين أعدائهم من جهة أخرى . . فيوحد الصفوف ويجمع الكلمة ويدعو جميع الناس إلى الإسلام . . ثم بعد ذلك ينطلق ليحرر العالم من كل أشكاله التبعية والعدوانية . . فيملأه قسطاً وعدلاً بعدما شاع الجور والظلم، وفشا فيه الهرج والعدوان . . وها هو النبي عليه الصلاة والسلام يبشرنا بقرب ظهوره والخلص من كل أنواع القهر والظلم والاستعباد - بإذن الله - .

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي، يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويملاً الله قلوب أمة محمدٍ غنى فلا يحتاج أحد إلى أحد، فينادي مناد: من له في المال حاجة؟ قال: فيقوم رجل فيقول: أنا، فيقال له: انت السّادن - يعني الخازن - فقل له: قال لك المهدي: أعطني. قال: فيأتي السّادن فيقول له، فيقال له: احتث، فيحتثي فإذا أحرزه قال: كنت أجشع أمة محمدٍ نفساً، أو عجز عني ما وسعهم. قال: فيمكث سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثم لا خير في الحياة أو في العيش بعده»^(١).

(١) مسند أحمد (ج ٣/ ٥٢) (ح ١١٤٨٤) قال الهيثمي في المجمع (ج ٧/ ٣١٤): رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، ورواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات.

فيوم البشري لدى المسلمين عامة عند سماع وكالات الأنباء السمعية والمرئية وهي تذيع نبأ ظهوره وبيعته عليه السلام، وعماً قريب بإذن الله..

إلا أنه - وقبل ظهوره عليه السلام - ستكون هناك فتن وخلافات كما أسلفنا فيما بين العرب والمسلمين من جهة، وفيما بينهم وبين أعدائهم من جهة أخرى ولنبدأ من مكة والمدينة، حيث يكون في شبه الجزيرة العربية فتنة تظهر عند وفاة أحد الأمراء فينشب الخلاف حول من سيتولى الإمارة من بعده^(١)، إذ تكون المملكة والبيت الحرام في وضع حرج وخطر للغاية من تهديد لأمنهما وأمن المنطقة، كما يحدث الآن بسبب وجود القوات الأمريكية في المملكة خاصة وشبه الجزيرة العربية عامة، والعدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني الذي بات يهدد المنطقة العربية برمتها، وأمن البيت الحرام وما حوله من المقدسات الإسلامية.

في مثل هذا الواقع الخطير الذي يعتري حال الأمة اليوم، يهـم بضعة من علماء المسلمين لبيحثوا عن رجل من قريش ومن أهل بيت النبي محمد عليه الصلاة والسلام - هو نفسه المهدي عليه السلام - يعرفونه بنعته الذي نعته لنا النبي ﷺ بالضبط - وكما تقدم الحديث عنه في الفصل السابق - يريدون بيعته لينقذ الأمة من هذا الوضع الخطير، حتى إذا ما استدلوا عليه - وهم يبحثون عنه في المدينة وبمعرفة أهل العلم والصلاح من أهلها - التقوا به وطلبوا منه البيعة والخلافة فيتنكر لهم ويفرّ هارباً إلى مكة - لا خوفاً وإنما تهرباً من الزعامة والإمارة، فضلاً عن أن الإذن بالظهور قد يكون لم يأت بعد - حتى إذا ما وصل مكة وعلم به أهلها وطلبته ثلة من علماء المسلمين للبيعة، يفرض حينها أهل مكة البيعة عليه وبياع ليلة عاشوراء ما بين الركن والمقام.

وبعدما تتم بيعة المهدي عليه السلام يخشى أعداء الإسلام من توحيد كلمة المسلمين وعودة الخلافة إليهم من جديد، فيبعث إليه جيش من بلاد

(١) أو ربما وفاة أحد ولاة الأمور من خارج شبه الجزيرة العربية، ويكون لموته تداعيات سلبية تسبب في اختلافات كبيرة تنعكس على المنطقة، وشبه الجزيرة العربية.

الشام حتى إذا ما وصل البيداء قرب مكة خسف بذاك الجيش . ثم يخرج أيضاً رجل من قريش - أخواله من بني كلب - مستهدفاً المهدي عليه السلام ، فيجعل الله الغلبة عليه ويغنم المسلمون غنيمتهم ، ويقسمها المهدي بسنة جده محمد ﷺ . . كل هذا ليس من نسج الخيال وإنما استقراء لحديث أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال : « يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث^(١) من أهل الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال^(٢) الشام وعصائب^(٣) أهل العراق فيبايعونه ، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب^(٤) فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبينهم ﷺ ، ويلقي الإسلام بجرانه^(٥) في الأرض ، فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون^(٦) .

وقد جاءت عدة روايات تشير إلى أن أمير بلاد الشام ، يلقب آنذاك بالسفنياني نسبةً إلى نسبه الذي يعود إلى أبي سفيان (أمية بن حرب) ، ولضعف تلك الروايات فقد أعرضت عن ذكرها ، إلا أنه - وبلا شك - أن

(١) بعث: جيش أو سرية من الجنود.

(٢) أبدال: عباد.

(٣) عصائب: خيار.

(٤) بنو كلب: قبائل ممتدة إلى ما قبل الإسلام ومستوطنة في شبه الجزيرة العربية.

(٥) يلقي الإسلام بجرانه: يثبت ويستقر قراره فلم تكن فيه فتنة.

(٦) أبو داود (ج ٤/١٠٧) (ح ٤٢٨٦). ورواه ابن حبان في صحيحه (ج ١٥/١٥٨) (ح ٦٧٥٧).

وقال الهيثمي في المجمع (ج ٧/٣١٥): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (ج ٢٣/٣٩٠) (ح ٩٣١). وقال

ابن القيم في (المنار المنيف ص ١٤٥) (ح ٣٣١): الحديث حسن ومثله مما يجوز

أن يقال فيه: صحيح.

أمير البلاد آنذاك سواءً أكان السفيناني، أم غيره من جبابرة هذا العصر، سيكون كافراً ومنافقاً، كغيره من الملوك والأمراء ومن العصرين القديم والحديث ممن ادعوا الإسلام ظاهراً من القول، وقد أخفوا في صدورهم كل الغلّ والحقد على هذا الدين، فما إن يسيطوا سطوتهم على بلدٍ من بلاد العرب والمسلمين، إلا ويسارعون إلى هدم كل أركان الدين.

وربما سيكون ظهور السفيناني هذا على أثر فتنة واسعة تمور مور الموج في البحر، مركزها في بلاد الشام وشواطئها في أطراف العراق ومصر وشبه الجزيرة العربية.. روى نعيم بن حماد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع فتن تكون بعدي: الأولى: يسفك فيها الدماء. والثانية: يستحل فيها الدماء والأموال. والثالثة: يستحل فيها الدماء والأموال والفروج. والرابعة: صمّاء عمياء مطبقة»^(١) تمور^(٢) مور الموج في البحر حتى لا يجد أحد من الناس ملجأ، تطيف^(٣) بالشام، وتغشى العراق، وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها، تعرك فيها الأمة بالبلاء عرك الأديم^(٤)، ثم لا يستطيع أحد من الناس أن يقول فيها: مه.. مه^(٥).. لا يدفعونها من ناحية إلا انفتقت من ناحية أخرى»^(٦).

وإن ما يحاك اليوم من مؤامرات صهيونية وأمريكية حول المنطقة، ومن توافدٍ لحشود عسكرية أمريكية في شمال العراق وضمن الأراضي التركية، وما تقوم به إسرائيل اليوم من استعدادات أمنية واستدعائها لقوات الاحتياط

(١) مطبقة: تغطي المكان، ومنه الجنون المطبق والحمى المطبقة.

(٢) تمور: تجري باضطراب، والمور: الموج.

(٣) تطيف: تلمّ.

(٤) عرك الأديم: خلط العجين، والأديم: الخبز.

(٥) مه: اسم فعل أمر بمعنى (اكفف).

(٦) (الفتن) لنعيم بن حماد تحقيق الزهيري (ج ١/٥٦) (ح ٨٩) حديث ضعيف، في إسناده ضمرة بن ربيعة. وقال عنه ابن حجر: صدوق يهيم. وفي رواية أخرى للحديث (ج ١/٢٣٨) (ح ٦٧٦): إسناده حسن.

لديها ، وتهديداتها المتعاضمة لسورية ، وتهديد الولايات المتحدة الأمريكية للعراق وأساطيلها التي تتمركز في منطقة الخليج ، واحتقان الشارع العربي - لا سيما في جمهورية مصر الكبرى - من هذا الصمت العجيب لما يحدث الآن في فلسطين.. كل ذلك بات ينبئ بظهور فتنة صماء عمياء مطبقة تمور مور الموج في البحر ، تطيف بالشام وتغشى العراق وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها ، لا يدفعونها من ناحية إلا انفتقت من ناحية أخرى.. ولعل في آخرها يخرج السفيناني ليعيث في الأرض فساداً..

وعلى الأرجح أن لا يطول حكم السفيناني هذا سوى بضعة أشهر ليظهر المهدي عليه السلام ، فيبعث إليه السفيناني بجيشه حتى إذا كان ببداء قرب مكة خسف بذاك الجيش ، فلا ينجو منه إلا البعيد عنهم ، وقيل : ينجو اثنان بشير ونذير ، فيذهب البشير إلى المهدي عليه السلام ويبشره بالخبر ، أما النذير فيذهب إلى السفيناني ليخبره وينذره بما حدث. روى مسلم وأحمد في مسنده عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : «لَيُؤْمَنَنَّ^(١) هذا البيت جيش يغزونه؛ حتى إذا كانوا بالببداء خسف بأوسطهم ، فينادي أولهم وآخرهم ، فلا ينجو إلا الشريد^(٢) الذي يخبر عنهم»^(٣).

فيسمع الناس بالخبر ، ويتوافد المسلمون إلى مكة ليبايعوا المهدي عليه السلام ، فيأتيه خيار أهل الشام وعصائب أهل العراق ، ووفود من كل بلاد المسلمين ، ليكون ذلك بدايةً لنهاية أطول حقبة امتدت في تاريخ هذه الأمة ، واستمرت على امتداد عشرات القرون في عراكها وصراعها الدؤوب على الحكم والسلطة وتولي الإمارة ، بدءاً من شن الحروب

(١) لَيُؤْمَنَنَّ: لَيَقْضُدَنَّ.

(٢) الشريد: السائر في البلاد.

(٣) أحمد (ج ٦ / ٢٨٥) (ح ٢٦٣٢٤) حديث صحيح.

ورإراقة الدماء، بدعوى القصاص من قتلة عثمان، الذي أبى على حرّاسه وأولهم الحسن والحسين أن يرفعوا سيفيهما لنصرته.. وكل ذلك لحقن الدماء^(١).. إلى هنا ونضغط على المكابح، لننقاد إلى حديث رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»^(٢).

وقوله أيضاً: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً»^(٣) بعدي»^(٤).

فينبغي على كل مسلم الإمساك عن ذكر أيّ كان من أصحاب النبي ﷺ

(١) لا شك أن من حسن إيمان المرء وصدق عقيدته، هي سرعة إنابته وإقراره بخطأه لثلاث يقع فيه أحد بعده. ولكي يطمئن قلبي قبل أن أسأل عن توجيه تلك الإدانة غير المباشرة -والتي تم حذفها في هذه الطبعة الجديدة - لسيدنا أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ها أنذا أقر بالخطأ وأحذر منه عامة المسلمين سنة وشيعة، وأن يتذكروا قول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزَجٍ أَخْرَجَ مِنْهُ شَطْرَهُ فَآسَافُوقًا فَآسَافُوقًا يَنْجِبُ النَّزَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

لم يستثن الله عز وجل في تلك الآية البينة أحداً من الذين صحبوا رسوله ﷺ قبل الفتح وبعده كذلك؛ لا إمام المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولا أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه، فالكل كانوا فؤوجاً واحدة مع رسوله ﷺ في الحرب وفي السلم، وإن كان بعضهم عند الله وعند رسوله أفضل من بعض، إلا أن مثلهم جميعاً كان يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. فلنجهر بولائنا لأمر المؤمنين أبي الحسن والحسين، وأخيه معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ليغتاظ الذين نافقوا منا واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، وغرتهم الأمانى. أما وإن كان قد خيل إلينا بعض التجاوزات من بعض أصحاب رسول الله ﷺ، فليكن فيصلنا معهم قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَمْتَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]. ولنا تمر بقول النبي ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا».

(٢) الجامع الصغير (ج ١/ ٨١) (ح ٦١٥) حديث صحيح.

(٣) غرضاً: هدفاً وغاية.

(٤) الترمذي (ح ٣٨٦٢) قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وإن كان معاوية إلا بخير، لأن شقيق الأب حتى وإن كان عاصياً، أو عاقاً لوالديه فمن تمام الأدب أن لا نسيء إليه بالسب والشتم.

روى البيهقي عن الحاكم أن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه قال: «لا تكرهوا إمرة معاوية؛ والله لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تنزل عن كواهلها^(١) كالحنظل^(٢)»^(٣).

تلك كانت خلافة راشدية على نهج النبوة انتهت بمقتل واستشهاد سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ليأتي الآن دور المهدي عليه السلام متمماً ما انتهى عنده العصر الراشدي الأول، وبالتالي لتبدأ هنا خلافة راشدة جديدة وعلى منهاج النبوة.. كما جاء في هذا الحديث المعجز الذي لخص فيه لنا رسول الله ﷺ طبيعة وشكل الخلافة، وعلى امتداد أربعة عشر قرناً من بعده: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»^(٤) ^(٥).

(١) كواهل: جمع كاهل، والكاهل من الإنسان ما بين كتفيه.

(٢) الحنظل: نبات ثمرته طعمها شديد المرورة.

(٣) الإشاعة لأشراط الساعة (ص ١٤٥). وفي رواية للذهبي (تندر عن كواهلها) في السير (ج ٣/١٤٤).

(٤) مسند أحمد (ج ٤/٢٧٣) (ح ١٨٤٠٦) إسناده حسن.

(٥) إزالة عرش صدام حسين لم تستغرق سوى بضعة سويعات، على الرغم من أن هذا العرش لم يستتب لصدام حسين إلا بعدما استخدم كل وسائل البطش والقمع والإرهاب مع شعبه، ولمدة ثلاثة عقود ونيف، حتى كان له ما كان.. ولدرجة أنه حتى الآن يكاد =

ويظهر المهدي عليه السلام حين البيعة معه قميص رسول الله ﷺ،
وسيفه ورايته مكتوب عليها البيعة لله^(١). ومن الإمارات التي ستسبق
ظهوره عليه السلام - كما جاءت بها الأحاديث، والروايات عن السلف
الصالح رضوان الله تعالى عليهم - ما يلي^(٢):

- انحسار نهر الفرات على جبل من ذهب، ليتقاتل عليه ثلاثة أمراء،
وكلهم أبناء أمراء سابقين.

- ظهور نار عظيمة من قبل المشرق تستمر من ثلاث إلى سبع ليال^(٣).

= بعض البعثيين لا يصدقون بأن هذا العرش قد سوي على الأرض، وسيبعث يوم القيامة
وكل من ساهموا في تشييده ليسألوا عما فعلوا في هذا الشعب العراقي خلال العقود
الثلاثة الماضية. ثم انظر إلى قول الرسول ﷺ: «ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها»!.
فصدقت يا سيدي يا رسول الله! لقد أمهل الله تعالى صدام حسين وزبانيته ثلاثين عاماً
ونيفاً، ثم شاء الله أن ترفع سطوتهم عن الرعية فرفعها في أقل من نصف النهار،
فاعتبروا يا أولي الحكام!

- (١) نعيم بن حماد (الفتن) (٣٥٦/١) في إسناده نوف البكالي، قال عنه ابن حجر: مستور.
- (٢) أغلب أمارات ظهور السيد المهدي عليه السلام - عدا الرايات السود - سندها من
ضعيف إلى ضعيف جداً، ومعظمها مكرر ذكرها في كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد بأكثر
من وجه. لذا يبقى احتمال وقوع تلك الإمارات بمجمعتها أو مطابقاً لها ضعيفاً جداً،
ولا ينفي هذا من احتمال وقوع بعضها، أو معظمها قبل ظهوره عليه السلام.
- (٣) كنت قد أشرت في الطبعة الأولى إلى أن هذه النار العظيمة، قد تظهر في حال أقدم
الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين على حرق آبار النفط في شمالي العراق في حال
انتصرت عليه الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب المرتقبة عليه. وقد شن العدوان
الأنكلوأمركيكي الحرب على القطر العراقي الشقيق بتاريخ ١٧/٣/٢٠٠٣ وسقطت
بغداد بتاريخ ٩/٤/٢٠٠٣ وانتصرت الولايات المتحدة الأمريكية على الرئيس العراقي
المخلوع، الذي قام قبل احتضار ولايته بحرق عددٍ من آبار النفط، إلا أن النار التي
ظهرت السيد المهدي عليه السلام. مما يبقى باب الاحتمالات مفتوحاً وكبيراً جداً
لظهور تلك النار العظيمة في شمالي العراق، ما دامت المنطقة من تحتها مادة قابلة
لإحداث مثل هذه النار العظيمة، ومن فوقها أحداث ملتبهة تنبئ بمزيد من الانفجار
والانفلات الأمني؛ الإقليمي والدولي في المنطقة.. والله أعلم.

- خسف لبلدة في بلاد الشام يقال لها (حرسا^(١))^(٢).

- كثرة الزلازل والاختلافات^(٣).

- خروج (السفياني، والأبقع، والأصهب، والأعرج الكندي) وهي ألقاب أمراء المرحلة المقبلة من الأحداث التي ستسبق ظهور المهدي عليه السلام؛ فالأول هو أمير بلاد الشام، والثاني في مصر، والثالث في شبه الجزيرة العربية، والرابع في بلاد المغرب.

(١) حرسا: قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ.

(٢) الفتن لنعيم بن حماد (ج ٢١٦/١).

(٣) نظراً لكثرة المكالمات الهاتفية التي وردتني، والتساؤلات التي أخذ يتساءل أصحابها عن موعد طرح الطبعة الجديدة في الأسواق، معربين في غمرة ذلك عن اهتمامهم بها ولهفتهم للإطلاع على مضامينها، فربما أيضاً سيدفعني ذلك إلى طرح هذه الطبعة كما حصل معي في الطبعة الأولى، وذلك قبل أن أنهي العديد من الردود والتعقيبات على أمور وأحداث طرأت بعد صدور تلك الطبعة.

هذا وإن من التعقيبات التي كنت أود أن اتناولها في هذه الطبعة المزيدة، هي الإشارة إلى كثرة الزلازل التي كانت من أهم ما اشتهر به العام الماضي /٢٠٠٤/ والتي هي من أمارات قرب الساعة وظهور السيد المهدي عليه السلام.. حيث كان في ذهني أن أصمم جدولاً لعدد الهزات الأرضية التي حصلت خلال السنة المنصرمة، وأدون فيه تواريخها وأماكن وقوعها، وحجم الأضرار التي نجمت عن كل هزة من تلك الهزات.. ولا سيما زلزال (بام) في إيران، والزلزال المروع الذي ضرب بالقرب من جزيرة (سومطرة) الإندونيسية في المحيط الهندي، والذي تسبب عنه ما يعرف بكارثة (تسونامي) التي أصابت شواطئ العديد من دول شرق آسيا كإندونيسية والهند وتايلاند.. إلخ ووصلت إلى الخليج العربي مما تسبب بأضرار مادية وبشرية في اليمن وعمان والإمارات والبحرين والصومال.. إلخ. ولا زالت الهزات الارتدادية لذلك الزلزال المدمر تترى على العديد من الدول، ويتوقع العلماء حدوث زلازل أخرى أعنف من الزلزال الذي تسبب في كارثة (تسونامي).. فنسأل الله العليم الخبير أن يجعل أمرنا كله خيراً، فنشكره على السراء ليمنحنا الصبر على الضراء..

- يظهر في المشرق نجم (مذنب) له ذنب يضيء في الليل.

- حمرة تظهر في السماء وتنتشر في الأفق.

- يحدث انكساف للقمر وخسوف للشمس خلال شهر رمضان، ويكون

- على الأرجح - أحدهما في منتصف الشهر.

- وأخيراً هناك الرايات السود القادمة من خراسان.

ولنقف عند خراسان والرايات السود؛ لتعرف عليها بشيء من التفصيل

لأهميتها وعلاقتها الوثيقة بالمهدي عليه السلام. . فمن يكون حملة هذه

الرايات السود؟



خراسان والرايات السود

إقليم خراسان: يطلق على الجزء الأكبر من بلاد أفغانستان وإيران حالياً، حيث من على جباله المغطاة بالثلوج تأتي الرايات السود تمهيداً لظهور السيد المهدي عليه السلام لبيعته ونصرته . . وكما جاء في هذا الحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « . . يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يُعْطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطاً كما ملؤها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو جواً على الثلج»^(١).

حملة الرايات السود هؤلاء، ليسوا كرايات بني العباس الذين جاؤوا بنعي الإسلام وكما مر معنا في فصل سابق. إذ إن قدومهم هذه المرة من قبل المشرق سيكون على أثر نشوب حرب مهلكة بين ثلاث فرق تتقاتل على كنز يكتشف على ضفاف نهر الفرات، وكل فرقة منها أميرها يكون ابناً لأمير سابق، فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون منهم حتى لا يصير الكنز إلى أحد من هؤلاء الثلاثة، ثم تأتي الرايات السود فيظهرون على

(١) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٦) (ح ٤٠٨٢) قال البوصيري: إسناده ضعيف، لأن فيه يزيد بن أبي زياد وهو ليس بذاك القوي عند البعض، والبعض الآخر قال عنه: ثقة. إلا أن الحاكم صحح الحديث بسند آخر في المستدرک: (ج ٤/٥١١) (ح ٨٤٣٤) قال: أخبرني أبو بكر بن دارم الحافظ بالكوفة، ثنا محمد بن عثمان بن سعيد القرشي، ثنا يزيد بن محمد الثقفي، ثنا حبان بن سدير، عن عمرو بن قيس الملائي، عن الحكم، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس، و عبيدة السلماني، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الجميع دون عناء أو قتال ويستولون على الكنز. كما جاء في حديث آخر أخرجه ابن ماجه عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم - ثم ذكر شيئاً لا أحفظه - فقال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي»^(١).

في الحديث السابق نجد إشارة واضحة إلى أن هذه الرايات السود القادمة من خراسان هي على علاقة وثيقة بالمهدي عليه السلام، فإما أن يكون المهدي معها كما جاء في نص الحديث: «فإنه خليفة الله المهدي»، أو أنه عليه السلام لا يزال في المدينة، وبالتالي فإن الرايات السود هم من أنصاره وسيمهدون لظهوره كأنصار الرسول ﷺ من أهل المدينة عندما هاجر إليهم فأزروه ونصروه.

ومما يرجح هذا الاحتمال ويشير إلى أن المهدي عليه السلام قد لا يكون مع الرايات السود القادمة من خراسان، وإنما قد يكون في المدينة ويستعد للخروج إلى بلاد الشام لقتال الصهانية، بينما تكون الرايات السود في طريقها إليه لبيعته ونصرته وللانضمام تحت لوائه ليقاتلوا معاً الصهانية في فلسطين، مما يرجح هذا الاحتمال ما جاء في شطر الحديث: «فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي».

كما قد يدل ذلك على أن الرايات السود ستخوض معارك ضارية مع أعدائها في الشرق وفي الغرب دون أن يكون المهدي عليه السلام معها،

(١) ابن ماجه (ج ٢/ ١٣٦٧) (ح ٤٠٨٤) قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وضعفه الألباني، إلا أن الحاكم صحح الحديث بسند آخر في المستدرک (ج ٤/ ٥١٠) (ح ٨٤٣٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وفي مصباح الزجاجة (ج ٤/ ٢٠٣) قال السيوطي: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

فتنتصر بإذن الله، ثم تكمل الزحف حتى تصل إليه فتبايعه وتؤازره.

ومن أمارات هذه الرايات السود أن تكون قد طلبت البيعة إلى أميرهم من الحكومات الإسلامية فلا يستجاب لها، كما حدث - ومنذ فترة وجيزة - عندما ناشدت إحدى القوى الإسلامية المجاهدة في أفغانستان العالم الإسلامي لإعطاء البيعة لأمرهم، والذي كانوا يلقبونه بأمر المؤمنين كما جاء في الحديث: «فيسألون الخير» أي البيعة «فلا يعطونه» أي فلا يستجاب لهم «فيقاتلون فينصرون»، وهذه بشارة إلى قرب نصرهم على أعدائهم الروم المتربصين بهم على جبال الثلج في أفغانستان، وقريباً بإذن الله . . . حيث سيعقدون البيعة لرجل من قريش - إن لم يكن كما أسلفنا هو المهدي عليه السلام - لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها بمشيئة الله، وكما سيأتي معنا في حديث لاحق: «يخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء حتى تُنصَبَ بإيلياء^(١)». فيفتح الله على أيديهم البلاد والأمصاير وهم في طريقهم إلى المهدي عليه السلام.

عندئذٍ بعض الحكومات الإسلامية تدفع بالبيعة إلى الرايات السود، ولا سيما بعدما رأت ما حققته من فتوحات وانتصاراتٍ فلا يقبلونها؛ لأنهم يكونون حينها على علم بظهور المهدي عليه السلام ويريدون - كما أسلفنا - الوصول إليه لبيعته ونصرته، وكما مرَّ معنا أيضاً في الحديث الفأنت: «فيعطون ما سألوها فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي».

في تلك الأثناء وعلى الأرجح أن يخرج المهدي عليه السلام بجيشه من المدينة باتجاه بلاد الشام لتحرير فلسطين، وفي ذلك الوقت تكون الرايات السود قد وصلت إلى بيت لهما^(٢) وحريستا، فتتضوي تحت جيشه ليقاتلوا معاً الصهاينة في فلسطين فيهزموهم وينتصروا بإذن الله^(٣). وتنتهي حينئذٍ أسوأ

(١) إيلياء: بيت المقدس.

(٢) بيت لهما: موضع على باب دمشق، والصحيح كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي: بيت الإلاهة؛ وهي قرية مشهورة تقع بالغوطة شرقي دمشق.

(٣) فقد روى عبد الرحمن بن ربيعة الجرشي قال: سمعت عمرو بن مرة الجملي عن صاحب رسول الله ﷺ يقول: «لَتُخْرُجَنَّ من خراسان راية سوداء حتى تربط خيولها بهذا الزيتون الذي =

حقبة مرت في تاريخ الأمة الإسلامية، وينتهي ما يزيد على نصف قرن من الاحتلال الصهيوني في فلسطين التي لم تستطع كل تلك الفيالق - والجيوش العربية والإسلامية على امتداد رقعتها مع بداية القرن الحادي والعشرين - أن تحرك ساكناً، أو تنقذ طفلاً بريئاً وهو يقف وحيداً أمام آلة الحرب الأسطورية ليتحدى هذا الطفل - بصموده وكبريائه - تلك القوة التي ما يزال بعض الجبناء من هذه الأمة يتصوّرون بأنها قوة لا تقهر! ويتحقق حلم العرب والمسلمين الذي طالما يئس منه عامة الناس وشكك فيه الذين في قلوبهم مرض، وهو نصر الله عز وجل القائل في كتابه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ومصداق هذا النصر بإذن الله هو قول الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي: «يخرج من خراسان رايات سود لا يردّها شيء حتى تنصب بإيلياء»^(١).

وهنا تنبيه من النبي عليه الصلاة والسلام لمن أدرك الرايات السود القادمة من خراسان أن لا يعترضها، وتحريض لمن أدرك ذلك بأن يلحق بها ولو كان حبواً على الثلج؛ لأن فيها خليفة الله المهدي أو - كما أسلفنا - فيها أنصاره الذين سيمهدون لظهوره كما جاء في الحديث: «فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج»^(٢). وفي حديث آخر أخرجه أحمد في مسنده عن ثوبان

= بين بيت لهما وحرستا. قلنا: ما نرى ما بين هاتين زيتونة. قال: سينصب بينهما زيتون، حتى ينزلها أهل تلك الراية فتربط خيولها بها». رواه نعيم بن حماد في الفتن (ج ١/٣١٣) (ح ٩٠٥) ورجاله ثقات. أما اليوم؛ وقد نصب الزيتون بين بيت لهما وحرستا حتى غدت شجرة الزيتون - في تلك البقعة من بلاد الشام - تسمى إلى ما بين ثلاثة وخمسة أمتار، وما بقي من شطر الحديث إلا أن يأتي أهل تلك الراية فتربط بها خيولها وعتادها. فنسأله تعالى أن ينصرها وأن يجعلنا من أنصارها في الدنيا، ومع أهلها في الآخرة.

(١) رواه الترمذي (ج ٤/٥٣١) (ح ٢٢٦٩). وضعفه الألباني؛ لأن فيه رشدين بن سعد، وباقي رجال السند ثقات. وقال عنه الترمذي: هذا حديث غريب حسن.

(٢) لاحظ هنا تكرار كلمة الثلج - أكثر من مرة - في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام كلما ذكرت الرايات السود، وبين مكان تمرکز رايات القاعدة وطالبان على جبال الثلج في أفغانستان! فهل هذا جاء صدفةً أيضاً؟!.

رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ثم إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها ولو حبواً فإن فيها خليفة الله المهدي»^(١).

ويوصي الرسول ﷺ أصحاب الرايات السود حينما يعبرون بلاد فارس (إيران حالياً) وهم في طريقهم إلى بلاد الشام، أن ينزلوا وقت الشدة مدينة (مرو)؛ لأن ذا القرنين هو الذي بناها ودعا لها بخير، (وقيل: ذو القرنين هو الإسكندر اليوناني. ونفى أكثر أهل العلم والمحققين ذلك)، وهو رجل صالح كالمهدي عليه السلام كان قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام. . إذ روى أحمد في مسنده عن بريدة بن الحارث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ستكون بعدي بعوث كثيرة، فكونوا في بعث خراسان، ثم انزلوا مدينة مرو، فإنه بناها ذو القرنين، ودعا لها بالبركة، ولا يضر أهلها سوءاً»^(٢).

وعندما ستنتقل الرايات السود من على جبال الثلج من خراسان، تكون الفتنة على نهر الفرات - وبين الأمراء الثلاثة - في أوجها وهم يتقاتلون على كنز من ذهب يحسر عنه نهر الفرات، فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون حتى لا يصير الكنز إلى واحد منهم، كما جاء في الحديث الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتل عليه الناس، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، يا بني فإن أدركته فلا تكونن ممن يقاتل عليه»^(٣).

وفي الحديث الفأث نجد وصيةً أخرى من النبي عليه الصلاة والسلام لمن عاصر الفتنة على نهر الفرات، أن لا يشترك فيها حاكماً كان أو محكوماً؛ لأن الكل مغلوب في النهاية. وقد يكون هذا الكنز ذهباً أصفر، أو أسود، أي ربما

(١) أحمد (ج ٢٢٣٨٧). قال الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (ج ٤/٥٤٧) ح

(٨٥٣١) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) مسند أحمد (ج ٥/٣٥٧) ح (٢٣٠١٨) قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني

في الكبير والأوسط بنحوه، وفي إسناده أحمد والأوسط؛ أوس بن عبد الله، وفي إسناده

الكبير؛ حسام بن مصك، وهما مجمع على ضعفهما.

(٣) مسند أحمد (ج ٢/٣٣٢) ح (٨٣٨٨) حديث صحيح.

اكتشف على ضفاف نهر الفرات مخزون كبير من النفط، ولا سيما أن بعض مناطق ودول شرق آسيا تشهد في العقود الأخيرة اكتشافات لخزانات كبيرة من النفط، كما هو الحال في سيبيريا وعلى سواحل بحر قزوين، مما ينبئ باكتشاف خزان كبير من النفط على ضفاف نهر الفرات ليتقاتل عليه الناس، وفي نهاية الأمر تكون الرايات السود القادمة من خراسان قد وصلت إلى هناك فتظهر على الجميع . . إذ كما جاء في الحديث: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم»^{(١)(٢)}.

وإن ما تسعى إليه الولايات المتحدة الأمريكية اليوم لضرب العراق تحت غطاء دولي سافر من مجلس الأمن، وبما بات يعرف الآن بالحملة ضد الإرهاب مما قد يؤدي في نهاية المطاف إلى تقسيم العراق، وبالتالي ليبقى الجزء الشمالي الغني بالنفط تحت الاحتلال الأمريكي، حتى تحين

(١) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٧) (ح ٤٠٨٤) قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وفي رواية أخرى للحديث في المستدرک (ج ٤/٥١٠) (ح ٨٤٣٢) قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) بعد صدور الطبعة الأولى كثيراً ما كان يوجه إلي السؤال التالي: افترض أن الكنز الذي سيحسر عنه نهر الفرات لم يكن ذهباً أسود (أي: نفطاً) بل ذهباً أصفر حقيقياً، فستضع في هذه الحالة نفسك في موقف حرج للغاية؟ فلماذا إذا تحمّل بعض النصوص النبوية من تأويلات قد تقلل من شأن الكتاب وقيمتها العلمية؟.. فكان ردي عليهم: أنه وفي حال حسر نهر الفرات على جبل من ذهب وتبين أن ذلك الكنز ذهب أصفر، فسيكون ذلك وبلا شك انتصاراً ساحقاً لحديث رسول الله ﷺ، ولن يضعف ذلك من شأن الكتاب شيئاً؛ لكوني عرضت الحديث بنصه ومنتنه دون تحريف. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد ذكرت وقوع أحد الاحتمالين: الذهب الأصفر أو الذهب الأسود، أي إنني لم أنفِ بأن يكون الكنز ذهباً أصفر بالفعل. أما إن ظهر الكنز وتبين أنه ذهباً أسود (أي نفطاً) فلا شك أيضاً بأن ذلك سيكون انتصاراً ساحقاً لحديث رسول الله ﷺ، وقد يعلي ذلك من شأن كتابي.. إلا أنه وفي كلا الحالتين سيكون ذلك انتصاراً جسيماً لحديث رسول الله ﷺ، وهذا ما يهمنا أولاً وأخيراً ولو كان ذلك على حساب فشلنا في نقولاتنا تلك، أو تأويلاتنا مهما كنا معجبين بها..

لحظة اكتشاف الكنز (الأصفر أو الأسود) حول نهر الفرات ليتقاتل عليه ثلاثة أمراء، وكل واحدٍ منهم ابنٌ لخليفةٍ سابق - كما جاء في الحديث السابق - مما يرجح أن يكون (جورج دبيل يو بوش) وهو ابن خليفة سابق (جورج بوش الأب)؛ أحد هؤلاء الأمراء الثلاثة الذين سيتقاتلون على هذا الكنز، ثم لا يصير إلى واحدٍ منهم^{(١)(٢)}..

(١) أعيد وأكرر أن ما أطرحه الآن من معادلاتٍ سياسية وسيناريوهات مستقبلية لمنطقة الشرق الأوسط خصوصاً، والعالم عموماً هو استنباط من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، واستقراء لوضع المجتمع الدولي. فقد تقع تلك السيناريوهات كما هي أو قريباً منها، في هذا العصر - وهو الأكثر احتمالاً وترجيحاً - أو في العصور القادمة. فعلى حكام وشعوب العالمين العربي والإسلامي أخذ الاستعدادات الكافية، وتغيير استراتيجيات السياسة قدر المستطاع وذلك تاهباً لتلك الأحداث، وخصوصاً فيما ينبئ بإذن الله في السنوات القادمة بظهور السيد المهدي عليه السلام، الذي سيغير ظهوره مجرى التاريخ وخرائط العالم كما غيرها من قبل قادة وعظماء تخرجوا من كليات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام..

(٢) وقد وجهت لي كذلك بعد صدور الطبعة الأولى الملاحظة التالية: لماذا تشخص الأمراء الثلاثة الذين سيتقاتلون على ذلك الكنز الذي سيحسر عنه نهر الفرات وأنت تدرك تماماً بأن هذا في علم الغيب؟ حيث أنك ذكرت بأن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن هو أحد هؤلاء الأمراء الثلاثة الذين سيتقاتلون على ذلك الكنز لأنه ابن بوش الأب الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي هو ابن خليفة أيضاً. ورداً على ذلك أقول: لعل الأخ المتسائل لم تر عيناه كلمات الترجيح والتبعض مثل: (أرجح، وأظن، ولعل، وربما، والبعض.. إلخ) وواضح في هذا الفصل بأنني لم أجزم بأن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن هو أحد هؤلاء الأمراء الثلاثة، بل ألفت انتباه القارئ بأن ذلك قد يكون أحد الاحتمالات الممكنة لوقوع ما في الحديث، ولم أقيد نص الحديث بهذا الاحتمال أو بغيره من الاحتمالات الممكنة. وما يشهد لي ويبرهن على قولِي هذا هي الحاشية السابقة رقم (١) التي هي من أصل الطبعة الماضية، وليست حاشية مزيدة على هذه الطبعة. وفي الجهة المقابلة هناك فئة من القراء الأعزاء أذهلهم ما ذكرته في الطبعة الأولى من أن قد يكون العراق على شفا واقعة من اجتياحه وتقسيمه، وبالتالي ليبقى الجزء الشمالي الغني بالنفط تحت سيطرة القوات الأمريكية حتى يحين موعد اكتشاف الكنز الأصفر أو الأسود على ضفاف نهر الفرات ليتقاتل عليه ثلاثة أمراء، وكل واحدٍ منهم سيكون ابن خليفة سابق.. وذكرت بأن الرئيس الأمريكي جورج بوش =

الملحمة الكبرى

في خضم تلك الانتصارات التي حققها المهدي عليه السلام وأنصاره من الرايات السود في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، وبعد تحرير فلسطين بإذن الله . . يعقد الروم صلحاً مع المسلمين لغزو عدو مشترك، قد يكون الروس أو الصين، وقيل: الفرس. لأن الفرس وعلى الأرجح لم يكونوا ليعترفوا أو يبايعوا المهدي عليه السلام؛ لاعتقادهم بأن المهدي سيخرج من بلادهم أو على الأقل سيكون من أتباع المذهب الشيعي، فيقاتلونه بدلاً من بيعته ولا سيما بعدما رأوا ما حققه من انتصارات كما أسلفنا، الشيء الذي سيدفعهم إلى الشعور بأن أمنهم مهدد، وبأن المهدي عليه السلام لا بد أن يأتيهم عاجلاً أم آجلاً لفتح بلادهم أمناً أو عنوة، مما سيضطّرهم أيضاً إلى التحالف العسكري مع الروس لغزو البلاد العربية، ومن ثم لطرد القوات الأمريكية المتواجدة في أغلب مناطق ودول شرق آسيا، والتي باتت تهدد أمن الدولتين معاً - روسيا وإيران - وقد تنضم الصين - فيما بعد - إلى هذا التحالف.

= الابن لعله سيكون أحد هؤلاء الأمراء الثلاثة.. وما أذهلهم أمران: أما الأول: أنه لم يمض بضعة أشهر على طرح الكتاب في الأسواق إلا وتحقق الشطر الأول من الاستقراء الآتي لمجرى الأحداث في العراق.. والثاني: هو نجاح الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في انتخابات الرئاسة الأمريكية التي جرت في نهاية العام المنصرم بعدما كان نجاحه مستبعداً جداً لدى غالبية المحللين ورجال الساسة.. وبالتالي فإن فوز الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن ضاعف من قيمة احتمال تحقق الشطر الآخر من الاستقراء لما قد يحدث في المستقبل القريب في منطقة الشرق الأوسط. ويبقى علم الغيب لله وحده..

ومن جهة أخرى فإن التقارب والتعاون العسكري فيما بين الدولتين روسيا وإيران من جهة، وروسيا والصين من جهة أخرى والذي بات واضحاً في الآونة الأخيرة، قد يؤدي في نهاية المطاف إلى تحالف إقليمي بين الدول الثلاث (روسيا - الصين - إيران) ضد الولايات المتحدة الأمريكية، ولغزو البلاد العربية ولا سيما دول الخليج، مما سيدفع بالمهدي عليه السلام والروم إلى عقد صلح فيما بينهم وبالتالي إلى تشكيل تحالف جديد ضد التحالف الثلاثي (روسيا - الصين - إيران)^(١).

وتنتهي المعركة بإذن الله بانتصار المهدي وحلفائه الروم انتصاراً ساحقاً، ويغنمون غنائم كثيرة حتى إذا ما استراحوا في أرض خضراء ذات مروج وتلال وأرادوا تقسيم الغنائم، فهنا وعلى الأرجح يقع الأمران التاليان:

أولاً: حين تقاسم الغنائم يقاسم المهدي عليه السلام الروم على غنائم

(١) لقد أشرت في الطبعة الأولى بأن الولايات المتحدة الأمريكية قد تكون هي المقصودة بالروم المتكرر ذكرهم في أحاديث المصطفى ﷺ، ولا سيما الأحاديث التي ترصد الملاحم والفتن في آخر الزمان. إلا أنني وبعد تدبر الأمر مرة أخرى وفي ضوء كل هذه التبدلات السياسية وتسارع الأحداث الدولية، فقد يصبح هذا الاحتمال في نظري ضعيفاً جداً، وبالتالي فإن دول الاتحاد الأوربي تصبح هي الأكثر احتمالاً وترجيحاً لأن يعقد معها - المهدي عليه السلام - الصلح ومن ثم سيعقد معها التحالف الأنف الذكر. وإن ما يستجد من أحداث - بشكل متسارع - على الساحة الدولية كالمعارضة العارمة للاحتلال الأمريكي للعراق من قبل معظم شعوب وحكومات الدول الأوربية، ومن ثم إصدار الأوامر من قبل الحكومة الإسبانية الجديدة بتاريخ ١٩/٤/٢٠٠٤ لسحب قواتها من العراق، ومن ثم أيضاً عرض الصلح والهدنة من قبل زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن على الدول الأوربية في بداية هذا الشهر الرابع للعام ٢٠٠٤، شريطة أن تسحب هذه الدول قواتها من العراق، وتعهدها بعدم الاعتداء على الدول الإسلامية. وبالتالي يرجح هذا كله أن تكون الدول الأوربية هي المعنية بالروم التي سيعقد المهدي عليه السلام الصلح معها، كما يعرضه عليها الآن زعيم تنظيم القاعدة الشيخ أسامة بن لادن.. والله أعلم.

وأسرى المشركين (الروس والصينيين فقط)^(١)، ولا يقبلون بتقاسم أسرى وغنائم الفرس (الإيرانيين) بل يطلقون سراخهم؛ لأنهم إخوانهم في الدين، فيغضب الروم ويبيتون الغدر للمسلمين، كما جاء في حديث ذكره نعيم بن حماد في كتابه الفتن عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلاح، حتى يقاتلوا معهم عدواً لهم، فيقاسمونهم غنائمهم، ثم إن الروم يغزون مع المسلمين فارس، فيقتلون مقاتلتهم، ويسبون ذراريهم، فتقول الروم: قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم، فيقاسمونهم الأموال وذراري المشركين. فتقول الروم: قاسمونا ما أصبتم من ذراريكم، فيقولون: لا نقاسمكم ذراري المسلمين أبداً، فيقولون: غدرتم. فترجع الروم إلى صاحبهم بالقسطنطينية فيقولون: إن العرب غدرت بنا، ونحن أكثر منهم عدداً، وأتم منهم عدّة، وأشد منهم قوة، فأمدنا نقاتلهم. فيقول: ما كنت لأغدر بهم وقد كانت لهم الغلبة في طول الدهر علينا^(٢)، فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك، فيوجه بثمانين

(١) في طرحنا لهذا السيناريو القادم من الأحداث، رجحنا بأن تكون - كما أسلفنا - الدول الأوروبية، أو الولايات المتحدة الأمريكية هي المعنية بالروم الذين تكرر ذكرهم في أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأن يكون المعنى بفارس: إيران، وبالشرك: دولتي روسيا والصين.. والله أعلم.

(٢) لو سريعاً استعرضنا في الذاكرة جميع الحكومات التي توالى على حكم القسطنطينية منذ عصر الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، وأسقطنا على هذه الحكومات شطر الحديث الذي جاء فيه: «ترجع الروم إلى صاحبهم بالقسطنطينية فيقولون: إن العرب غدرت بنا ونحن أكثر منهم عدداً وأتم منهم عدّة وأشد منهم قوة، فأمدنا نقاتلهم. فيقول: ما كنت لأغدر بهم وقد كانت لهم الغلبة في طول الدهر علينا». سنجد أن الحكومة التركية الحالية هي الحكومة الوحيدة - ومن بين كل الحكومات التي سبقتها - يوائمتها بالضبط الرد الذي سيجيء على لسان رئيس حكومتها، كما جاء في الحديث: «ما كنت لأغدر بهم وقد كانت لهم الغلبة في طول الدهر علينا».. لموقفها الحيادي من العرب والمسلمين من جهة، وموقفها المتملق للدول الغربية من جهة أخرى. حيث إن جميع الحكومات التي قبل حكومة حزب العدالة والتنمية الحالي، إما كانت عدوة للإسلام =

غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً في البحر، ويقول لهم صاحبهم: إذا أرسيتم بسواحل الشام فحرقوا المراكب لتقاتلوا عن أنفسكم، فيفعلون ذلك ويأخذون أرض الشام كلها برها وبحرها، ما خلا مدينة دمشق والمعنق^(١)، ويخربون بيت المقدس^(٢).

هذا كما أسلفنا فيما لوبقي الفرس في الطرف الخصم المعادي للمهدي عليه السلام، ولا ينفي هذا الاحتمال احتمال بيعتهم للمهدي ونصرتهم له مباشرة، بيد أنني لست معنياً في هذا الفصل بالوقوف على متن الحديث دون مكاشفة الانعكاسات المتوقعة، والمحتملة في المستقبل مع الأخذ بعين الاعتبار أن مرد ذلك كله إلى علم الغيب، وإيكال الأمر إلى المولى عز وجل.

ثانياً: يرفع رجل من الروم الصليب ويقول: غلب الصليب. فيرد عليه رجل من المسلمين وهو غضبان: بل الله غلب. ويتشاحن الطرفان حتى يقوم المسلم على النصراني فيقتله، فيغضب الروم ويبيتون الغدر للمسلمين، كما جاء في الحديث التالي أيضاً:

قال ﷺ: «ستصالحكم الروم صلحاً آمناً^(٣)، ثم تغزون أنتم وهم عدواً، فتنتصرون وتغنمون وتسلمون، ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع رجل من أهل الصليب الصليب فيقول: غلب الصليب،

= والمسلمين كحكومة أتاتورك المناقق ومن على شاكلته، وبالتالي كان ردها سيكون مباشرة بفتح أحضان الدولة التركية للقوات الأجنبية لغزو البلاد العربية والإسلامية! بل وكانوا سيلومون الغرب على كل هذا التأخير والإسلام حسب رأيهم يصول ويجول، وهم لا يملكون سوى القمع وكم الأفواه بشكل محدود.. أو أن الحكومة التركية كانت تحت يد قائده معز للإسلام والمسلمين كمحمد الفاتح ومن سار على دربه، ولا شك في هذه الحالة أن الرد على لسان رئيس حكومتها سيكون كما سيأتي في حديث لاحق: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا!.

(١) المعنق: جبل بأرض الشام من حمص على نهر يقال له: الأرنت.

(٢) نعيم بن حماد (الفتن) (ج ١/ ٤١٧) وفيه عبد الله بن لهيعة. قال عنه ابن حجر: صدوق.

(٣) آمناً: لا خوف فيه.

فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم فيجتمعون للملحمة^(١).. فيأتون حينئذ تحت ثمانين غاية^(٢) تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً^(٣).

وبعدما تبيّت الروم الغدر لجيش المسلمين ويقتلونهم عن بكرة أبيهم، تعدّ الروم عدتها للحرب ليقينهم هذه المرة بأن المسلمين سيعدون القوة جيداً للانتقام منهم. والرسول ﷺ كان قد أطلق على هذه الحرب اسم (الملحمة الكبرى) لفظاعتها وكثرة القتلى الذين يكونون فيها. . إذ ستحشد الروم حشودها ليصل تعداد جنودها إلى ما يربو على المليون جندي، كما جاء في الحديث: (فيأتون حينئذ تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً). وتنزل أساطيلها عن طريق البحر لتتمركز في منطقة الأعماق قرب دابق، وهي بلدة ما بين حلب وأنطاكية في إقليم لواء اسكندرون حالياً (التابع لبلاد الشام جغرافياً، وللنفوذ التركي سياسياً). . إذ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق^(٤) أو بدابق^(٥)، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا^(٦) قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبّوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية^(٧)».

إن التعاون (التركي الأمريكي الإسرائيلي) في هذه المرحلة الحرجة من

(١) الملحمة: الحرب الكبيرة.

(٢) الغاية: الراية.

(٣) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٩) (ح ٤٠٨٩) حديث صحيح.

(٤) الأعماق: منطقة تقع في إقليم لواء اسكندرون من بلاد الشام.

(٥) دابق: بلدة ما بين حلب وأنطاكية، وعلى مقربة من بحيرة الأعماق.

(٦) تصافوا: وقفوا صفوفاً متقابلة.

(٧) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٢١) (ح ٧٢٧٨).

التاريخ من جهة، ولهات الدولة التركية اليوم للانضمام إلى الاتحاد الأوربي من جهة ثانية، قد يمثل تمهيداً لنزول القوات الأمريكية في المستقبل القريب، أو لنزول قوات تابعة للاتحاد الأوربي في منطقة الأعماق من بلاد الشام لقتال العرب والمسلمين، كما جاء في نص الحديث الفات والذي تضمن نبوءة وإعجازاً؛ أما النبوءة فستتحقق فيما لو تمركزت بالفعل القوات الأمريكية، أو قوات تابعة للاتحاد الأوربي في منطقة الأعماق من بلاد الشام. وأما الإعجاز فيتضح في أن النبي ﷺ لم يصف لنا قدوم الروم إلى المنطقة وتمركزها في الأعماق باستخدام لفظة (احتلالاً) أو (عنوة).. وإنما عبر عنها باستعمال لفظة (إنزال)، فدقة اللفظ هنا باستخدام كلمة (إنزال) بدلاً من (احتلال) يدل على أن الروم حينما ستتمركز في منطقة الأعماق ستكون بمأمن من العرب والمسلمين.

وبالفعل لو أن الجيش الأمريكي، أو قوات الاتحاد الأوربي نزلت في هذه المرحلة من التاريخ في منطقة الأعماق قرب دابق، ستكون تحت حماية النفوذ التركي الذي يقوم باحتلال هذه المنطقة من بلاد الشام. إذ لولا هذا التعاون التركي الأمريكي الإسرائيلي اليوم في قلب عالمنا الإسلامي، ولهات الدولة التركية للانضمام إلى الاتحاد الأوربي، ولولا أن تركيا لم تكن تحتل هذا الجزء الإستراتيجي من بلاد الشام، كما كان بالإمكان نزول القوات الأمريكية - أو قوات تابعة للاتحاد الأوربي - وتمركزها في منطقة الأعماق إلا بالقتال.

إن قوة الإعجاز في الحديث الفات تكمن أيضاً في أن احتلال منطقة لواء اسكندرون من بلاد الشام، وهذا التعاون التركي الإسرائيلي وسعي الدولة التركية اليوم لانضمامها إلى الاتحاد الأوربي، هو موجود في علم الغيب عند الله عز وجل مما دفع نبيه عليه الصلاة والسلام ليخبرنا - وقبل أربعة عشر قرناً - بأن الروم ستنزل في منطقة الأعماق نزولاً آمناً لا خوف فيه! وستكون حينها بمأمن من العرب والمسلمين!!.

وبعد تموقع الروم في تلك المنطقة يخرج إليهم جيش من المدينة وهم من خيار أهل الأرض، يعقد لواءه السيد المهدي عليه السلام ويدفع بالراية إلى رجل من أصحابه، حتى إذا ما وصلوا إلى القرب من مكان تموقعهم عقدوا فيما بينهم هدنة، فيستغل الروم الهدنة آنذاك لقتال الفرس (إيران) من جديد، والتي تعتبر الآن على رأس قائمة محور الشر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، فيرد عليهم أنصار المهدي كما جاء في الحديث: ((لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا)) ويمنعونهم من قتال إخوانهم المسلمين في إيران.

وهنا تنطلق شرارة الحرب العالمية الثالثة، وتبدأ الملحمة الكبرى فيشترط المسلمون على أنفسهم القتال حتى الموت، فإما النصر وإما الشهادة. فينقضي اليوم الأول دونما يحالف النصر واحد من الطرفين، وفي اليوم التالي أيضاً يجددون البيعة والشرطة حتى الموت، فيمضي اليوم الثاني دون إحراز أي نصر لكلا الطرفين، فيبيتون. . وفي اليوم الثالث تعتري ساحة المعركة مرحلة مخاض عسير، وإحراز النصر لا يزال من أمامه حاجزٌ عصيٌّ على الجيشين. حتى إذا كان يوم الرابع والحذر ما زال سيد الموقف، وبدأ القلق يتفاقم في نفوس المسلمين هبت رياح الشوق إلى الجنة، فيشرس قتال المجاهدين وينهض إليهم بقية أهل الإسلام من الشتات، ومن كافة الدول الإسلامية إذعانا لحسم المعركة بنصر من عند الله للمؤمنين، وخذلان للكافرين بعدما منوا بهزيمة نكراء قدّموا من خلالها أعناق جنودهم وبواسلهم قرابين على أعتاب القسطنطينية، انطلاقةً لبذلهم قرابين جسيمةً على أعتاب روما. .

وفي نهاية الملحمة تكون حصيلة جيش المسلمين ثلاثة أقسام: ينهزم ثلث الجيش فأولئك لا يتوب الله عليهم أبداً، ويستشهد الثلث الثاني هم أفضل الشهداء في ذلك العصر، ويتنصر الثلث الباقي فيفتح الله على أيديهم القسطنطينية من جديد.

وعلى الرغم وقتئذٍ من كثرة الفتوحات ووفرة الغنائم، فلا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة.. وذلك لكثرة القتلى عند الأعداء وكثرة الشهداء عند المسلمين، حتى أن بني الأب الواحد يتعادون بعد الملحمة وقد كانوا المثة قبل الملحمة فلا يبقى منهم إلا الرجل الواحد. . وفيما يلي عزيزي القارئ سيتضح لك أن ما أسلفناه لم يكن وهماً أو ضرباً من الخيال، وإنما

استقرأ من حديث رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا، ونحّاهما نحو الشام، فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم وتكون عند ذاكم القتال ردة^(١) شديدة، فيشترط المسلمون شرطة^(٢) للموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء^(٣) هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتتلون حتى يمسا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهد^(٤) إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة^(٥) عليهم فيقتلون مقتلة - إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم ير مثلها - حتى إن الطائر ليمر بجناياتهم، فما يخلفهم^(٦) حتى يختر ميتاً، فيتعادّ بنو الأب كانوا مئة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح، أو أي ميراث يقاسم^(٧)».

ومن أهم نتائج تلك الحرب المهلكة أن يقل الرجال ويكثر النساء، مع بداية لعصر جديد يكون فيه لكل خمسين امرأة معيل واحد. . أو كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري في صحيحه: «إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم^(٨) الواحد^(٩)».

(١) الردة: الفتح والارتداد، وفيها كناية عن الكر والفر.

(٢) الشرطة: طائفة من الجيش تقدّم للقتال.

(٣) يفيء: يرجع.

(٤) نهد: نهض.

(٥) الدبرة: الهزيمة.

(٦) يخلفهم: يجاوزهم.

(٧) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٢٣) (ح ٧٢٨١).

(٨) القيم: القائم على أمورهن وحوادثهن.

(٩) صحيح البخاري (ج ٥/٢٠٠٥) (ح ٥٢٣١).

فتح رومية

بعد الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية من جديد، يستأنف المسلمون توغّلهم في بلاد الروم، وتفتح لهم البلاد والأمصار إلى أن يصلوا رومية أيضاً، ففتح لهم - بإذن الله - .

والقسطنطينية هي مدينة استانبول حالياً في بلاد الترك، كما كانت دار ملك الروم لها سبعة أسوار، ارتفاع السور الواحد: واحد وعشرون ذراعاً، وقيل: عرض السور كذلك. أهم ما فيها الكنيسة وهي مستطيلة، بجانبها عمود عال عليه ورود من أربعة أنواع، وعلى رأسه فرس من نحاس يعلوه فارس (هو صورة لقسطنطين الذي بنى المدينة) في إحدى يديه كرة من ذهب، وقد فتح أصابع يده الأخرى مشيراً بها.

كما أنها مدينة تقع على شاطئ البحر الأسود، غزاها المسلمون في نهاية القرن التاسع الهجري وفتحت على يد السلطان محمد الفاتح، أما رومية فهي مقر الأب الروحي حالياً، والحاكم على دين النصرانية في العالم المسيحي الذي هو بمنزلة الخليفة عند المسلمين، وهي نفسها مدينة روما الإيطالية فيها من العجائب ما لا يوجد في بلاد المسلمين، إذ فيها الكنز الذي أخذه طاهر بن إسماعيل من بيت المقدس، كما يوجد فيها التابوت الذي فيه السكينة، ومائدة بني إسرائيل، ورضاضة الألواح، وحلة آدم، وعصا موسى، ومنبر سليمان، وقفيزين من المنّ الذي أنزله الله عزّ وجلّ على بني إسرائيل، أشدّ بياضاً من اللبن^(١). فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليستخرجنّ المهدي ذلك، حتى يرده إلى بيت المقدس»^(٢).

(١) (٢) الإضاءة لأشراط الساعة (ص ١٦٢-١٦٣). أخرج الطبراني نحوه في التفسير (٥/٢٢).

والنبي عليه الصلاة والسلام كان قد بشرنا بفتح المدينتين : القسطنطينية ثم رومية (عاصمتي الروم العصيتين آنذاك)، فسئل حينها : أي المدينتين تفتح قبل الأخرى؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده: «مدينة هرقل تفتح أولاً (يعني قسطنطينية)»^(١).

وبالفعل فتحت القسطنطينية قبل رومية في القرن التاسع الهجري على يد السلطان محمد الفاتح، وبقيت رومية. وسيعاد بإذن الله فتح القسطنطينية من جديد؛ ليتم تحريرها من فساد العلمانية وتغلغل الماسونية اللتان تحكمان البلاد منذ سقوط الخلافة الإسلامية، واستيلاء عدو الله المنافق (أتاتورك) على زمام الحكم في البلاد. . . وستفتح من دون استخدام السلاح وبمدد من الله عز وجل، إذ إن جيش المسلمين.. وهم سيكونون آنذاك من خيار أهل الأرض.. سيكبرون للمرة الأولى فيسقط أحد أسوارها، ثم يكبرون للمرة الثانية فيسقط سورها الآخر، وفي الثالثة يفرج لهم فيدخلوها فاتحين غانمين. . .

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سمعت بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحق^(٢) فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها. قال ثور: لا أعلمه إلا قال: الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا»^(٣).

ومن خلال هذين الحديثين نستقرء بشارة من النبي عليه الصلاة والسلام على أن المسلمين سيعود إليهم وزنهم وثقلهم بين الأمم، وستفتح لهم من جديد القسطنطينية ثم رومية - بإذن الله -.

(١) مسند أحمد (ج ١٧٦/٢) (ح ٦٦٤٥) رجاله ثقات.

(٢) قال القاضي عياض: بنو إسحاق هم بنو إسماعيل، ويراد بهم العرب. كما دلت على ذلك أحاديث أخرى.

(٣) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٣٨) (ح ٧٣٣٣).

عليك بالشام

في المرحلة المقبلة من التاريخ، ستكون بلاد الشام مسرحاً لأهم الأحداث التاريخية وعلى كل الأصعدة: الدينية والسياسية والعسكرية. . . وذلك منذ مجيء الرايات السود، وظهور المهدي عليه السلام ومن ثم قدومه إلى بلاد الشام لتحرير فلسطين، وقتل من تبقى فيها من الصهاينة. وربما سيختار المهدي عليه السلام دمشق عاصمة للدولة الإسلامية الجديدة، كما جاء في حديث رواه الأوزاعي عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنه قال: «أخبرني أبي عن جدي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: للناس ثلاث معاقل^(١): فمقلهم من الملحمة الكبرى التي تكون بعمق أنطاكية دمشق، ومقلهم من الدجال بيت المقدس، ومقلهم من يأجوج ومأجوج طور سيناء»^(٢).

ومن قبلها كانت هناك الفتنة على نهر الفرات، بعدما يحسر النهر على كنز من ذهب ليتقاتل عليه الناس. . . ثم نزول الروم بالأعماق ونشوب الملحمة الكبرى التي على الأرجح ستكون أعظم حروب القرن الحادي والعشرين، وآخر حرب من حروب الإبادة الكبرى في التاريخ! . . وبالتالي سيدخل التاريخ عصراً جديداً ألا وهو عصر الأمارات الكبرى.

(١) معاقل: جمع مقل؛ وهو الملجأ، أو الحصن.

(٢) أبو نعيم في الحلية (١٤٦/٦) قال: حدثنا حبيب بن الحسن و عبد الله بن محمد قالوا ثنا عمر بن الحسن أبو حفص القاضي ثنا محمد بن كامل بن ميمون الزيات ثنا محمد بن إسحاق العكاشي ثنا الأوزاعي عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ . . . فذكره.

هذا وإن ما تشير إليه الدلالات إلى أن بلاد الشام ستشهد إبان، وغداة عصر المهدي عليه السلام وقائع وأحداثاً، وهي لا تقل أهمية عن تلك التي ذكرناها - وسنمر في غمار البحث القادم على ذكرها بإذن الله - كخروج الدجال ونزوله في بلدة ما بين الشام والعراق، ودخوله مع سبعين ألفاً من اليهود تارةً أخرى إلى فلسطين، ومن ثم نزول السيد المسيح عليه السلام في المنارة البيضاء (الغوطة) قرب دمشق، وقاتله الدجال عند باب لدّ في فلسطين. . وأخيراً اتخاذه عليه السلام دمشق مقراً له حتى وفاته. . إذ روى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن فسطاط^(١) المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: (دمشق) من خير مدائن الشام»^(٢).

وروى أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن أحد أصحاب النبي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم الشام فإذا خيّرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها: دمشق، فإنها معقل المسلمين من الملاحم، وفسطاطها منها بأرض يقال لها: الغوطة»^(٣).

كل تلك الأحداث الهامة والقادمة في المستقبل، والتي ستتشكل منها مراكز الحدث في صناعة التاريخ الجديد، سوف تؤدي إلى توافد المسلمين ومن كل أصقاع الأرض إلى بلاد الشام؛ ليكونوا أنصاراً للمهدي ومن بعده للسيد المسيح عليهما السلام.

وقد سأل ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رسول الله ﷺ: كم متسع دمشق من المسلمين يومئذ؟ فأجابه عليه الصلاة والسلام، كما جاء في الحديث: «والذي نفسي بيده لتتسعنّ على من يأتيها من المسلمين، كما يتسع الرحم على الولد»^(٤).

وها هو الرسول عليه الصلاة والسلام ينصح أبناء أمته إذا خيروا

(١) فسطاط: الجماعة من الناس.

(٢) أبو داود (ج ٤/١١١) (ح ٤٣٩٨) حديث صحيح.

(٣) مسند أحمد (ج ٥/١٩٧) (ح ١٧٤٠٠) صحيح لغيره.

(٤) نعيم بن حماد (الفتن) (ج ١/٤١٨) وفيه عبد الله بن لهيعة. قال عنه ابن حجر: صدوق.

المنازل من بعده أن يختاروا الشام، ومن شق عليه ذلك فعليه باليمن، إلا أنه كان قد أكد عليه الصلاة والسلام على أفضلية الشام على بقية البلاد، في حديثٍ أخرجه أبو داود عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة»^(١): جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق. قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك. فقال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم^(٢) فإن الله توكل لي بالشام وأهله»^(٣).

فيأتي خيار أهل العراق إلى بلاد الشام ويفر شرار أهل الشام إلى العراق، كل يبحث عن مولاه، فمن كان المهدي والمسيح عليهما الصلاة والسلام هما مولاه، فسيأتي إلى بلاد الشام ولو كان حبواً على الشوك، ومن كان الدرهم والدولار هما مولاه فسيفر من بلاد الشام.. أو كما قال أبو أمامة رضي الله تعالى عنه فيما رواه أحمد في مسنده: «لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام، ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق. وقال رسول الله ﷺ: عليكم بالشام»^(٤).

فبخ بخ للشام.. خيرة الله من أرضه هي الشام.. يقول عليه الصلاة والسلام، فيما رواه أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: «طوبى للشام، طوبى للشام! قلت: ما بال الشام؟ قال: الملائكة باسطو أجنحتها على الشام»^(٥).

وفي الختام: ومهما تدغدغت عقولنا بالشام فلا ننسى أن طيبة والبيت الحرام، يقيان خيراً من كل بلاد العرب والإسلام، وكل حبة تراب تشرفت بأن وطئها بقدمه الشريفة رسول الله ﷺ؛ لهي خير من كل بقاع الأرض.. وحتى من بلاد الشام.

(١) مجندة: معسكرة.

(٢) غدركم: جمع غدير وهو النهر الصغير.

(٣) أبو داود (ج ٤/٣) (ح ٢٤٨٣) حديث صحيح.

(٤) مسند أحمد (ج ٢٤٩/٥) (ح ٢٢١٤٥) إسناده ضعيف.

(٥) مسند أحمد (ج ١٨٤/٥) (ح ٢١٦٠٦) صحيح لغيره.

أيامه الأخيرة عليه السلام

يمكث المهدي في الأرض بعد تحرير العالم واستقرار الأوضاع ما يقرب من سبع إلى تسع سنين، ينشر الأمن ويحكم بكتاب الله، وتنعم البلاد بالأمن والأمان، وتهلّ على الناس خيرات السماء وبركات الأرض، ويكثر المال فيفيض حتى لا يُردّ طالبه. . فقد ورد في حديثٍ أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يكون في أمّتي المهدي، إن قصر فسبع وإلا فتسع، فتنعم فيه أمّتي نعمة لم ينعموا مثلها قط، تؤتى أكلها ولا تدخر منهم شيئاً، والمال يومئذ كُدوس^(١). فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ»^(٢).

وقيل: إن المهدي يدرك في آخر أيامه السيد المسيح عليه السلام ليكون إمام المسلمين في دمشق حين نزوله عليه الصلاة والسلام، كما جاء في حديث رواه ابن ماجه أيضاً عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عندما سئل رسول الله ﷺ عن العرب أيام الدجال؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام: «هم يومئذ قليل، وجلّهم بيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص^(٣) يمشي القهقري^(٤) ليتقدم عيسى يصلي

(١) كُدوس: جمع كُدس، وهو المجتمع من كل شيء.

(٢) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٦) (ح ٤٠٨٣) حديث حسن.

(٣) ينكص: يرجع إلى خلف.

(٤) القهقري: الرجوع إلى خلف.

بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم»^(١).

الرجل الصالح في الحديث - وكما أشار إليه بعض التابعين وأهل العلم - هو المهدي عليه السلام، إلا أن عدم ذكر المهدي باسمه أو نعته في نص الحديث، قد يدل على أن هذا الرجل الصالح ليس بالضرورة هو المهدي عليه السلام، وإنما قد يكون خليفة المهدي، أو القحطاني - والذي سنمر على ذكره لاحقاً بإذن الله^(٢) - ومما يرجح هذا الرأي حديث رواه السيوطي في الجامع الصغير، أن النبي ﷺ قال: «لن تهلك أمة أنا في أولها، والمهدي في أوسطها، وعيسى في آخرها»^{(٣) (٤)}.

ومن خلال هذا الحديث نستقرء دلالة واضحة على أن حياة المهدي لن تتداخل مع حياة السيد المسيح عليهما السلام؛ لأن كلمة (أوسطها) قد تدل على فترة زمنية تفصل ما بين حياة الرسول ﷺ، وبدء خلافة المهدي عليه السلام، وفترة زمنية أخرى تفصل ما بين انتهاء خلافة المهدي وبدء عهد السيد المسيح عليهما السلام، إن طالت تلك المدة أو قصرت.. والله أعلم.

(١) ابن ماجه (ج ٢/ ١٣٦١) (ح ٤٠٧٧) حديث ضعيف؛ لأن في إسناده إسماعيل بن رافع. قال عنه ابن حجر: ضعيف الحفظ.

(٢) تضاربت الآراء حول شخصية القحطاني هذا، حيث إن فريقاً من العلماء والتابعين من اعتبره من الصالحين، ولشدته في الحكم فهو شبه بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. والبعض الآخر رجح بأنه سيكون جباراً في ولايته، ولغلظته في الحكم فإنه سيقتود الناس بعصاه.. والله أعلم.

(٣) فيض القدير (ج ٥/ ٣٠١) حديث ضعيف، لأن فيه حسين بن قيس، وهو متروك ذكره الهيثمي. وفي الجامع الصغير للسيوطي (ج ٢/ ٨٠٨) (ح ٧٤١٠): حديث موضوع.

(٤) لم يتبين لي في الطبعة الأولى بأن هذا الحديث قد اعتبره بعض المحققين حديثاً موضوعاً، ذلك وبما أنه لا يخالف نصاً أو حديثاً صحيحاً، فإنني أبقيت عليه مع التنويه له، والله من وراء القصد.

كما أن خليفة المهدي عليه السلام إن كان، فسيكون كخليفة رسول الله ﷺ، ومن هنا يمكن القول بأن المهدي عليه السلام قد تدركه المنية قبيل نزول السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، بعقود أو عدة قرون. أما عمره - كما أشارت إليه بعض الروايات - فيقدر حين الظهور ما بين الثلاثين إلى الأربعين، وما بعد الظهور - كما تشير إليه أكثر الأحاديث - من سبع إلى تسع سنين، وقليل من قال أكثر من هذا العدد علماً بأن الأحداث التي مررنا على ذكرها خلال فترة خلافة المهدي عليه السلام، قد تحتاج إلى ما يربو على تسع سنين إلى عشرين عاماً . . والله أعلم.

ولا بد هنا من الإشارة إلى نقطة هامة؛ ألا وهي أفضلية المهدي عليه السلام قياساً مع أبي بكر وعمر، وبقية رجال أهل البيت والصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. إذ راح بعض العلماء في ذلك مذهبيين، فمنهم من قال: نكل الأمر إلى الله عز وجل، ونغض عنه النظر كما سكت عنه رسول الله ﷺ.

والبعض الآخر راح يستنبط من أحاديث المصطفى ﷺ؛ ليصل إلى نتيجة مفادها أن المهدي عليه السلام هو أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان، ومن جده علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وحثهم في ذلك هو قول الرسول ﷺ كما جاء في الحديث: «فإنه خليفة الله المهدي»، فكأن هذا القول يعتبر بمثابة بيان من الرسول عليه الصلاة والسلام على أن المهدي - سلام الله عليه - مبعوث من الله عز وجل وإلى الناس كافة إلا أنه ليس بنبي، فلا نبي بعد النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. كما يشير الحديث السابق إلى أن المهدي عليه السلام هو خليفة الله في الأرض^(١)، بينما كان أبو بكر خليفة رسول الله، وكذلك عمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(١) أي أن الله هو الذي جعله خليفة، لا أنه خليفة عن الله تعالى.

بالإضافة إلى ذلك فهناك الكثير من الأحداث والكرامات التي خصّ الله عز وجل بها عبده المهدي عليه السلام لم تكن لرجل من قبله إلا للأنبياء . . . ومن هنا يقول هذا الفريق بأفضلية المهدي عليه السلام على كافة الصحابة، ورجال أهل البيت رضي الله تعالى عنهم أجمعين. فنسأله تعالى أن يحشرنا معهم إنه على ذلك قدير..

(١) وبرحيله - عليه السلام - إلى الرفيق الأعلى تنتهي حلقة من التاريخ، وتبدأ حلقة أخرى جديدة مع خروج الدجال ونزول السيد المسيح عليه الصلاة والسلام . . . فإلى حلقة ثانية، وعصرٍ جديد بعون الله تعالى.

(١) إن المفاضلة بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وبين المهدي عليه السلام هي مسألة أطرحها عسى ولعل أن تؤصد ولا تفتح بعد الآن، وإلى أن يظهر السيد المهدي عليه السلام الذي لا شك بأنه سيكون أدرى من الجميع في هذه المسألة. مع العلم أن مذهب أهل السنة والجماعة يقر بأفضلية الشيخين: أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، على كافة رجالات الصحابة وأهل البيت رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وذلك باتفاق العلماء. ولا سيما أيضاً إذا انتبهنا إلى أن الجوهر والأساس الذي عليه مذهب أهل السنة والجماعة هو صون دعوة التوحيد، والحفاظ على أركان الدين الحنيف، والتمسك بالسنن المأثورة الثابتة. وغير خافٍ أن التفضيل إن لم يرد به نصّ ثابت فإنه نوع من الاجتهاد قد يصيب، وقد يخطئ، والأسلم أن يترك هذا الأمر، فإن الناس جميعاً واردون على الله تعالى وسيحاسبهم سبحانه، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات، وعندها فقط يتبين حقاً من الأفضل . . . لكي لا نقع فيما وقع فيه بقية أهل الفرق الإسلامية، في شغلهم الشاغل بفرعيات الدين على عمومياته ومحكماته، ويتفاضل الرجال بعضهم على بعض وبمطالبتهم - حتى اليوم - بولاية فلان بدلاً من فلان، كولاية علي بن أبي طالب بدلاً من ولاية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وكلاهما - ومنذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً - قد انتقلا إلى جوار ربهما عز وجل، وكلٌّ منهما نحسبه الآن في روضة من رياض الجنة، وفي صحبة خير الأحبة: محمد - ﷺ - وصحبه، وغير متأسفين على أية مفاضلة أو ولاية مهما كانت؛ إلا بحق الله ونصرة هذا الدين.

عصر الأمارات الكبرى

- خروج الدجال
- نزول السيد المسيح
- خروج يأجوج ومأجوج
- طلوع الشمس من مغربها
- خروج الدابة
- ثلاثة خسوف
- الدخان
- نار من قعرة عدن

خروج الدجال

● دجاجة قبل الدجال

● الدجال (نعتة ونسبه)

● أتباع الدجال

● أعداء الدجال

● جهد يسبق الدجال

● فتن الدجال

● العصمة من الدجال

● هلاك الدجال

دجاجلة قبل الدجال

كل نبي قد يليه دجال! أو يزيد. أما رسول الله ﷺ فقد تلاه العشرات من الدجاجلة! منذ عصره عليه الصلاة والسلام وإلى يومنا هذا، وكل منهم زعم أنه الله، أو نبي الله، ولا إله إلا الله، ولا نبي بعد سيدنا محمد رسول الله ﷺ. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على قوة هذه الرسالة التي ما تزال تعصف بها كل أنواع الكذب، والافتراء على الله وعلى الأمة، ومن قبل أناس هم شر الخلق والخليقة، ادعوا لأنفسهم من صفات لا تكون حتى للأنبياء، فضلوا وأضلوا.. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثون كذاباً أو أكثر، قلت: ما آيتهم؟ قال: يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها، يغيرون سنتكم، فإذا رأيتموهم فاجتنبوهم»^(١).

وروى أحمد في مسنده عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «وايم الله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لا قون في أمر دنياكم وآخرتكم، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعرور الدجال»^(٢).

إذا تخرج الدجال سيسبقه ظهور تسعة وعشرين دجالاً، وقد خرج منهم حتى الآن ما يقرب من هذا العدد، وعلى امتداد رقعة البلاد الإسلامية.

وأول هؤلاء الدجاجلة كان مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة، حيث

(١) الإضاءة لأشراط الساعة (ص ٧١).

(٢) مسند أحمد (ج ١٦/٥) (ح ٢٠١٧٨) إسناده ضعيف.

خرج في بني حنيفة في شبه الجزيرة العربية، بعدما أرسل كتاباً إلى الرسول عليه الصلاة والسلام قال فيه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد: فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قریشاً لا ينصفون والسلام عليك.

وراح مسيلمة يؤلف ويقلد آيات من الذكر الحكيم ومما قاله: (والليل الدامس، والذئب الهامس، ما حرمته رطباً، إلا كحرمته يابس). ومما قاله أيضاً: (ياضفدع نقي، فإنك نِعَم ماتنقين، لازاداً تنقرين، ولا ماء تكدرين)^(١).

فاستقطب بهذه العبارات المضحكة والسخيفة سفهاء قومه الذين ما إن مالوا إليه حتى أسقط عنهم الصلاة، وأحلّ لهم شرب الخمر والزنا وغيرها من المحرمات فكثرت أتباعه.

وآذعت سجاح بنت سويد النبوة في زمانه، فناصرها بنو تميم وكان من بينهم الشاعر المعروف حارثة بن بدر، وعطار بن حاجب الذي قال فيها:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأضحت أنبياء الناس ذكرانا

وأصبح لها قوة وثناء وتغلبت على بعض القبائل فقويت شوكتها، ثم قصدت اليمامة حيث مسيلمة الكذاب وأحاطته بجيوشها، فأرسل إليها كتاباً قال فيه: أما بعد فإنه أنزل عليك وحي وعلّي وحي، فهلّم نتدارس ما أنزل علينا فمن غلب صاحبه اتبعه الآخر، فقبلت بذلك حتى إذا ما خلوا ببعضهما زنا بها ثم قالت له: إن مثلي لا يفعل بها مثل هذا، وإني مسلمة لك النبوة على أن تخطبني من أوليائي، فاتبعته وتزوجها وحينما سأله عن المهر قال لهم: أسقطت عنكم صلاة العصر^(٢).

(١) السير للذهبي (٦٩/٣).

(٢) للإنصاف وللتاريخ لقد فاتني في الطبعة الأولى أن أنهه بأن سجاح بنت سويد رجعت إلى الإسلام في زمن معاوية وحسن إسلامها. وكذلك الأمر بالنسبة لحارثة بن بدر =

قال الرشاشي: بنو تميم الذين في الرمال إلى الآن لا يصلون صلاة العصر ويقولون: مهر كريمتنا لنا لا نرده أبداً. هؤلاء لسذاجة تفكيرهم وفهمهم للدين ليسوا وحدهم من أسقط عنهم صلاة العصر، فيبقى هؤلاء أرشد من غيرهم بكثير، في فهم أصول هذا الدين ومن أقوام أسقط عنهم أربابهم صلاة الظهر، والعصر، والصوم، والحج.. فهل وقّف الأمر عند بني تميم على صلاة العصر^(١)؟!.

وما إن جهز رسول الله ﷺ بعث أسامة بن زيد رضي الله عنه حتى توفي ﷺ ومسيلمة الكذاب لا يزال على قيد الحياة، حتى كانت خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فأرسل إليه جيشاً بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقتله وحشيّ وهو نفسه قاتل حمزة عم الرسول ﷺ.

وفي زمن النبي عليه الصلاة والسلام كان هناك الأسود العنسي صاحب

= وعطار بن حاجب فقد تابا وعادا إلى الإسلام. أما الأحنف بن قيس وقد ذكرت في الطبعة الأولى بأنه كان من بين الذين ناصروا سجاح بنت سويد - حسب بعض المصادر - إلا أنني وبعد التحقق من مصادر أكثر دقة، تبين لي أن الأحنف بن قيس صحابي جليل ولم يثبت بأنه ارتد عن الإسلام، أو ناصر سجاح بنت سويد ولا حتى يوماً واحداً فرضي الله تعالى عنه، وعفا الله عني فيما أخطأت فيه أول الأمر.

(١) تلك هي الفقرة الأولى التي اتخذتها الجهة المدعية (المكونة من العشرين محامياً، الآنف ذكرهم في المقدمة) في شن حربها العدائية عليّ، وعلى حرية الفكر والتعبير عما يمكن أن يجول في خاطر مثقفينا وكتابنا..

فما إن خطا وطننا الحبيب في هذا المجال خطوات عظيمة نحو الأمام حتى جاءت مثل هذه العصابة لتعيد هذا الوطن إلى الوراء قرونًا، وتهدم ما أنجزه خلال السنوات القليلة الماضية..

ولكي أضع قارئني العزيز موضع الحكم العدل في تلك القضية، ها أنا ذا أبقى تلك الفقرات على حالها - مع تنقيحها وإعادة سبكها مرة أخرى كما أسلفت في المقدمة - وتظليلها.. والسؤال الذي يوجه إلى الفئة المدعية الآن؛ هو: ما علاقتها بمن لم يُصلِّ صلاة العصر، أو الظهر.. ولا يصوم رمضان، ولا يحج البيت.. إلخ.. وبالتالي ما علاقتها بمن لم يُبق للإسلام من أركان؟!.

صنعاء، وكان صاحب شعوذة وله شيطانان يخبرانه بأسرار الناس، يطلق على الأول سحيق وعلى الآخر شفيق، وكان له حمار معلّم إذا قال له: اسجد لربك، سجد. وإذا قال له: قم، قام.. ولذا كان يدعى هذا الكذاب العنسي (بذي الحمار)، تكرمه من الله عز وجل لهذا الرجل على ما كان يدخره من كفر ونفاق.

وبمنطقه الجميل ذاع صيته في منطقة صنعاء، وعندما سمع به أهل نجران دعوه لبلادهم، فجاءهم واتبعوه بعد أن ارتدوا عن الإسلام، وهناك استطاع أن يؤسس جيشاً، فسار به إلى صنعاء وتغلب عليها، ثم قتل على يد فيروز الديلمي رضي الله عنه بالتعاون مع زوجته المرزبانة التي أكرهها العنسي على الزنا، والتي كانت من سيدات نساء فارس.

ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي ادعى النبوة منذ زمن النبي عليه الصلاة والسلام، فوجه إليه النبي ﷺ سرية بقيادة ضرار بن الأزور فأخافوه ونهوه عن هذا الأمر، ثم هددوه بالقتل. وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام ارتد بعض قبائل العرب عن الإسلام والتفوا حول طليحة من جديد، فبعث إليه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سرية بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، فهزم وهرب إلى الشام، وقيل: هناك عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه.

وفي خلافة المطيع ظهر قوم من التناسخية، وفيهم شاب زعم أن روح علي انتقلت إليه وزعمت امرأته أن روح فاطمة انتقلت إليها، ورجل آخر ادعى أنه جبريل.. فتخيل عزيزي القارئ مدى تفاهة وسفاهة عقول أمثال هؤلاء!

وخرج بالمغرب رجل سمى نفسه بـ (لا)، وأوّل المعنى في الحديث المشهور: «لا نبي بعدي» فجعله إخباراً منه ﷺ بأن هذا الرجل (لا) أي صاحب هذا الاسم هو النبي المذكور في الحديث بعد النبي محمد ﷺ، ويقول: (لا) في الحديث مبتدأ، و(نبي) خبره.

ومنهم امرأة ادعت النبوة فذكروا لها الحديث السابق أيضاً فحاججتهم بقولها: إنما قال: لا نبي بعدي، ولم يقل: لا نبيه.

وفي خلافة المكتفي خرج يحيى بن زكرويه القرمطي، ثم بعده أخوه الحسين وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آيته، وجاء ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم أن لقبه المدثر وأنه المعني في سورة المدثر، ولقّب غلاماً له بـ (المطوّق بالنور) فظهر على الشام وعاث فيها فساداً، حتى أخذ الناس يدعون له على المنابر ثم قتل لعنه الله.

وفي خلافة الراضي ظهر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العراق، وقد شاع عنه أنه ادعى الألوهية وأنه يحيي الموتى، فقتل وصلب وقتل معه جماعة من أصحابه.

وخرج في خلافة المقتدر أبو طاهر القرمطي الذي قلع الحجر الأسود من مكانه، وكان ينشد ويقول:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

تلك كانت باقة من الدجاجلة التي سبقت الدجال الأكبر، ذكرت منها قسماً دون الباقي وذلك لضيق المجال، مع العلم أن عددهم ناهز الثلاثين.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن من بين هؤلاء من ادعى الألوهية، ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من ادعى أنه المهدي عليه السلام، وهناك من ادعى أنه جبريل أو تقيص روح علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.. إلخ، والنتيجة واحدة، أن كل هؤلاء يصنفون في قائمة محور الشر والدجل، وعلى رأسهم المسيح الدجال أو الدجال الأعور! فمن يكون هذا الدجال الأعور؟

الدجال (نعتة ونسبه)

كلمة الدجال مشتقة من الدجل وهو الكذب واللبس والخداع . . أما لقبه بالمسيح، فقيل: لأن عينه ممسوحة. وقيل: لأنه يطأ الأرض كلها؛ أي يمسخها. وأراد البعض أن يفرق بين المسيح عيسى ابن مريم والمسيح الدجال، فأضاف الخاء بدل الحاء إلى الدجال فجعل لقبه المسيح، وهذا ليس من الدين بكل تأكيد أن نغير حرفاً قاله رسول الله ﷺ. فضلاً عن أن النبي عليه الصلاة والسلام كان قد فرق بينهما حينما قال عن الدجال بأنه مسيح الضلالة، وهذا يعني أن المسيح عيسى ابن مريم هو مسيح الهدى والنور، وقد لُقّب عليه السلام بالمسيح لأنه كان لا يمسخ على رأس مريض أو مبتلى، إلا وعوفي بإذن الله. وقيل: لأنه كان يمسخ الأرض ولا يقيم في مكان واحد؛ لأنه لم يكن لديه سكن ولا زوجة.

يولد الدجال من أبوين لا ينجان طيلة ثلاثين عاماً، أما أبوه فهو طويل القامة، عريض المنكبين، أنفه طويل كالمنقار، وأمه مفلطحة طويلة اليدين، عظيمة الثديين، وبعد ثلاثين عاماً ينجان طفلاً أعور العين اليمنى، ثم هو رجل قصير، ساقاه متباعدتان، مطموس العين اليمنى، أي: ليست بناتئة إلى الخارج، ولا عميقة نحو الداخل، كأنها عنبة طافية. أما عينه اليسرى فهي طافية، كأنها نخاعة في الحائط، خضراء جاحظة. . أبيض أقرم، عظيم الجثة، شعره كث أجعد متكسر، كأن رأسه أغصان شجرة، شقي ضرره كثير، وخيره قليل، تنام عيناه ولا ينام قلبه (لتفكيره المتواصل بالشر، وتدبيره الحيل والمكائد ليوقع الناس في شباك فتنته)، حليق الرأس (وربما اللحية أيضاً)، مكتوب على جبينه (ك ف ر) أي كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير

كاتب، وعربياً كان أم أجنبياً.. فقد روى أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يملك أبو الدجال ثلاثين عاماً لا يولد لهما، ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء وأقله نفعاً، تنام عيناه ولا ينام قلبه، ثم نعت أبويه فقال: أبوه رجل طُوال مضطرب اللحم طويل الأنف كأن أنفه منقار، وأمه امرأة فراضاخية^(١) عظيمة الثديين»^(٢).

وفي صحيح البخاري يصف لنا رسول الله ﷺ الدجال بعدما رآه في منامه، كما جاء في الحديث: «وإذا أنا برجل جعد^(٣) ققط^(٤) أعور العين اليمنى كأنها عنبه طافية^(٥)»، فسألت: من هذا؟ فقيل: المسيح الدجال»^(٦).

وروى أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال عن الدجال: «وهو أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر (ك ف ر) مهجأة يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»^(٧).

وأبو داود أيضاً روى في سننه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج^(٨) جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور»^(٩).

وفي حديث الجساسة عن تميم الداري، أخرج مسلم في صحيحه عن

(١) فراضاخية: كثيرة اللحم.

(٢) مسند أحمد (ج ٥/٤٠) (ح ٢٠٤١٨) إسناده ضعيف.

(٣) جعد: في شعره انثناء.

(٤) ققط: شديد جعودة الشعر.

(٥) ليست بناتئة ولا جحراء (تطفو على الوجه).

(٦) صحيح البخاري (ج ٥/٢٢١١) (ح ٦٩٩٩).

(٧) مسند أحمد (ج ٣/٣٦٧) (ح ٢٥٠٨٩) إسناده على شرط الشيخين.

(٨) أفحج: إذا مشى باعد بين رجليه أو فيهما اعوجاج.

(٩) أبو داود (ج ٤/٣٢٠) (ح ٤٣٢٠) حديث صحيح.

فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ ذكر ما قاله تميم الداري في وصف الدجال: «أعظم إنسان رأناه قط خلقاً وأشدّه وثاقاً»^(١)، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد»^(٢).

أما الحديث الذي يشير إلى أن الدجال حليق الرأس (وربما اللحية كما أسلفنا)، هو نفسه الحديث الذي نعت به النبي ﷺ القوم الذين سيخرج في آخرهم الدجال، بأن من سيماهم التحليق كما روى أحمد في مسنده عن أبي برزة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يخرج من قبل المشرق رجال . . يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٣) ثم لا يرجعون فيه، سيماهم التحليق، لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال»^(٤).

هذا لا يعني أن كل من عفا لحيته هو خليق بها، إذ كثيراً ما نجد ممن استنوا بسنة رسول الله ﷺ وقد أعفوا لحاهم، هم أسوأ خلقاً من أناس لم يدخل الإيمان بعد إلى قلوبهم . . وبالمقابل فإن إعفاء اللحية - ولرجال الدين خاصة - هو أمر هام جداً، ناهيك عن أنه شعبة من شعب الإيمان . . وفي هذه المناسبة أسرد لكم هذه الحادثة:

بُنت حلقة على قناة الجزيرة في برنامج (بلا حدود) وكان ضيف الحلقة الناطق الرسمي لحركة ناطوري كارنا - وهي من أشد الحركات اليهودية المناهضة للصهيونية - الحاخام ديفد وايس (اليهودي والأمريكي الجنسية). ولا أريد الدخول في مضمون الحلقة رغم أهميتها، فعندما أعيد بثها في

(١) وثاقاً: ما يُشدّ به كالحبل وغيره.

(٢) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٦٣) (ح ٧٣٨٦).

(٣) الرمية: الصيد المرمي.

(٤) مسند أحمد (ج ٤/٤٢٤) (ح ١٩٧٨٣) حديث صحيح لغيره.

الأسبوع التالي - وكما قلت: لأهميتها - استدعيت أفراد أسرتي لمشاهدتها، وكان من بين الحضور والدتي الحنون، وقد بلغت من العمر عتياً، فلفت على الفور انتباهها اللحية التي كان قد عفى عنها الحاخام ديفد وايس، وقالت لي: يا بني كيف يكون هذا الرجل يهودياً وهو يطلق لحيته. فقلت لها: اعلمي يا أماه! أنه ليس في هذه الدنيا من أصحاب ديانات، ومذاهب، وطوائف إسلامية. . وحتى من الهندوس والبوذيين.. إلا وبعض رجال الدين الذين يمثلون هذه الفئات يطلقون لحاهم؛ إلا رجال الدين الذين يمثلون الفئة التي نعتها لنا رسول الله ﷺ بأن من سيماهم التحليق، فهؤلاء أشد بغضاً لمن يطلق لحيته اقتداءً بسنة رسول الله ﷺ، في حين يصفقون لمن يطلق لحيته اقتداءً بمارسيل خليفة، أو غيره من نجوم الفن والرياضة^(١).

أما بالنسبة لمسقط رأس الدجال فمعظم الأحاديث تشير إلى أن الدجال سيخرج من بلدة ما بين الشام والعراق، وقيل: من خراسان من يهود أصبهان، ومن بلدة اسمها رستاهاد في جمهورية إيران الإسلامية، كما نصت على ذلك الأحاديث التالية:

«إنه خارج خَلَّة بين الشام والعراق»^(٢)»^(٣).

(١) لقد أثارت بعض العبارات في الطبعة الأولى ردود فعل عكسية كما أسلفت، نتيجة لتأويلها الخاطيء تارة، أو فهم سوء النية بدلاً من حسنها تارة أخرى، ومن بينها كان ذكر هذا الفنان المعروف بتاريخه النضالي والقومي مارسيل خليفة. علماً بأنه واضح وضوح الشمس في كبد السماء أنني لم أعرض في هذا المقطع بأي مدح أو قذح لهذا الفنان. فأسأله تعالى أن لا يقرأ كتابي بعد اليوم إلا ذوو البصيرة والحكمة النابغة، وأن يبعد عني شرور من ابتلوا بعمى الألوان، كي لا يضللوا الناس فيؤولوا لهم بعض فقرات الكتاب كلاماً لم أقله، وهم يحسبون أنهم يحسنون الفن والصنيع لأنفسهم!

(٢) طريق بين الشام والعراق.

(٣) صحيح مسلم (ج ٤/ ٢٢٥٢) (ح ٧٣٧٣).

«الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان»^(١).

«يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة»^(٢)،^(٣).

والخلاف الظاهر بين الأحاديث الثلاثة حول مسقط رأس الدجال، يدل على أن ولادته ونشأته قد تكون في أصبهان، وخروجه سيكون من بلدة ما بين الشام والعراق أو العكس. وفي كلا الحالتين وفي نهاية الأمر سينزل الدجال في سبخة (بمرّ قناة) وعلى مقربه من بيت المقدس؛ ليتخذها مقراً له حتى موته، كما روى أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الدجال في هذه السبخة»^(٤) بمرّ قناة»^(٥).



-
- (١) الترمذي (ج ٤/٥٠٩) (ح ٢٢٣٧) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الألباني: صحيح.
 - (٢) الطيالة: جمع طيلس وهو ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن، خالٍ من التفصيل والخياطة وهو ما يعرف بالعامية: (الشال).
 - (٣) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٦٦) (ح ٧٣٩٢).
 - (٤) السبخة: أرض تعلوها الملوحة تكاد لا تنبت إلا بعض الشجر، وقد تكون في الأردن أو في فلسطين، وإلى جوار البحر الميت.. والله أعلم.
 - (٥) مسند أحمد (ج ٢/٦٧) (ح ٥٣٥٣) إسناده ضعيف.

أتباع الدجال

أول ما يدعي الدجال لنفسه - حسبما تشير بعض الروايات - التقى والورع ويدعو إلى الإسلام، فيتبعه قومه الذين سيخرج من أصلابهم، ثم يدعي النبوة فيفر عنه ثلّة من أتباعه، ثم يدعي الألوهية فيفر عنه من بقي في رأسه شيء من العقل. فيسرّ به اليهود كثيراً إذ أنهم يجدون في ذلك فرصة ذهبية؛ لأنه وبحسب اعتقادهم سيضل كثيراً من المسلمين، فيسارع من يهود أصبهان سبعون ألفاً إلى اتباعه ومناصرته، ويعتمد عليهم الدجال لغزو العالم، فلا يترك بلدة إلا دخلها وعاث فيها فساداً، إلا مكة والمدينة وقيل: والمسجد الأقصى.

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة»^(١).

وروى الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان^(٢) المطرقة^(٣)»^(٤).

ويتبعه أيضاً بعض الجماعات؛ الذين ينحدرون إلى فرق إسلامية شتى، ويتبنون أفكاراً عقديّة ضالة، فينفون القضاء والقدر، ويشركون مع الله إلهاً آخر.. فقد روى أبو داود في سننه عن حذيفة بن اليمان

(١) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٦٦) (ح ٧٣٩٢).

(٢) المجان: جمع مجن وهو الترس.

(٣) المطرقة: هي الأشياء التي عدلت بطراق، وشبهوا بذلك لأنهم عراض الوجوه، ولعظم نتوء وجناتهم.

(٤) الترمذي (ج ٤/٥٠٩) (ح ٢٢٣٧) حديث حسن غريب. وقال الألباني: صحيح.

رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة مجوس^(١)، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر؛ من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال»^(٢).

ومعظمهم ينتسب إلى الرافضة وذرايرهم من بعدهم الذين انتحلوا حب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو منهم بريء إلى يوم الدين. . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة^(٣)؛ يرفضون الإسلام، ويدعون مودة أهل بيتي»^{(٤)(٥)}.

وأخرج أحمد عن علي كرم الله وجهه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «يا علي إن فيك مثلاً من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا^(٦) أمه، وأحبه النصراني، حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به..» ألا وإنه يهلك في اثنين: محب مفرط، يفرطني^(٧) بما ليس في، ومبغض مفتر^(٨)، يحمله

(١) المجوس: قوم كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار، ولقبوا بالمجوس منذ القرن الثالث الميلادي.

(٢) أبو داود (ج ٤/ ٢٢٢) (ح ٤٦٩٢) إسناده ضعيف.

(٣) الرافضة: فرقة من الشيعة تجيز الطعن في الصحابة، وسماوا بذلك لأن أوائلهم رفضوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الشيخين (أبا بكر وعمر) رضي الله تعالى عنهما.

(٤) الرياض النضرة (ج ١/ ٣٦٤) (ح ٢٥٨). وأحمد في رواية أخرى (ح ٨٠٨): إسناده ضعيف.

(٥) هذه هي الفقرة الثانية التي اتخذتها الجهة المدعية في افترائها علي!. علماً بأن (الرافضة) مصطلح متفق عليه عند كافة الفرق والمذاهب الإسلامية، وليس جديد عهد على ثقافتها، بل هو متواتر في بطون الكتب والمراجع القديمة والحديثة كذلك.. فما ذنبي إن كانت ثقافة الجهة المدعية - بتراث أمتها وحضارتها الإسلامية - محصورة ما بين الألف والباء!.

(٦) بهتوا: من البهت وهو الكذب المفترى.

(٧) يفرطني: من الفرط وهو مجاوزة الحد في قول أو فعل.

(٨) مفتر: مخلق.

شأنني على أن يبتهني^(١).

وعن شعبة أن علياً كرم الله وجهه قال: «ليحبنى قوم حتى يدخلوا النار في حبي، وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي»^(٢).

وعن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ عندي فقعدت إليه فاطمة ومعها زوجها، فرفع النبي ﷺ إليه رأسه وقال: «إنه ممن يزعم أنه يحبك أقوام يصفون الإسلام^(٣) ثم يرفضونه^(٤) ثلاث مرات، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم. فإن أنت أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون. قال: يا رسول الله، فما العلامة فيهم؟ قال: لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون في السلف الأول»^(٥).

«السلف الأول» أي: الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. وأما قوله ﷺ: «لا يشهدون جمعة ولا جماعة» أي: أنهم لا يصلون صلاة الجمعة مع أنها نزلت فيها سورة في كتاب الله ألا وهي سورة الجمعة، وفيها يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩ - ١٠].

في الآية الأولى نجد أن الله تبارك وتعالى يأمر جميع المؤمنين بترك البيع والعمل؛ ليفرغ جميع الناس إلى صلاة الجمعة، فإذا قضيت الصلاة يأذن الله تعالى لهم في الآية الثانية بالانتشار، وذلك لمتابعة نشاطهم وبيعهم من جديد.

(١) أحمد: (ح ١٣٧٦)، والحاكم: (ح ١٢٣/٣)، وإسناده ضعيف.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد (ج ٥٦٥/٢) (ح ٩٥٢): إسناده صحيح.

(٣) يصفون الإسلام: يجيدون السير ويجدون فيه.

(٤) يرفضونه: يتركونه جانباً.

(٥) الرياض النضرة (ج ١/٣٦٤) (ح ٢٦٠). وذكر الهيثمي في الجمع (ج ١٠/٢٢) بأنه قد

رواه الطبراني في الأوسط وهو ضعيف.

وفي هذا دليل قطعي على أن صلاة الجمعة كانت تصلى وقت الظهر، إذ إن زمن النبي ﷺ لم يكن فيه وقت - من الأوقات الخمسة - قبله تجارة أو بيع، وبعده كذلك، إلا وقت الظهر؛ لأن الكهرباء لم تكن تنير الأسواق أو المتاجر في ذلك العصر؛ ليتبايع فيها الناس بعد صلاة المغرب أو العشاء، وكذلك الفجر كما في هذا العصر. أما صلاة العصر فيكون بعدها قد دخل وقت العشاء، فقلّ من يبقى في عمله أو متجره بعد العصر. ناهيك عن إجماع الأمة بكل أطرافها الذين يصلون صلاة الجمعة فهم يصلونها وقت الظهر.

كما أن من هؤلاء الرافضة والذين انتحلوا حب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يبغضون رفع الأذان كلما نودي للصلاة ويدّعون أنه شيء مبتدع بعد عصر الرسول ﷺ. ولكي يخفوا استنكارهم لهذا النداء، وخرقهم الفاضح بالتخلي عن أهم شعائر العبادات كرفع المآذن والنداء للصلوات. فهم يبررون ذلك - بفهمهم - أن تقنيات العصر كالميكاتية وغيرها، قد أغنت عن رفع الصوت بالأذان! وكأنهم لم يقرؤوا القرآن ولم يمرّوا على قوله تعالى - كما جاء في الآية السابقة - وهو يذكرهم بالنداء لصلاة الجمعة، وكذا لكل الأوقات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. (١)

وإذا قرئ عليهم القرآن فلا يتجاوز الأذان، حيث أصبح القرآن لأمثال هؤلاء كأبي كتاب يقرأ للمطالعة، أو زيادة في الثقافة وجمع المعلومات؛ لمجادلة أهل الحق والإيمان؛ لتضليلهم وردهم عن الإسلام، فلم يبق

(١) هي الفقرة الثالثة من بين الفقرات التي اتخذتها الجهة المدعية، وادعت بأنني أثير من ورائها نكرة طائفية ومذهبية.. علماً بأنني أكتب باللغة العربية كلاماً لا يحتاج إلى ترجمة، وواضح في هذه الفقرة أنني أتحدث عن الذين يبغضون رفع الصوت بالأذان، ويمتنعون في أماكن عبادتهم عن رفع المآذن (إن كانوا يدّعون - طبعاً - انتماءهم إلى هذا الدين الحنيف).. ولا شك في أن الأذان شعيرة من شعائر الصلوات المعروفة ومتواترة منذ عصر الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، وتُقر بها كافة الفرق والمذاهب الإسلامية.. فلا أدري إلى أي من تلك الفرق تنتسب هذه الجهة المدعية.. أم عندهم إسلام آخر لم نسمع به وما أنزل الله به من سلطان!؟.

القرآن لهؤلاء هدىً ونوراً، وشفاءً لما في الصدور، أو كلام ربّ غفور، بل إن أحدهم ليلقي بالقرآن بين كتبه غير أبه به، أهو كلام الله، أم كلام عبد الله!.. إذ روى أحمد في مسنده عن أبي برزة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج من قبل المشرق رجال.. هديهم هكذا، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه، سيماهم التحليق، لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال.. هم شر الخلق والخلقة»^(١).

شتيمة الرب عندهم أهون من شتيمة الصبيان.. أما أن تذكر كبيرهم المعظم باسمه دون أن تسبقه بلقب سيد أو مولاي، فهي من الكبائر، فاعلموا يا سادة يا كرام.. شتيمة الرب عندهم أهون بمليار مرة من شتيمة فخامة السيد المعظم^(٢)..

أما محمد عليه الصلاة والسلام.. فقد أخذ الراية - وحسب اعتقادهم - بمكر ودهاء.. من علي كرم الله وجهه وأرضاه.. وجبريل أمين السماء قد تأمر مع محمد عليهما السلام.. وتركاً علياً مكان محمد علي السرير لينام.. فهل هذا كلام عاقل أو منطوق يقال^(٣)؟..

(١) مسند أحمد (ج ٤/٤٢٤) (ح ١٩٨٠٨) حديث صحيح.

(٢) من يرضى بأن تكون شتيمة الرب عنده أهون من شتيمة الصبيان!؟ أو تكون شتيمة الرب عنده -والعياذ بالله- أهون بمليار مرة من شتيمة فخامة السيد المعظم!؟ إلا من كُتبت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.. فما علاقة تلك الجهة المدعية أيضاً بمن تكون شتيمة الرب عنده أهون من شتيمة الصبيان!؟ وبالتالي فلماذا أن يكونوا كذلك، وما شأنهم حينها بأن يتحدثوا باسم أي دين من الأديان؟ فضلاً عن أن يتحدثوا باسم دين محمد ﷺ أو إحدى فرقته التي تُجمع كلها على أن من أعظم شيء يكفر به الإنسان هو شتيمة الرب -والعياذ بالله- .

(٣) هذه أيضاً من ضمن الفقرات التي اتخذتها الجهة المدعية، مطية في ادعائها السافرا. وقد عقبّت في نفس الفقرة بأن من يدعي أن محمداً عليه الصلاة والسلام أخذ الراية =

وعائشة أم المؤمنين، ومعلمة ثلثي الدين، تقذف في كل وقت وحين،
بعرض أو بقلعة الدين، وقد جاء في محكم التنزيل: ﴿الَّتِي أُوتِيَ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾. [الأحزاب: ٦].

وعثمان ذو النورين، وصهر النبي مرتين، وعلى بابهِ واقف الحسن
والحسين؛ ليزودا عنه كيد المنافقين، بأمرٍ من أبيهما أبي الحسن
والحسين.. وفيه روى ابن عساكر عن حذيفة أنه قال: «والذي نفسي بيده لا
يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حُبِّ قتل عثمان، إلا تبع الدجال إن
أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره»^(١).

يَدْعُونَ أَنْ صَهَرَ عَلِيٌّ (ابن الخطاب) قد ضرب فاطمة الزهراء، ومن
الميراث حرمها أبو بكر الصديق.. والله أثنى على من في الغار، محمد
والصاحب العتيق.. فاختره لوحده ومن بين كل الصحابة ورجال أهل
البيت.. ليكون بصحبة النبي من مكة إلى المدينة طول الطريق.. وأهل طيبة
ينتظرون قدومهما كل يوم حتى المغيب.. حتى إذا ما وصلا تعالت
الحناجر بالهتاف والنشيد.. ونزل أمين السماء جبريل يتلوا على محمد
قول السميع العليم: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. [التوبة: ٤٠].

وإذا بذات الدين والحياء.. ما تسترت ووضعت على رأسها الحجاب..
فلم تكن كالكاسيات العاريات.. قذفوها بالسنة حداد عاتيات.. ثم صنفوها

= (يعني الرسالة) من علي كرم الله وجهه وأرضاه، فليس هذا كلام عاقل، ولا منطقاً
يقال. ولا أظن الجهة المدعية - وعلى حد علمنا بأن جميع أفرادها من حملة شهادات
عليا - قد تصل بها الأمور إلى هذا الحد من التهافت العقائدي!!..

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٦٨).

واعتبروها من الإرهابيات.. فهل قرأتم ما جاء به القرآن في آية من سورة الأحزاب؟: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذَقَهُ أَنْ يَعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وأكثر من سيتبع الدجال النساء؛ لما سيغويهن به من الثروة والمال، والحرث والأنعام، والقناطير المقنطرة.. فالمرأة إذا فقدت دينها.. يصبح أهم شيء عندها: غيرتها ومتعتها، فلا يهتم بعد ذلك عندها، أسجدت للدجال أم لخالقها. فالأولى في نظرها.. هو من يلبي لها متعتها، عدوها كان أم من يصون لها كرامتها. روى أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه^(١) وإلى أمه وابنته وأخته وعمته، فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه»^(٢).

ويأتي الدجال على أقوام سفهاء، فيريهم معجزاته وخوارقه، فيتبعونه.. كما يروي لنا مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم^(٣) أطول ما كانت دُرَى^(٤) وأسبغه ضروعاً^(٥) وأمدّه خواصر^(٦)»^(٧).

كما سيتبع الدجال أكثر سكان البادية من الأعراب، والذين اتخذوا الصحارى والجبال مقراً لهم للسكن والعيش، فابتعدوا عن العلم

(١) حميمه: خاصته ومن يقرب إليه.

(٢) مسند أحمد (ج ٢/٦٧) (ح ٥٣٥٣) إسناده ضعيف.

(٣) السرح: الماشية التي يغدى بها ويراح.

(٤) ذرى: رأس النبات.

(٥) أسبغه ضروعاً: أوسعها وأتمه لبناً.

(٦) أمدّه خواصر: أسمته بطوناً.

(٧) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٢) (ح ٧٣٧٣).

والعلماء، ولقسوة الحياة قست معها القلوب فلم تعد تفرق بين الحق والباطل، حتى غدت نفوسهم ميّالة لاتباع الهوى، وتصديق الخوارق وأصحاب الشعوذة.. فكيف بهم إذا ما رأوا فتنة الدجال، وقد سخر الله له من الشياطين من سيستعين بهم على السحر وإحياء الموتى، فيُضل به أقواماً، ويصلح به أقواماً أخرى.. فقد أخرج ابن ماجه في سننه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: رأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أنني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك»^(١).

تلك هي بطانة الدجال الذين سيطوّقونه في الحياة الدنيا.. وفي الآخرة سيطوّقون بالسلاسل والأغلال؛ ليكونوا حسب جهنم وبئس القرار.. كلما دخلت منهم أمة النار لعنت أختها وقالت: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].



(١) ابن ماجه (ج ٢ / ١٣٦٠) (ح ٤٠٧٧) إسناده ضعيف.

أعداء الدجال

كما كان للدجال أتباع فسيكون له أعداء أيضاً، وإن من أشد أعدائه بني تميم الذين يختلفون عن أولئك الذين هم من بني تميم أيضاً، والذين أسقط عنهم أربابهم صلاة العصر كما مر معنا في فصل سابق . . إذ روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعته من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: هم أشد أمتي على الدجال»^(١).

وإن من أشد أعدائه أيضاً من لا يخاف في الله لومة لائم ولا جور حاكم، ويجاهد في الحق ومن ذريته حتى يقاتل آخرهم الأعداء الدجال. فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»^(٢).

وإن من أعدائه أيضاً رجلاً ممتلئاً شباباً، نشأ في طاعة الله فلا يخاف عظمة الدجال، ولا يفتن بكنوزه وخوارقه، يبقى بقوة إيمانه ثابتاً يتسم في وجهه، فيمتلئ منه صدر الدجال غيظاً فيضربه بالسيف، فيشقه نصفين، ثم يعيده كما كان . . فما يزد ذلك الشاب إلا يقيناً بأنه الدجال.

أخرج مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه

(١) صحيح البخاري (ج ٢/ ١٩٨) (ح ٤٣٦٦).

(٢) أبو داود (ج ٤/ ٣) (ح ٢٤٨٤) حديث صحيح.

جزلتين^(١) رمية الغَرَض^(٢)، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك^(٣)».

وآخر ينشر بمنشار الحديد، ثم يبعثه الدجال الخبيث، فيسأله: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله. فذاك أعلى أمة سيدنا محمد ﷺ منزلة في الجنة. . كما ورد في حديث رواه ابن ماجه أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «وإن من فتنته أن يسَلِّط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقي شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له رباً غيري، فيبعثه الله ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله ما كنت بعد أشدَّ بصيرةً بك مني اليوم. فقال رسول الله ﷺ: ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة^(٤)».

وإذا ما كان أفضل الشهداء يوم القيامة من يقتل ما إذا نطق كلمة حق أمام سلطان جائر، فكيف هو بمن سينطقها أمام أعظم سلطان جائر في تاريخ البشرية. . يحكي لنا رسول الله ﷺ قصة هذا الرجل وهو يتحدى الدجال حينما يتصدى له، وينادي بصوته المرتفع: يا أيها الناس! هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ. قال ﷺ: «فيأمر الدجال به فيشَبِّح^(٥) فيقول: خذوه وشجّوه^(٦)، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجله، قال: ثم يمشي الدجال بين

(١) جزلتين: مثنى جزلة وهي القطعة.

(٢) الغَرَض: الهدف الذي يرمى إليه بالنشاب.

(٣) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٣) (ح ٧٣٧٣).

(٤) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٠) (ح ٤٠٧٧) إسناده ضعيف.

(٥) شَبِّح الرجل: مدّه ليجلده، أو ليصلبه.

(٦) شَجّه: شق جلد رأسه أو وجهه.

القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائما، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟
فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة»^(١).

تلك نماذج من الذين ذكروا الله في السّراء، فلم ينسهم الله في الضراء
وأثناء الفتنة، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فصدق معهم وثبتهم بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وأمام الدجال.



(١) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٦) (ح ٧٣٧٧).

جهد يسبق الدجال

قبل خروجه من وكره الذي هو يقبع فيه ، لا شك أن الناس سيفتنون بأشياء هي أقل تأثيراً من فتنته التي سيفتن بها كل مخلوق على وجه الأرض ، حتى إذا ما تعايشوا معها جاءهم الدجال بفتنة هي أشد مما كانوا عليه من ذي قبل.

إذ فبعد الملحمة الكبرى وما خلفته من حقول للقتلى ، يقل العرب فلا تكاد تجد بيتاً من بلاد العرب والمسلمين إلا وقد غالبية أهله إلا من عصم ربك ، حتى أن بني الأب الواحد - كما رأينا سابقاً - كانوا مئة قبل الملحمة ، فلا يبقى منهم إلا الرجل الواحد بعد الملحمة.

ثم ما إن أوشك العرب والمسلمون على نسيان تلك الحرب المهلكة بما أنعم الله عليهم من الفتوحات والانتصارات التي تحققت على يد المهدي عليه السلام ، وكثرة الغنائم التي أخذت تندلق عليهم من مغارب الأرض ومشارقها ، وبعدها أغدقت عليهم خيرات السماء وبركات الأرض.. وفجأة إذا بالسماء يغيض ثلث مائها ، وفي العام الثاني يغيض الثلث الثاني ، وفي الثالث لا تنزل من السماء قطرة ماء ، ولا تنبت الأرض نبتة واحدة ، فتهلك الدواب والأنعام ، وتجف الينابيع والأنهار ، ويندر الماء وينقطع الطعام . إلا أن هذا كله ما قد يكون في بلاد الشام فقط ، إذ روى أحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «إذا كان قبل خروج الدجال بثلاث سنين حبست

السماء ثلث قطرها، وحبست الأرض ثلث نباتها، فإذا كانت السنة الثانية حبست السماء ثلثي قطرها، وحبست الأرض ثلثي نباتها، فإذا كانت السنة الثالثة حبست السماء قطرها كله، وحبست الأرض نباتها كله، فلا يبقى ذو خوف^(١) ولا ظلّف^(٢) إلا هلك^(٣).

فخير المتاع يومئذ الولد الذي يسقي أهله الماء، أما الطعام فلا طعام إلا التسبيح والتهليل والتكبير، كما روى أحمد: «عن عائشة أن رسول الله ﷺ ذكر جهداً يكون بين يدي الدجال. فقالوا: أي المال خير يومئذ؟ قال: غلام شديد يسقي أهله الماء، وأما الطعام فليس. قالوا: فما طعام المؤمنين يومئذ؟ قال: التسبيح والتقديس والتحميد والتهليل»^(٤).

ويسبق الدجال أربع فتن: أولها: فتنة الأحلاس التي هي هرب وحرب. ثم تظهر فتنة السراء حينما يخرج رجل في آخر الزمان يدّعي بأنه من ذرية نبينا محمد ﷺ، ويدعو الناس إلى ضلالة. ثم تجتمع الأمة على رجل كورك (ضعيف). وآخرها: فتنة الدهيماء التي سوف لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا ولطمته لطمّة، فيفترق الناس إلى فسطاطين.. فقد روى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا قعوداً عند رسول الله، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس^(٥)، فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال: هي هرب وحرب، ثم فتنة السراء^(٦) دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي

(١) ذو خوف: الإبل.

(٢) ذو ظلّف: تطلق على البقرة والشاة والظبي.

(٣) مسند أحمد (ج ٦/٤٥٣) (ح ٢٧٥٦٨) صحيح لغيره.

(٤) مسند أحمد (ج ٦/٧٥) (ح ٢٤٤٧٠) إسناده فيه ضعف وانقطاع.

(٥) الأحلاس: جمع حلس، وهو كساء يلي ظهر البعير والمراد به دوام الفتنة.

(٦) السراء: النعمة والرخاء والمسرة.

المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك^(١) على ضلع، ثم فتنة الدهيماء^(٢) لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمَةً، فإذا قيل: انقضت؛ تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم، فانتظروا الدجال من يومه أو من غده^(٣).

أما فتنة الأحلاس فربما كانت هي المقصودة بالحروب الطائفية التي اجتاحت خلال القرن الماضي معظم البلدان العربية والإسلامية، والتي باتت فيها طوائف من هذه الأمة تطحن بعضها بعضاً ولله الحمد أنها أوشكت على الاندثار. أما فتنة السراء؛ فهي تدلّل - كما أسلفنا - على أن رجلاً يدعي أنه من ذرية نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يظهر في آخر الزمان، وقبل ظهور الدجال فيدعو الناس إلى ضلالة وهو ليس أهلاً لهذا النسب، إذ تبرأ منه الرسول ﷺ حينما قال عنه: «يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتقون».

ولهذه الفتنة أيضاً ما يدلّل عليها في هذا الزمان، إذ إننا نجد أكثر من رجل قيل: إنه من ذرية أهل البيت، ومن أحفاد علي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما، في حين أن البعض منهم نراهم بعيدين كل البعد عن سنة نبينا محمد ﷺ.

كيف لا؟ ونحن نسمع أحدهم يصرح - وبكل بساطة - أن فلسطين والقدس - مسرى الرسول ﷺ ومهبط الأنبياء من قبله - ليستا شيئاً مألوفاً في حياته! على الرغم من أن قضية فلسطين والمسجد الأقصى كانت ولا زالت تعتبر القضية الأولى التي تشغل بال المسلمين من أقصى الأرض إلى

(١) الورك: ضلع هزيل فوق الفخذ.

(٢) الدهيماء: السوداء والفتنة العمياء.

(٣) أبو داود (ج ٤/٩٤) (ح ٤٢٤٢) حديث صحيح.

أقصاها، وعلى الرغم من اختلافهم في العرق، واللغة، والوطن،
والتاريخ^(١)..

(١) لا ننكر أن البعض ممن نسب إليهم أنهم من ذرية أهل البيت قد يكونون من أثرياء العالم - ولو أن ثراءهم هذا يتناقض تماماً مع حديث رسول الله ﷺ: (إننا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً)، وعلى الرغم من أن أكثر أتباعهم يتضوعون بؤساً وفاقةً ويدفعون لهم الخمس ليزدادوا ثراءً، ويزدادوا هم فقراً وفاقةً - فعلى الرغم من هذا كله فقد يكونون من أصحاب السيرة الحسنة، وكثيري البر والتصدق على الفقراء والمساكين، ويبذلون جهوداً حثيثةً لإنشاء المؤسسات الاقتصادية في العديد من بلدان العالم، إلا أن هذا كله لا يرقى لأن يكون حجةً دامغةً لأن ينسب أيٌّ منهم إلى ذرية أهل البيت. ناهيك عن أن هذا النسب الطاهر الزكي يصبح فاقداً لقيمته، بل ووبالاً على صاحبه ما لم يكن متمسكاً بكتاب الله وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وغاضباً عليهما بالنواجذ. وذلك الذي حذر منه رسول الله ﷺ في الحديث الفاتح حينما ذكر (فتنة السراء) ثم قال عنها: «دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتقون». واستنباطاً من هذا الحديث فكل امرئ يدعي انتماءه إلى ذرية أهل البيت، فينبغي قبل كل شيء عرضه على كتاب الله وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فإذا كان ممن أدى الفرائض كالتي أصبحت معروفة بالضرورة حتى لدى أطفال المسلمين، ولا يعطل أياً منها كصلاة الجمعة وصوم رمضان وحج البيت الحرام، والجهاد لدرء الأخطار المحيطة بالأمة الإسلامية ولا سيما العدوان الصهيوني في فلسطين، والاحتلال الأمريكي للعراق، ولا يعطل أيضاً من السنن ولو سنة واحدة باتت معروفة ومتواترة منذ عصر النبي ﷺ، كإعفاء اللحي وعدم أكل مال الصدقات تحت ذريعة الخمس، لما جاء في حديث رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالتمر عند صرام النخل فيجيء هذا بتمره وهذا من تمره، حتى يصير عنده كوماً من تمر، فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما ثمرة فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه، فقال: «أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة؟!». والعجب كل العجب لمن يدعي هنا بأنه ينتمي إلى هذا النسب الطاهر الزكي، ثم هو يُسر بأن يوزن بالذهب الذي أغلبه من قوت المستضعفين والمساكين من الناس، في حين أن رسول الله ﷺ لم يقبل بأن يأكل أحد سبطيه الحسن أو الحسين رضي الله تعالى عنهما - وهما كانا لا يزالان طفلين - من الصدقة شيئاً، ولو كان ثمرة واحدة^(*)!!.

(*) الحاشية السابقة كانت أيضاً من أهم الفقرات التي اتخذتها جهة الادعاء للإساءة =

أما فتنة (كورك) فيعني بها أن الأمة ستجتمع على رجل غير كفاءٍ بالولاية، أو غير مستقل بها، أو ربما كان ضعيفاً في التعاطي مع السياسة والحرب والجهاد، أو لا يجيد التعامل مع الأحداث الداخلية والدولية التي تعج بمكر ودهاء، وتداع على الأمة الإسلامية^(١).

= إلى حرية الفكر والكلمة وحرية التعبير عنهما، وادعت بأنني من خلالها قد تجاوزت كل الخطوط الحمراء بالتعرض لأحد أئمتهم، وتشبيهه بعارضات الأزياء.. حيث أنني استعضت بالمقطع الثاني لنفس الحاشية - الذي ورد فيه ذكر عارضات الأزياء في الطبعة الأولى - بالمقطع غير المظلل هنا.. لكي لا نبقي ذريعة للطرف الآخر، واتهامنا بأننا نجرح بهم من خلال دعوتنا لهم إلى الحق سبحانه وتعالى، أو بأننا نسيء لمعتقداتهم ورموزهم الدينية.. وحيث أن دعوتنا تحضنا على عدم التشهير وعدم التصريح بالتهم غير المثبتة على الطرف الآخر، فيتحتم أن تطرح في الوقت نفسه بكل قوة وجرأة، وإشهار فيها لكلمة الحق، ومن غير إهانة أو تجريح لأحد. علماً بأن الطبعة الأولى من كتابي لم يرد فيها ذكر أميرهم، ولا حتى اسم الفئة التي تنتمي إليها جهة الادعاء البتة! وكلامي فيها كان واضحاً، إذ لم يكن يستهدف شخصاً بعينه أو فئة بذاتها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مرجعهم الديني (سمو الأمير (كريم) آغا خان المقيم قرب العاصمة الفرنسية (باريس)) كان قد أوعز إليهم لإسقاط حقهم في هذه الدعوة المرفوعة ضدي، ومعتبراً من خلال ذلك عن استنكاره لهذا الفعل، وذاك الإدعاء!.. فاستجاب له تسعة من المحامين المدعين وأسقطوا حقهم مباشرة، وبقي الآخرون - الذين وحسب علمنا، يدينون بالولاء والطاعة المطلقة لسموهم - متمردين على تلك الأوامر والتوجيهات!!.. فلماذا كل هذا التخبط وعدم الانصياع لإرشادات سمو الأمير!؟.

(١) ولفتنة كورك هنالك أيضاً ما قد يدل عليها في هذا الزمان من شخصية إسلامية وداعية كبير، إلا أنني ولكي لا أضع نفسي أمام جدلٍ آخر فقد عزفت عن التصريح باسمه، على الرغم من أن الذي سيحظى بنيل الثقة في هذا الزمان وإجماع الأمة عليه، لهو شرف ووسام له بأن يذكره رسول الله ﷺ على لسانه منذ ذلك العصر!.. كما تجدر الملاحظة هنا أن رسول الله ﷺ لم يحدد بالضبط ماهية اجتماع الأمة على هذا الرجل، أهو اجتماع على الولاية؟ أم على المنهج؟ كما جاء في الحديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود (٤٢٩١).. أي ربما اجتماع الأمة على هذا الرجل كان إجماعاً على برنامج الدعوي، وقراءته المعاصرة والنيرة لسيرة الرسول ﷺ - وحياة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - قراءةً تنضوي تحت فكرها كل شرائح المجتمع الإسلامي، المثقفون منهم قبل العامة. وكما تجدر الملاحظة أيضاً أنه - وعلى =

وأخيراً فتنة الدهيماء التي سوف لن تدع رجلاً في هذه الأمة إلا ولطمته لطمه، حتى إذا ما تمادت، يصبح المسلم مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً.. وقد يستمر الأمر على هذه الحال إلى أن يصير الناس إلى فسطاطين.

وإذا ما قورنت فتنة الدهيماء هذه بأحداث الحادي عشر من أيلول، وتداعياتها المستمرة على الأمة الإسلامية - إذ لم تدع تلك الفتنة حتى الآن بلداً من بلاد العرب والمسلمين، ولا حتى رجلاً واحداً إلا وتأثر بها - حينها سنجد بأن التطابق ما بين أحداث الحادي عشر وفتنة الدهيماء هذه، يكاد يكون تطابقاً تاماً. ولا ريب في أن تداعياتها قد تستمر إلى أن يصير المسلم مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

وعلى الرغم من هذا كله فمن أهم تداعيات هذه الفتنة وأحداث الحادي عشر، أن يأخذ الناس بالتمايز ليصيروا في نهاية المطاف إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه. ثم بعد ذلك يخرج الدجال.. وبعدهما كاد الخطباء والأئمة يمتنعون عن ذكره في المساجد.. كما يروي لنا أحمد في مسنده، عن الصعب بن جثامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر»^(١).

حيث أصبحنا في هذا الزمان من تسارع الفتن وتتابع الأحداث التي بات يتفاقم شأنها في حياتنا، نتساءل فيما بيننا: هل كان نبينا عليه الصلاة والسلام قد ذكر لنا منها شيئاً؟.. فاعلم عزيزي القارئ أن هذه الحال هي أيضاً من أمارات قرب خروج الدجال.. لما ورد في حديثٍ أخرجه أحمد

= الأرجح - ستكون هذه الفتنة فتنة خير للأمة، فقد لا تحمل في طياتها أي نوع من الضرر والابتلاء لقول النبي ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله مع الجماعة» رواه الترمذي (٢١٦٧).. والله أعلم.

(١) مسند أحمد (ج ٤/ ٧١) (ح ١٦٦٦٧) إسناده ضعيف.

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «وايم الله، لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون في أمر دنياكم وآخرتكم، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعرور الدجال.. ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أموراً يتفاقم شأنها في أنفسكم، وتساءلون بينكم: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً»^(١).



(١) مسند أحمد (ج ١٦/٥) (ح ٢٠١٧٨) إسناده ضعيف.

فتن الدجال

لا شك أن فتنة الدجال الكبرى سيكون من شظاياها فتن كثيرة ومتعددة، حتى تجعل الحليم من الناس فيها حيران.. يفر المرء يومها من أهله وذويه.. فيرتقي قمم الجبال بحثاً عن شيء يؤويه.. خوفاً من الدجال أن يغويه.. أو يرده إلى الكفر بعد إيمانه أو يصلية.. فلا تستخف بالأمر إن كنت من الغافلين.. وقرأ ما قاله سيد الأنبياء والمرسلين.. عن فتنة الدجال وما هو آت لا ريب فيه: «ليُفِرَنَّ الناس من الدجال في الجبال»^(١).

ويحذر الرسول عليه الصلاة والسلام أمته من بعده مغبة التوقع في شراكه، بأن لا يغتر أحد بإيمانه ويطلب الدجال ليتصدى له، فيستميله الدجال بما يريه من مؤثرات ومغريات.. فقلد ورد في حديث أخرجه أبو داود في سننه عن عمران بن حصين رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من سمع بالدجال فليأمنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»^(٢).

وقد رأينا سابقاً كيف أن أتباعه سيكون معظمهم من اليهود والنساء، فلا يأمن الرجل أيام الدجال أن يخرج من بيته أو يغادر أهله مخافةً على نسائه اللحاق به.. إذ روى أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته، فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه»^(٣).

(١) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٦٦) (ح ٧٣٩٣).

(٢) أبو داود (ج ٤/١١٦) (ح ٤٣١٩) حديث صحيح.

(٣) مسند أحمد (ج ٢/٦٧) (ح ٥٣٥٣) إسناده ضعيف.

ومن تبع الدجال أو استجاب لدعوته، فلا ينفعه صلاة أو صيام كان قد فعله من قبل . . . ومن لم يتبعه، فلا يعاقب بشيء عمل كان قد فعله من ذي قبل أيضاً . . . كما ورد عن النبي ﷺ - فيما أخرجه أحمد عن سمرة بن جندب رضي الله عنه - أنه قال: «وأنه متى خرج فإنه يزعم أنه الله، فمن آمن به وصدقه واتبعه، فليس ينفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه، فليس يعاقب بشيء من عمله سلف»^(١).

وما من قرية أو بلدة إلا وسيطؤها الدجال عدا مكة والمدينة، فإنهما محرمتان عليه وسيخرج منهما كل كافر ومنافق . . . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس من بلد إلا سيطؤها الدجال، إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها»^(٢) نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق»^(٣).

ولعل الطائرة ستكون أهم واسطة سيتخذها الدجال؛ لتنقله ما بين الدول والأمصار وذلك للنقاط التالية؛ والتي من خلالها سيتضح لنا إعجاز غيبي آخر للنبي عليه الصلاة والسلام وهو يشير إلى صناعة الطائرات في العصر الحديث:

١ - قول النبي ﷺ: «وله حمار يركبه، عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً»^(٤) يكاد هذا البعد يطابق المسافة التي قد تصل ما بين طرفي الجناحين، في بعض أنواع الطائرات.

٢ - قول النبي عليه الصلاة والسلام: «وأما إسراعه في الأرض قال:

(١) المستدرک (ج ١/٤٧٩) (ح ١٢٣٠) قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) نقابها: جمع نقب؛ وهو الخرق في الجلد، أو الجدار، أو نحوهما.

(٣) صحيح البخاري (ج ٢/٦٦٥) (ح ١٨٨١).

(٤) أحمد (ج ٣/٣٦٧) (ح ١٤٩٩٧) إسناده على شرط مسلم.

كالغيث استدبرته الريح^(١)»^(٢) تكاد تكون هذه السرعة أيضاً مطابقة لسرعة بعض أنواع الطائرات.

٣ - لا تستطيع أي واسطة نقل أن تسير بمثل هذه السرعة على البر، حيث أن تلك السرعة لا يناسبها إلا السفر في الفضاء.

٤ - ما جاء في الحديث السابق: «وأما إسراعه في الأرض قال: كالغيث استدبرته الريح». تكاد تكون هذه الحركة أيضاً مطابقة لسير وحركة الطائرة في الفضاء، إذ أن الطائرة بالفعل تسير في الجو بفعل قوة دفع الهواء المسحوب من أمامها (أو نفث الغازات الناجمة عن احتراق كميات هائلة من الوقود في حجرة الإحتراق) إلى خلفها، ليتولد عن ذلك قوة دفع كبيرة من الخلف فتدفعها إلى الأمام، وبالتالي فإن الطائرة لا يمكنها الحركة في الفضاء إلا إذا استدبرتها الريح بقوة دفع كبيرة. في حين أن وسائل النقل الأخرى التي تسير على البر تتحرك بفعل القوة المتولدة عن المحرك الانفجاري (أو فعل الإرادة)، ولا تعتمد في ذلك على قوة دفع واستدبار الهواء مطلقاً.

٥ - لا يعقل أن الدجال سيرضى لنفسه ركوب الحمار! بينما الناس يركبون كل هذه الوسائل المتنوعة من وسائل النقل الحديثة.

وقد يتساءل البعض: لماذا إذاً لم يستعمل رسول الله ﷺ كلمة (طائرة) بدلاً من كلمة (حمار) إذا كان يقصد بهذا المعنى الطائرة لا الحمار؟

وفي الرد على مثل هذا التساؤل أقول:

١ - الناس في ذلك العصر لم يكونوا يدركوا معنى كلمة طائرة، أو باخرة، أو كمبيوتر، أو الأنترنت.. أما كلمة حمار فكانت - بالنسبة لهم - تعني وسيلة التنقل والسفر، وحمل الأمتعة إلى بلاد لم يكونوا بالغيها إلا

(١) استدبرته الريح: أتت من ورائه.

(٢) مسلم (ج ٤/٢٢٥٢) (ح ٧٣٧٣).

بشق الأنفس، والنبى عليه الصلاة والسلام كان يخاطب الناس على قدر عقولهم، وفهمهم للأمر^(١).

٢ - في سورة يوسف عليه السلام جاء قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ فكلمة سيارة هنا تعني: قوماً مسافرين، أو يتنقلون من بلدة إلى أخرى سيراً على الأقدام. وفي هذا الزمان حيث أضحت كلمة سيارة تطلق على وسائل النقل العصرية كالمازدا والمارسيدس.. إلخ نجد أن كلمة سيارة فقدت شخصيتها القديمة، وحلت مكانها شخصيتها الحديثة.

٣ - لو استبدل رسول الله ﷺ في الحديث السابق كلمة (طائرة) بدلاً من كلمة (حمار) أو (دبابة) عوضاً عن كلمة (خيول)، لفتح على نفسه باباً من الأسئلة قد لا يغلق حتى يصنع رسول الله ﷺ لأصحابه الطائرة والدبابة، أو يريهما لهم رأي العين..

(١) وربما ينطبق على هذا الأمر، حينما استعمل رسول الله ﷺ كلمة (خيول) مشيراً بها إلى عتاد المجاهدين في العصور التالية لعصره ولا سيما عصر المهدي عليه السلام، كما جاء في الحديث: «التَّخْرُجُجَنَ من خراسان راية سوداء حتى تربط خيولها بهذا الزيتون..». فقد أضحت الخيول لها بدائل متنوعة في هذا العصر مثل: الدبابات والطائرات الحربية وقاذفات الأريجية.. إلخ لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يتحدث إلى الناس - كما أسلفنا - حسب سعة إدراكهم، واستيعابهم للأمر.. ولعل متسائلاً يتساءل أيضاً: لكن تلك الخيول ألحقت بكلمة (تربط) للتدليل على أنها خيولٌ حقيقة، ولكي لا تدع المجال لأمثالك في أن يأتينا بمفاهيم ما أنزل الله بها من سلطان! وأرد على الأخ المتسائل: ماذا نقول إذاً في قول الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا بِضْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]؟ فهل نفهم من ضرب الأرض هنا بأنه ضرب حقيقي باليد، أو للقدم، أو بقبضة من حديد.. إلخ. أم هو كناية عن السعي في الأرض لطلب الرزق والكسب الحلال. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن ذكرى للدبابات والطائرات وكل هذا العتاد العسكري الذي نراه اليوم لا ينفي احتمال أن يكون هناك خيولٌ حقيقية تربط بأشجار الزيتون كما مرّ. فنحن نرى اليوم وفي العصر الحاضر كيف يقاتل الأتقان على الخيل مع وجود هذا العتاد العسكري.. فلا تنافي إذًا ولا تضاد بين وجود الخيل، ووجود الدبابات والطائرات.. والله أعلم.

ومن فتن الدجال أيضاً أن معه جبلاً من خبز، والناس - إلا من تبعه - في بأس وجهد شديدين، ومعه نهران يطلق على أحدهما: الجنة، والثاني: النار، فالذي يسميه: الجنة، هو النار، والذي يسميه: النار، هو الجنة. . . ومعه شياطين تجلب له أخبار الناس وتكلمهم. . . كما يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت، فتنبت، ثم يلجأ الناس يومها إلى جبل الدخان^(١) فيتحصنون عليه. . . إلى أن ينزل السيد المسيح عليه السلام فيفك حصارهم. فقد روى أحمد في مسنده عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ومعه جبال من خبز، والناس في جهد إلا من تبعه، ومعه نهران، أنا أعلم بهما منه: نهر يقول: الجنة، ونهر يقول: النار، فمن أدخل الذي يسميه: الجنة، فهو النار، ومن أدخل الذي يسميه: النار، فهو الجنة، قال: ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس، ومعه فتنة عظيمة: يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس، لا يسلط على غيرها من الناس، ويقول: أيها الناس، هل يفعل مثل هذا إلا الرب عز وجل؟! قال: فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً»^(٢).

ومن فتنه أيضاً أن لديه جهاز أمن مدرب على كل أنواع القمع والتعذيب؛ لكم الأفواه واغتصاب الحريات الفكرية والسياسية، واعتقال المعارضة؛ ليمسني له بسط سطوته على العباد ونهب ثروات البلاد، ويدعى هذا الجهاز الأمني بالمسالح، ووظيفته الأساسية إرهاب الناس وإكراههم على اتباع الدجال. . . وعلى الأرجح أن تكون تلك المسالح قد تدربت فأتقنت كل فنون التعذيب والتنكيل من مسالح جنرالات وفراغنة العصر الحديث، ولا سيما في البلدان النامية والمتأخرة عن مبادئ وأسس الدول المتقدمة، التي تولى أولى مهامها للحفاظ على كرامة مواطنيها وحماية حرياتهم السياسية والشورية، وحقهم في انتقاد الحكم والتعبير عن الرأي بغية التغيير

(١) جبل قاسيون في دمشق.

(٢) مسند أحمد (ج ٣/٣٦٧) (ح ١٤٩٥٤) إسناده على شرط مسلم.

والإصلاح، لا قصد التشهير والانتقاص. إلا أن تلك المسالِح لم تعط الإذن بقتل أحد دون إذن الدجال.

وفي الحديث التالي يروي لنا رسول الله ﷺ حكاية رجل صالح لا يخاف في الله لومة لائم، وكيف أنه اخترق جهاز أمن ومسالِح الدجال فوصل إليه وصدع أمامه بكلمة الحق، وبأنه الأعور الدجال. فيأمر الدجال حينها جهاز أمنه ومسالِحه بنشره بالمنشار؛ لأنه تعدى كل الخطوط الحمراء ولم ترهبه تلك المسالِح بما أوتيت من قوة وبطش وإرهاب. . كما يروي لنا مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالِح^(١) مسالِح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما برنا خفاء!. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ. قال: فيأمر الدجال به فيشّح فيقول: خذوه وشجّوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال: فيأخذ بيديه ورجليه، فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقى في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين^(٢).

(١) المسالِح: جمع مسلح؛ وهم القوم المسلحون على ثغر.

(٢) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٦) (ح ٧٣٧٧).

لقد أشارت بعض الروايات إلى أن هذا الرجل الأعظم شهادة في زمانه هو الخضر عليه السلام، منها ما جاء في هامش إحدى النسخ المخطوطة لصحيح مسلم أن أبا إسحاق قال: «يقال: إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام»^(١)، وأبو داود روى في سننه عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لعله سيدركه»^(٢) من قد رأني وسمع كلامي»^(٣). أما الآن فلم يبق من قيل أنه على قيد الحياة منذ عصر الرسول ﷺ إلى يومنا هذا سوى عيسى ابن مريم، والخضر عليهما السلام، وقيل: أصحاب الكهف.

أما عيسى عليه السلام فسنجد لاحقاً بأنه هو الذي سيقتضي على الدجال. أما أصحاب الكهف فلم يذكر أنهم رأوا النبي ﷺ، أو سمعوا كلامه، وفي الروايات التي تقول بأنهم ما زالوا أحياء ضعف، فلا يبقى إلا الخضر عليه السلام. فضلاً عن أن هذا الرجل يقول: «أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله»^(٤) فيشير هذا الحديث إلى أن المتكلم قد عاصر النبي ﷺ وسمع حديثه عن كذب، مما سيدفعه لأن يستعمل لفظة (حدثنا) بدلاً من (أخبرنا عنه رسول الله)، أو (قال فيه رسول الله).. والله أعلم.

وخالف البخاري رأي الجمهور، والقول الراجح عند شارح الترمذي ما جزم به البخاري أيضاً إذ لم يرد حديث مرفوع صحيح يدل على أن الخضر حيٌّ يرزق حتى الآن.

تلك كانت أهم الفتن التي ستصحب الدجال، والتي أخبرنا عنها الرسول عليه الصلاة والسلام.. فعلى الرغم من هول تلك الفتنة، إلا

(١) مسلم (ج ٤/٢٢٥٦) (ح ٧٣٧٧).

(٢) أي: الدجال.

(٣) أبو داود (ج ٤/٢٤١) (ح ٤٧٥٦).

(٤) البخاري (ج ٢/٦٦٥) (ح ١٨٨٢).

أنه صلوات الله وسلامه عليه كان قد طمأن أصحابه؛ ليطمئنوا من بعدهم من أبناء أمته ﷺ وإلى آخر الزمان، بأنه من عاصر منهم المسيح الدجال فسيكون على خير ولا يضره بإذن الله شيء.. . إذ روى أحمد في مسنده: «عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ذكر الدجال فحلاه بحلية لا أحفظها، قالوا: يا رسول الله، كيف قلوبنا يومئذ؟ كالיום؟ فقال: أو خير»^(١).



(١) مستند أحمد (ج ١/١٩٥) (ح ١٦٩٢) إسناده ضعيف.

العصمة من الدجال

ما حذرنا رسول الله ﷺ من داءٍ سيصيب الأمة من بعده، إلا ووصف معه الدواء.. وقد أكثر من ذكر فتنة المسيح الدجال، وفي الوقت نفسه عدّد لنا وسائل العلاج؛ ليكون ذلك حرزاً لنا في كل زمانٍ ومكانٍ قد يظهر فيه الدجال..

فأول ما يعصم الله تعالى الناس به من أذى الدجال هو رسول الله ﷺ - فيما لو خرج الدجال والرسول عليه الصلاة والسلام لا يزال على قيد الحياة - وإلا فكل امرئٍ حجيج نفسه.. كما أخرج مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم»^(١).

والدواء الثاني: هو حفظ سورة الكهف، فمن لم يستطع ذلك فليحفظ من السورة الآيات العشر الأولى على الأقل، حتى إذا ما وقع - لا قدر الله - في ناره التي يخدع الدجال الناس بها على أنها الجنة يقرأ - وهو في تلك النار - فواتح سورة الكهف، فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت على سيدنا إبراهيم عليه السلام.. إذ روى ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «وإن من فتنته أن معه جنةً وناراً، فنارُهُ جنة، وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم»^(٢).

(١) صحيح مسلم (ج ٤/ ٢٢٥١) (ح ٧٣٧٣).

(٢) ابن ماجه (ج ٢/ ١٣٦٠) (ح ٤٠٧٧) حديث ضعيف.

وفي صحيح مسلم، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»^(١).

ومن وصاياه أيضاً - عليه الصلاة والسلام - لمن عاصر الدجال أن يتعد عنه قدر المستطاع، وأن لا يغتر بإيمانه ليتحداه فيقع فريسة في شرك الفتنة ويرتد عن الإسلام. . وليأتمر بقول النبي ﷺ فيما رواه أبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنه: «من سمع بالدجال فليأمن»^(٢) عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»^(٣).

ومن أدرك - آنذاك - إمام المسلمين كالمهدي عليه السلام أو خليفته من بعده، فليلزمه ومن شق عليه ذلك فليخرج من بيته إلى أرضه وبستانه، أو الصحارى والجبال؛ لأن فتنته شديدة ولبثه في الأرض قليل. . فقد روى مسلم في صحيحه عن أم شريك رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «ليفرنّ الناس من الدجال في الجبال»^(٤).

ومن أهم الوسائل التي تخفف عن الناس آنذاك من أذى الدجال: التقديس والتسبيح والتهليل والتكبير. . وليس ذلك إلا للمؤمنين. فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ ذكر جهداً كثيراً يكون بين يدي الدجال، فسئل حينها عن الدواء وأي المال خير يومئذ؟ فأجابها عليه الصلاة والسلام: «غلام شديد يسقي أهله الماء، وأما الطعام فليس. قالوا: فما طعام المؤمنين يومئذ؟ قال: التسبيح والتقديس والتحميد والتهليل»^(٥).

(١) صحيح مسلم (ج ١/٥٥٥) (ح ١٨٨٣).

(٢) فليناً: فليتعد.

(٣) أبو داود (ج ٤/١١٦) (ح ٤٣١٩) حديث صحيح.

(٤) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٦٦) (ح ٧٣٩٣).

(٥) مسند أحمد (ج ٦/٧٥) (ح ٢٤٤٧٠) إسناده فيه ضعف وانقطاع.

وأخيراً وليس آخراً؛ فللعصمة من الدجال أخي المسلم عليك بهذا الدعاء، ودبر كل صلاة من الآن، وقبل فوت الأوان (حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ظهور الدجال، أو كسبت في إيمانها خيراً). إذ روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يدعو ويقول دبر كل صلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»^(١).

وأخيراً فمن نجا من الدجال فقد نجا من النار، ومن نجا من النار فقد أدخل الجنة، ومن أدخل الجنة فقد فاز. . يقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه: «من نجا من ثلاث فقد نجا ثلاث مرات: موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق معطيه»^(٢).

أعاذنا الله وإياكم من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال..



(١) صحيح البخاري (ج ١/٤٦٣) (ح ١٣١١).

(٢) مسند أحمد (ج ٤/١٠٥) (ح ١٦٩٧٣) حديث حسن.

هلاك الدجال

بينما المسلمون في ضنك وجهد شديدين ، وجلّهم محاصر على جبل الدخان بدمشق (جبل قاسيون) وعقبة أفيق (منطقة الجولان) ، يسوون الصفوف ويعدون العدة لقتال الدجال ، وفي شهر رمضان وقبيل الفجر وعند السحر ، ينزل السيد المسيح عليه السلام في المنارة البيضاء (الغوطة) قرب دمشق ، فيخرج النداء : يا أيها الناس قد أتاكم الغوث.. فيستبشر المسلمون خيراً ، ويخرجون إلى صلاة الفجر ، فبينما أقيمت الصلاة يدخل المسجد عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيعرفه إمام المسلمين (وقد تقدم الحديث عنه في فصل سابق) ، ثم يرجع إمام المسلمين ليتقدم عيسى عليه الصلاة والسلام ليصلي بالناس ، فيقول له المسيح : لك أقيمت ، وإن أمتكم هذه بعضكم على بعض أمراء تكرمه من الله لهذه الأمة ، فيؤم الناس إمام المسلمين ، حتى إذا ما فرغوا من صلاتهم ، أخذ السيد المسيح يسوي الصفوف ، ثم ينطلق بهم إلى الدجال حتى يدركه عند باب (لدّ) في فلسطين فيهلكه هناك ..

روى أحمد في مسنده عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : «ينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق ، فيبعثون سرحاً لهم فيصاب سرحهم ، فيشتد ذلك عليهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد ، حتى أن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله ، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من السحر : يا أيها الناس أتاكم الغوث ، ثلاثاً ، فيقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شعبان ! وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر ، فيقول له أميرهم : روح الله تقدّم صلّ ، فيقول : هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض . فيتقدّم أميرهم فيصلي ، فإذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته

فيذهب نحو الدجال، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته بين ثنودته^(١) فيقتله^(٢).

ثم يلحق المسلمون باليهود فيختبئ اليهودي وراء الآكام والأحجار والأشجار، فينطق الله الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنها منهم، فلا يبقى في بيت المقدس يهودي إلا قتل بعد الدجال.. كما ورد في تنمة لحديث سابق أخرجه ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «فيهزم الله اليهود؛ فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقة^(٣) فإنها من شجرهم لا تنطق؛ إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله^(٤).

ويبقى الدجال بعد خروجه إلى الناس مدة أربعين يوماً، وقليل من قال: أربعين سنة، عدا ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين.. لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً^(٥).

وروى أيضاً عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم^(٦).

(١) الثنودة: لحم الثدي أو أصله.

(٢) مسند أحمد (ج ٤/٢١٧) (ح ١٧٩٠٠) إسناده ضعيف.

(٣) الغرقة: شجيرة من الفصيلة الباذنجانية، ساقها وفروعها بيض، تشبه العوسج في أوراقها اللحمية، وفروعها الشائكة، وأزهارها الطويلة العنق، وثمرتها مخروطية تؤكل، وتسمى أيضاً بالغرقد.

(٤) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٢) (ح ٤٠٧٧) حديث ضعيف.

(٥) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٨) (ح ٧٣٨١).

(٦) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٠) (ح ٧٣٧٣).

وأخرج ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «وإن أيامه أربعون سنة؛ السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة»^(١)، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي»^(٢).

وروى أحمد في مسنده: «فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض؛ اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه»^(٣).

مما سبق؛ نجد أن مدة بقاء الدجال بعد خروجه إلى الناس تكاد تنحصر بين فترتين أدناها أربعون يوماً، وأقصاها أربعون سنة، فإن كانت المدة أربعون يوماً، فسيكون اليوم الأول كالسنة، والثاني كالشهر، والثالث كالجمعة، وسائر أيامه كأيامنا نحن.

أما إن كانت المدة أربعين سنة، فالسنة الأولى ستكون كالسنة، والثانية كالشهر، والثالثة كالجمعة، وسائر أيامه كالشررة، وفي كلا الروايتين نجد أن المدة هي نفسها؛ فإما أن يكون:

- اليوم الأول كالسنة، أو السنة الأولى كالسنة.
- واليوم الثاني كالشهر، أو السنة الثانية كالشهر.
- واليوم الثالث كالجمعة، أو السنة الثالثة كالجمعة.
- وبقية أيامه كأيامنا نحن، أو بقية أعوامه كأيامنا نحن.

ولقد اختلف العلماء في تفسير طبيعة الأيام والأعوام زمن الدجال، التي تارة تشير إلى أن اليوم سيستطيل حتى يصبح كالسنة، وتارة أخرى

(١) الشرر: ما يتطاير من النار، والواحدة شررة.

(٢) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٢) (ح ٤٠٧٧) ضعيف.

(٣) مسند أحمد (ج ٣/٣٦٧) (ح ١٤٩٥٤) إسناده على شرط مسلم.

تشير إلى أن السنة ستتسارع كثيراً حتى تصبح كالיום.

وقد فسر بعضهم تسارع السنة كما فسر عبارة (تقارب الزمان)، أي: إن الناس في هذا الزمان من كثرة الفتن، وسرعة الاتصالات وثورة المعلومات.. أصبحوا لا يشعرون بمرور الوقت حتى أصبح النهار يمضي عليهم كالساعة، والسنة كالشهر.. إلخ.

والبعض الآخر فسرهما على أنها ظاهرة حقيقية وخارقة للعادة تكون مع الدجال، فيجعل اليوم كالسنة، أو السنة كالיום.. إلخ كما جاء في الأثر، أن الدجال سيقول للناس: أنا ربكم الأعلى، وهذه الشمس والقمر تجريان بإذني فهل أوقفهما لكم؟ فيقولون: نعم، فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم الأول كالسنة، والثاني كالشهر، والثالث كالجمعة، ثم يقول لهم: أتريدون أن أسيرها لكم؟ فيقولون: نعم، فيجعل السنة الأولى كنصف السنة، والثانية كالشهر، والثالثة كالجمعة، والرابعة كالיום..

والأرجح هو الرأي الثاني؛ لأن تغيير طبيعة اليوم زمن الدجال هو تغييرٌ ليس وحيد الجانب، بل سيكون للوقت إسراع وإبطاء أيضاً، ومن جانب آخر فإن ما جاء في حديث مسلم السابق من أن اليوم الأول سيكون كالسنة، ثم يتناقص حتى يصبح كأيامنا نحن.. فقد يدلُّ هذا على أن الأيام الأولى للدجال لن تكون طبيعيةً أو مسايرةً للتطور الزمني، بل على العكس من ذلك؛ إذ ستطول الأيام الأولى كثيراً وستقصر الأيام الأخيرة كثيراً، ولا يمكن أن يحصل هذا نتيجةً لتطور طبيعي خلال فترة قصيرة كأربعين يوماً، أو أربعين سنة، ما لم يكن الدجال معه خوارق للعادة كتحكمه في سرعة دوران الشمس والقمر.. والله أعلم.

ومما يرجح هذا الرأي أيضاً ما أجاب به رسول الله ﷺ عندما سئل عن اليوم الذي كالسنة، أيكفيها فيه صلاة يوم واحد؟ قال: «لا ولكن اقدروا له»^(١)

(١) مسلم (ج ٤/٢٢٥٢) (ح ٧٣٧٣).

أي: صلّوا خمس صلوات بفترة زمنية تقدرونها أنتم كالיום الاعتيادي . كما سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة في الأيام القصار فقال: «تقدرون فيها، ثم تصلون كما تقدرون في الأيام الطوال»^{(١)(٢)}.

وبالقضاء على الدجال يكون قد انتهى مشهد جديد كان من أكثر مشاهد التاريخ روعاً وإثارةً، وبالتالي ليبدأ مشهد آخر ولا يقل روعاً وإثارةً عن فتنة المسيح الدجال، ألا وهو مشهد خروج يأجوج ومأجوج.. إلا أننا سنكمل الحديث أولاً عن السيد المسيح عليه السلام لكون حياته تمثل صلة الوصل ما بين خروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج..

(١) المستدرك على الصحيحين (ج ٤/ ٥٨٠) (ح ٨٦٢٠) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) بعد تدبر الأمر مرة ثانية أستبعد بأن يكون الدجال مؤيداً بقوى خارقة للعادة كتحكّمه في سرعة دوران الشمس والقمر، وأرثني بأنه سيكون مؤيداً بسلطان العلم والتكنولوجيا اللذين بواسطتهما ربما سيستطيع الدجال التحكّم في طول الليل والنهار، أو الشتاء والصيف. أي ربما استطاع بسلطان العلم أن يبتكر علماء الدجال شموساً في الفضاء، كما استطاعوا الآن أن يصنعوا أقماراً تسبح في الغلاف الجوي للأرض حتى أصبحت وكأنها من نجوم السماء. وبالتالي فإن هؤلاء العلماء أنفسهم قد يصبحون في المستقبل قادرين على أن يصنعوا شموساً اصطناعية، وعلى غرار الأقمار الاصطناعية اليوم، بحيث تكون هذه الشمس ذوات خصائص نوعية جديدة تستطيع أن تعكس نور الشمس إلى الأرض لتضيء في الليل. وفي حال كانت طاقة الشمس الاصطناعية الواحدة لا تكفي لتحويل الليل إلى نهار، والشتاء إلى صيف، فإن الدجال ربما يضع في الفضاء عدة شمس كي يبقى جو الأرض في الليل وكأنه في النهار.. والله أعلم!. وربما يقاس على ذلك ما جاء من أن الدجال سيأمر السماء بأن تمطر فتمطر! فقد لا يكون هذا أيضاً إلا بسلطان العلم. وقد استطاع علماء اليوم بالفعل صناعة قنابل من مواد كيماوية يتم تفجيرها في الغيم بواسطة الطائرات فتلقح السحاب، فينزل المطر!. وإن كانت هذه التجارب حتى الآن فاشلة إلى حد كبير، وقد أقرت الأمم المتحدة عدم اعتبار الشركات التي تدعي صحة هذه التجربة لعدم نجاحها بالنسبة المطلوبة. إلا أنه في أيام الدجال قد يصل العلماء في تجاربهم هذه إلى نسب مرتفعة، ويسقط المطر بشكل مستمر!.. والله أعلم.

نزل السيد المسيح ﷺ

● المسيح في ميزان الشريعة المحمدية

● نزوله عليه السلام من السماء

المسيح في ميزان الشريعة المحمدية

العشرات من الآيات القرآنية والمئات من الأحاديث النبوية تتحدث عن السيد المسيح وأمه عليهما السلام، ثم يوضع الإسلام في قفص الاتهام؛ ليتهم بعدم ولائه للسيد المسيح أو ربما بإنكاره لنبوته ورسالته عليه السلام. وبدايةً فلنستهل حديثنا بتلاوة هذه الآيات المباركة، كي نرى ما يقرره القرآن الكريم في شأن عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام، إذ قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَهُ وَمَا عَمَرَ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران ٣٣ - ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرِيمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران ٤٢ - ٤٣].

وقال أيضاً: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٦].

ثم يأمر مالك الملك نبيه محمداً ﷺ بمخاطبة أهل الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

أفيعقل أن يكون هذا الكلام كله في كتاب - كائناً من كان قائله - ثم نشك بإيمان الأمة صاحبة هذا الكتاب، أو نتهمها بعدم ولائها للسيد المسيح وأمه عليهما السلام. . ناهيك هذا عما نجده من نصوص قرآنية، وأحاديث نبوية كانت قد دلتت تدليلاً على غاية الحب والولاء للسيد المسيح وأمه عليهما السلام. فمثلاً: بينما يقول أهل الكتاب عن السيد المسيح بأنه صلب، يقول عنه القرآن: إنه رفع إلى السماء. وشتان ما بين المعنيين، إذ قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

فأي المعنيين يعطي للسيد المسيح عليه السلام رفعةً ومنزلةً أكبر عند الأمم؟ إذا قلنا عنه بأنه صلب؟ أم إذا قلنا بأنه رفع إلى السماء^(١)؟..

وها هو الرسول ﷺ يخبرنا بأن الأنبياء كلهم جاؤوا بملة واحدة، ولعبادة إله واحد، فلم يتبادلوا فيما بينهم الحرب الكلامية ولا الاتهامات الغوغائية، بل على العكس من ذلك فقد كانوا أخوة من أمهات شتى، وبعثوا لدعوة الناس إلى عبادة إله واحد ورب واحد، واتباع عقيدة واحدة،

(١) لا شك أن فكرة الاعتقاد بصلب السيد المسيح أو رفعه إلى السماء، لا تنتهب بهذه البساطة، ولا بالخبرة لدى أهل الكتاب أو المسلمين، بل لكلٍ منهما مرجعيته التي يستوثق بها. ومع هذا كله نجد أن التعبير القرآني سما بالسيد المسيح إلى السماء! في حين أن أهل الكتاب لا زالوا مصرين على فكرة الاعتقاد بصلبه على يد شرار الخلق وأوغاد الأرض!.

كما يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري في صحيحه: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات^(١)، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٢).

وأخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ - وهو يصف لنا رحلة الإسراء والمعراج، ويحدثنا عن عيسى ابن مريم عليهما السلام بعدما التقى به في السماء ودعا بخير للنبي ﷺ - أنه قال ﷺ: «ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتِح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة»^(٣).

يدعو نبي الله عيسى للنبي محمد عليهما الصلاة والسلام بخير. فما أجمله من ودٍّ وما أعظمه من لقاء، كان قد عبر عن مكانة نبي الله محمد ﷺ عند نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام.

الشيء الأساسي الذي يجعل الهوة - بين المسلمين وأهل الكتاب - كبيرة في مبادئ العقيدة، هو الغلو وعدم الوسطية في مكانة النبي عند أتباع الديانة المسيحية. إذ بينما يصر المسلمون على أن لا يتعدوا الخطوط الحمراء التي حذّروهم منها نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام، وأن لا يغالوا في قدره - إذ كان صلوات الله وسلامه عليه يذكّرهم دائماً بقوله: «إنما أنا عبد الله ورسوله» - نجد أن أهل الكتاب قد غالوا في قدر نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، إذ إنهم يعتقدون تارةً أنه هو الله، وتارةً أنه هو ابن الله، وأخرى

(١) لعلات: أخوة لأبٍ واحد وأمهاتهم مختلفة. والمعنى: أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول، وإن اختلفت من حيث الفروع.

(٢) صحيح البخاري (ج ٣/ ١٢٧٠) (ح ٣٤٤٣).

(٣) صحيح مسلم (ج ١/ ١٤٦) (ح ٤١١).

أنه ثالث ثلاثة.. فقد روى أحمد في مسنده عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «لا تطروني»^(١) كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام، فإنما أنا عبد الله ورسوله»^(٢).

فما أجمله من تواضع - أعظم ما يليق بالأنبياء - حينما يعرف النبي عن نفسه بأنه عبد لله، وأن الملك والأمر كله بيد الله.. إذ كيف لا والأنبياء هم أكثر الناس خضوعاً ومعرفةً بالله؟!!

فلا إفراط ولا تفريط.. فلا نغالي في قدر نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام لنجعله بمنزلة الإله، ولا نقول عنه بأنه ابن الإله.. وفي الوقت نفسه لا نفرط في مكانته ﷺ لنجعله كبقية الخلق، بل هو عندنا سيد الخلق وحبیب الحق.. ولهذا أيضاً نجد أن القرآن الكريم يخاطب أهل الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿المائدة: ٧٥ - ٧٧﴾ .

فيا أهل الكتاب بعدما تدبرتم ما جاء به القرآن، وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فهلاً آمنتم بأن محمداً جاء ليكمل ما أرسل به عيسى عليهما الصلاة والسلام، فأرسل الله عيسى ﷺ رسولاً، فبشرنا بمحمد ﷺ رسولاً من بعده كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴿الصف: ٦﴾ .

(١) أطراه: أحسن الثناء عليه وبالغ فيه.

(٢) مسند أحمد (ج ١/٢٣) (ح ١٥٤) حديث صحيح.

ومحمدٌ رسول الله ﷺ، قد بشرنا بنزول نبي الله عيسى ﷺ من بعده،
وبأنه سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً، ويخبرنا بما أعد الله لنا من فضله، إذ
قال صلوات الله وسلامه عليه: «ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً
عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال،
حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما
فيها..»^(١).

فيا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
وحده ولا نتخذ من دونه أنداداً، فإن توليتم، فالله يفصل يوم القيامة بيننا
بالحق وهو خير الفاصلين..



(١) البخاري (ج ٣/ ١٢٧٢) (ح ٣٤٤٨).

نزوله عليه السلام من السماء

ينزل السيد المسيح عليه السلام في المنارة البيضاء شرقي دمشق، ثم يأتي المسجد (قيل: المسجد الأموي) فيجتمع من حوله المسلمون والنصارى واليهود، وكل منهم يريد أن تقام الصلاة حسب طريقته، فيأذن المسيح لرفع الصوت بالأذان وتقام الصلاة كما عند المسلمين، فيبقى المسلمون وأقلية من النصارى واليهود، ويخرج الباكون من الذين لم يرضوا بصلاة المسلمين^(١).

وينزل السيد المسيح عليه السلام بين مهرودتين (ثوبين مصبوغين بالزعفران) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأ رأسه عليه السلام، قطر دمعاً، وإذا رفعه، سال من وجهه عرق كحبيبات اللؤلؤ. ثم هو رجل مربع، بشرته مائلة إلى الحمرة والبياض، لا يشم ريح نفسه عليه السلام كافر أو منافق إلا ومات للتو. فقد روى مسلم في صحيحه، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «بينما هو كذلك^(٢)، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين^(٣)، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر^(٤) منه جمان^(٥) كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا

(١) هكذا تقول بعض الروايات.

(٢) أي: الدجال.

(٣) مهرودتين: مثنى مهرودة، وهي الثوب المصبوغ.

(٤) تحدر: سال.

(٥) جمان: حب يصاغ منه الفضة على شكل اللؤلؤ.

مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه»^(١).

وروى أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربع^(٢)، إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين^(٣)، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل»^(٤).

وفي فصل سابق رأينا كيف أن السيد المسيح سيوحد كلمة المسلمين ويجهب الصفوف، ثم ينطلق بهم إلى الدجال فيدركه عند باب لد في فلسطين حيث هناك يلفظ أنفاسه - أذله الله - . ورأينا كيف أن المسلمين سيجهزون على من تبقى من أتباعه، من اليهود والمشركين.

بعد ذلك ينطلق عيسى عليه السلام ليحرر العالم من كل أشكال التبعية والاستعمار، ويحل مشاكله الاقتصادية والطائفية والفكرية، ويقضي على الملل كلها حتى لا يعبد في الأرض إلا الله، ولا يبقى دين إلا الإسلام. فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويأمر بوقف الجهاد والقتال؛ لأن الناس حينها قد أصبحوا من ملة واحدة، ولم يعد هناك مسوغ للجهاد أو لدفع الجزية. . كما جاء في حديث رواه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويرجع السلم، ويتخذ السيوف مناجل، وتذهب حُمّة^(٥) كل ذات حُمّة، وتُنزل السماء رزقها، وتُخرج الأرض بركتها، حتى يلعب الصبي بالثعبان فلا يضره، ويراعي الغنم الذئب فلا يضرها، ويراعي الأسد البقر فلا يضرها»^(٦).

(١) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٣) (ح ٧٣٧٣).

(٢) مربع: وسيط القامة.

(٣) ممصرتين: ملونتين بالصفرة غير المشبعة.

(٤) أبو داود (ج ٤/١١٧) (ح ٤٣٢٤) حديث صحيح.

(٥) حُمّة: السم والمراد هنا لدغة العقرب.

(٦) مسند أحمد (ج ٢/٤٨٢) (ح ١٠٢٦١) صحيح.

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «فيقاتل^(١) الناس على الإسلام؛ فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام»^(٢).

إلا أن القضاء على الملل والديانات الأخرى ليس بالضرورة أن يكون بالقضاء على أتباعها، أو قتل دعائها وعلمائها كما هو الحال عند ذوي أصحاب الفكر اليميني المتطرف، ولدى كل الملل والأديان ممن لا يقر بالتعددية الدينية والمذهبية. وهذا فكر ظلامي تعصبي ابتلي به الكثير في هذا العصر، ولا سيما بعد سقوط دولة الخلافة واستيلاء الأحزاب العلمانية على أنظمة الحكم وأجهزة الدولة، واستلابها لكافة الحقوق البرلمانية والسياسية للأحزاب والحركات الإسلامية خاصة، وممارساتها الشورية، وحقها في التعبير عن الرأي وانتقاد الحكم، وذلك في معظم الدول والبلدان العربية والإسلامية.

هكذا فإن الدنيا في عهد السيد المسيح عليه السلام ستعاد بركتها حتى إن العصابة لتجتمع على الرمانة فتشبعهم، وكذا للعنب وغيرها من الفاكهة. . ويكثر المال حتى لا تجد من يأخذه، فيرفع عن الناس مال الزكاة وأموال الصدقات، فلا يجيبها منهم أحد بعد الآن لأنه لم يبق من يأخذها أو يحتاج إليها، وتظهر الكنوز فلا أحد يرغب باقتنائها؛ للعلم بقرب الساعة، وينشر الأمن بين الناس، فلا حروب ولا اقتتال، وترخص الخيل - أو ما يقابلها من وسائل الحرب الحديثة - لعدم استخدامها في القتال بعد الآن. . ويغلو ثمن الثور - أو ما يقابله من آلات وجرارات الحراثة في العصر الحديث - لانشغال جميع الناس بالزراعة، حيث تحرث الأرض كلها حتى جزيرة العرب. . إذ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال

(١) أي: السيد المسيح عليه السلام.

(٢) أبو داود (ج ٤/١١٧) (ح ٤٣٢٤) حديث صحيح.

ويفيض؛ حتى يخرج الرجل بزكاة ماله، فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»^(١).

ويسود الأمن بين جميع الكائنات، حتى إن الصبي ليدخل يده في فيّ الحية فلا يتأذى منها، وتملاً الأرض بالأمن والسلم، وتكون الكلمة واحدة؛ لأنه وكما أسلفنا، في أيام السيد المسيح عليه السلام لا يعبد في الأرض إلا الله، وكما أخرج ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «فيكون عيسى ابن مريم عليه السلام في أمتي حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً؛ يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حُمة كل ذات حُمة، حتى يُدخِل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتُفَرِّ الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملاً الأرض من السلم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش مُلْكها، وتكون الأرض كفاثور^(٢) الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القِطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات. قالوا: يا رسول الله، وما يرخص الفرس؟ قال: لا تركب لحرب أبداً! قيل له: فما يغلي الثور؟ قال: تحرث الأرض كلها»^(٣).

ثم يأخذ عيسى عليه السلام يحدث أناساً بمراتبهم في الجنة، ويبقى الناس - وهم كذلك - بضع سنين في أمن وأمان، وإذا بفتنة جديدة تدق الأبواب وبالتالي؛ ليبدأ مشهدٌ جديدٌ ومثيرٌ ولا يقل روعاً وإثارةً عن فتنة المسيح الدجال.. ألا وهو مشهد خروج يأجوج ومأجوج!. يروي لنا مسلم

(١) صحيح مسلم (ج ٢/٧٠١) (ح ٢٣٣٩).

(٢) الفاثور: الطست.

(٣) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٢) (ح ٤٠٧٧) حديث ضعيف.

في تنمة لحديث سابق: «ثم يأتي عيسى (ابن مريم) قوم قد عصمهم الله منه^(١)، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان^(٢) لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور^(٣)، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون^(٤)»^(٥).

ويمكث عيسى ابن مريم عليه السلام أربعين سنة في الأرض، إماماً عادلاً وحكماً منصفاً بين الناس، ثم يتوفاه الله تعالى بعدما رأى أنه ما من أحدٍ يحب أحداً، كما يحب أتباع محمدٍ محمدًا ﷺ. . . روى أبو داود أيضاً في تنمة لحديث سابق: «فيمكث (عيسى ابن مريم) في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون»^(٦).

ويدفن نبي الله عيسى إلى جوار نبي الله محمد عليهما الصلاة والسلام، فقد روي عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه عن جده قال: «مكتوب في التوراة صفة محمد ﷺ، وصفة عيسى ابن مريم ﷺ يدفن معه. فقال أبو مودود: وقد بقي في البيت موضع قبر»^(٧).

فالسلام عليك يا نبي الله، والسلام عليك يوم ولدت ويوم رفعت، والسلام عليك يوم تنزل ويوم تموت على ملة سيدنا محمد رسول الله.

(١) أي من الدجال.

(٢) لا يدان: لا طاقة.

(٣) حرّز الشيء: بالغ في حفظه. و«حرّز عبادي إلى الطور» أي: ضمهم إليه واجعله لهم حرزاً.

(٤) ينسلون: يُسرِعون.

(٥) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٣) (ح ٧٣٧٣).

(٦) أبو داود (ج ٤/١١٧) (ح ٤٣٢٤) حديث صحيح.

(٧) الترمذي (ج ٥/٥٨٨) (ح ٣٦١٧) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. والحديث ضعفه الألباني.

خروج يأجوج ومأجوج

● سيرتهم الذاتية

● إفسادهم في الأرض

سيرتهم الذاتية

اختلف المفسرون في اشتقاق كلمتي يأجوج ومأجوج، فمنهم من قال: بأنها مشتقة من التأجج والأجيج، أي التهاب النار، ومنهم من قال: من الأجاج، أي الماء المالح العكر، أو المر. وقيل: إنها من الأَجِّ، وهو سرعة العدو (الخطأ). وقيل أيضاً: إن مأجوج من ماج يموج موجاً، أي: مال يميل ميلاً..

ويأجوج ومأجوج قبيلتان من بني آدم قيل: إنهما انحدرتا من إحدى قبائل الترك، وفي رواية أخرى أنه كان لنوح عليه السلام ثلاثة أبناء: (سام وحام ويافت) فولد لسام: (العرب وفارس والروم)، وولد لحام: (السودان والقبط والبربر)، وولد ليافت: (الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج).

وأقول: إن تسمية قوم يأجوج ومأجوج بهذا الاسم، ربما كانت نسبةً إلى اسمي أبويهما؛ أي ربما كان اسم الأب يأجوج، والأم مأجوج كما نقول عن ولد آدم: إن أباهم آدم، وأمهم حواء.. والله أعلم.

في خلقهم تشويه، منهم مفرط في الطول، ومنهم مفرط في القصر^(١)، وقد قيل: إنهم مفرطون في القصر فقط، (فعن ابن عباس قال: يأجوج ومأجوج شبراً شبراً، وشبرين شبرين، وأطولهما ثلاثة أشبار)^(٢)، عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشعور (في شعورهم حمرة أو شقرة)، وجوههم مستديرة مطرقة كالنعل المخصوفة.. فقد روى أحمد في مسنده

(١) صفوة التفاسير للصابوني (ج ٢/٢٠٦).

(٢) فتح الباري (ج ١٣/١٠٧).

عن خالة ابن حوالة رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم تقولون: لا عدو، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي بأجوج ومأجوج عراض الوجوه، صغار العيون، شهب^(١) الشعاف^(٢) وهم من كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة»^(٣).

وخروج يأجوج ومأجوج آية من الآيات الكبرى لقيام الساعة، وهي ثلاثة ثلاثة بعد الأعرور الدجال، ونزول السيد المسيح عليه السلام. . فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له عيسى ابن مريم عليه السلام بعدما التقى به ليلة عرج به إلى السماء: «فأنزل فأقتله»^(٤) فيرجع الناس إلى بلادهم، فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون»^(٥).

وتقدر الفترة الزمنية ما بين قتل الدجال وخروج يأجوج ومأجوج بسبع سنين، كما جاء في حديث أخرجه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج الدجال.. فيبعث الله عيسى ابن مريم، فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة»^(٦).

والناس ما إن يهنؤوا قليلاً ويسعدوا بخيرات السماء وبركات الأرض، بعد قتل الدجال والسنين العجاف التي مرت عليهم، إلا ويبعث الله إليهم يأجوج ومأجوج فإذا هم من كل حدب ينسلون، وتبدأ هذه المرة حرباً جديدة، إلا أنها ذات طابع جديد أيضاً، فهي اليوم مع قوم يختلفون كثيراً

(١) شهب: جمع شهاب، أي: شعلة من نار ساطعة.

(٢) الشعاف: جمع شعفة، وهي أعلى الرأس. والمعنى: أنهم قرع تلمع رؤوسهم.

(٣) مسند أحمد (ج ٥ / ٢٧١) (ح ٢٢٢٣١) إسناده ضعيف.

(٤) أي: الدجال.

(٥) ابن ماجه (ج ٢ / ١٣٦٥) (ح ٤٠٨١) قال البوصيري في الزوائد: هذا إسناده صحيح،

رجالها ثقات. وقال الألباني: ضعيف.

(٦) صحيح مسلم (ج ٤ / ٢٢٥٩) (ح ٧٣٨١).

في الخلق والنسل - وطبيعة الحياة الاجتماعية - عن الأقسام الذين تقاتلوا معها من قبل ..

فما هي سيرتهم الذاتية؟!

هم قوم مفسدون، أعمالهم القتل والنهب والسلب وسائر وجوه الشر، قال المفسرون: كانوا من أكلة لحوم البشر، يخرجون في الربيع، فلا يتركون أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، ولا امرأة منهم إلا جامعوها، فلا يموت أحدهم إلا وترك ألفاً من ذريته^(١) .. وهم قوم متخلفون لا يكادون يعرفون لساناً غير لسانهم إلا بمشقة وعسر، وكانوا لا يفقهون القول لغرابة لغتهم، وبطء فهمهم، ويعدهم عن مخالطة الناس.

قصة يأجوج ومأجوج وردت في كتاب الله بعدما كانت الآيات الكريمة تتحدث عن ذي القرنين، وهو رجل صالح (قيل: هو الإسكندر اليوناني ونفى ذلك بعض المحققين)، عاش في الفترة ما بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما .. إذ قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ [الكهف: ٨٣ - ٨٤].

وسمي بذوي القرنين لأنه ملك المشرق والمغرب، وكان ملكاً مؤمناً مكن الله له في الأرض فعدل في حكمه وأصلح .. كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ، وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ، قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سَبَبًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ [الكهف: ٨٥ - ٩١].

وبعدما وصل ذو القرنين بجيشه إلى مغارب الأرض، ثم إلى مشارقها،

(١) الدر المنثور للسيوطي (ج ٥/٤٦٢).

توجه نحو الشمال حيث الجبال الشاهقة، ووصل إلى منطقة ما بين جبليين عظيمين بأرض بلاد الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان سداً ما بينهما، ومن وراء السدين كان قوم يأجوج ومأجوج . . كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ [الكهف: ٩٣].

وهنا طلب القوم الذين كانوا يستوطنون بالقرب من تلك المنطقة من ذي القرنين أن يبني لهم سداً منيعاً؛ ليحميهم من شر يأجوج ومأجوج، على أن يفرضوا له جزءاً من أموالهم كضريبة وخراج لبناء السد . .

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٤].

فأجابهم ذو القرنين: أن ما فتح الله عليه من الملك خير مما يعطونه من المال إذ لا حاجة له في ذلك فطلب منهم العون بالأيدي والرجال. وهذا نبل منه عندما تطوع لهم ببناء السد واكتفى بعون الرجال بعدما رفض قبول المال، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٥].

ثم أخذ القرآن الكريم يصف لنا كيف بدأ ذو القرنين ببناء السد، وكيف أن الذين معه من الرجال كانوا يقومون بتقطيع الحديد قطعاً متساوية، ثم يناولونه إياها ليصب عليها سائلاً من النحاس المذاب، فتماسك بعضها مع بعض فتكون أكثر قوة ومتانة؛ لثلا يستطيع أحد أن يظهر على السد إلا بمشقة وعناء طويل . . كما قال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿ ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسطَعُوا لَهُمْ نَبَأًا ﴾ [الكهف: ٩٦ - ٩٧].

وأخيراً؛ وبعدما فرغوا من هذا الإنجاز العظيم وما بذلوه من الجهد والمشقة، يشكرون الله عز وجل على هذه النعمة التي وصفها ذو القرنين بالرحمة، لما فيها من فائدة عظيمة لم تكن لتتحقق لولا العون والمدد

لهم من الله جلت قدرته . قال تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي ﴾ [الكهف : ٩٨].

ويختم تعالى تلك القصة بإخبار الناس أنه إذا حان الوقت لخروج يأجوج ومأجوج - وذلك قرب قيام الساعة - جعل الله ذلك السد مستويًا على الأرض وعاد متهدماً ، كأن لم يبن بالأمس . . قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف : ٩٨].

فكان وعده تعالى بخراب السد وقيام الساعة دليلاً على قصر الفترة الزمنية التي تفصل ما بين خروج يأجوج ومأجوج ، وبين قيام الساعة . . كما قال تعالى : ﴿ حَقٌّ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ [٩٦] ﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِئُولِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٦ - ٩٧].

أي حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج ، فتراهم من كل مرتفع على الأرض ومن كل أكمة وناحية ، يتسارعون في النزول . . وقوله تعالى ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ قد يدل على كثرة عددهم . . وهم لكثرتهم سيخرجون من كل طريق للفساد .

وقوله تعالى ﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ أي : اقترب وقت قيام الساعة . قال المفسرون : جعل الله خروج يأجوج ومأجوج ، دليلاً على قرب الساعة . وقال ابن مسعود : الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج كالحامل المتمم ؛ لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ! ليلاً أو نهاراً^(١) . .



(١) صفوة التفاسير للصابوني (ج ٢ / ٢٧٥).

إفسادهم في الأرض

لقد أنذر رسول الله ﷺ أصحابه وأمته من بعدهم شر يأجوج ومأجوج وفتنتهم، التي ما إن تفرع قارعتها حتى لا ترحم أحداً لا طفلاً رضيعاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا حتى تقياً مؤمناً. ومن شدة الهلع وفضاعة المشهد سيتحصن الناس في الملاجئ، أو في القلاع، وعلى الأبراج وناطحات السحاب..

هذا وإن يأجوج ومأجوج لا يزالون - منذ أن بنى عليهم ذو القرنين السد - يحفرون في ذاك السد المنيع، وكلما كادوا أن يهدموه ليروا نور الشمس . . . وقبل المغيب، يقول لهم أميرهم: كفاكم اليوم وغداً تكملون الحفر. فيعيده الله كما كان؛ ليعاودوا في اليوم التالي ما قد أنجزوه من هدم في اليوم الأول، ويستمر حالهم هكذا إلى أن يأذن الله لهم بالخروج . . . كما يروي لنا ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم»^(١).

(١) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٤) (ح ٤٠٨٠) حديث صحيح.

وروى البخاري في صحيحه عن زينب زوج النبي ﷺ رضي الله تعالى عنها: «أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم^(١) يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها^(٢) - قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»^(٣).

وقوله ﷺ: «ويل للعرب! من شرٍّ قد اقترب» قد يدلُّ هذا على أن يأجوج ومأجوج - وبعد تهديم السد - سيكون انتشارهم أول الأمر في البلاد العربية، وسيكون العرب أشد الناس بلاءً بهم. . . وهم لكثرتهم وعظيم حقيقته^(٤) سيملؤون الأرض بسرعة قصوى، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

ويخبر تعالى نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام بتهديم السد قبل مواعده، وبأن الوقت قد حان لخروج يأجوج ومأجوج، وبأنه لا طاقة له عليه السلام ولأتباعه بقتالهم، فيأمرهم تعالى بالصعود إلى جبل الطور في سيناء، حتى إذا ما خرج يأجوج ومأجوج ومروا على بحيرة طبرية اشتفوا ماءها، فلا يبقى فيها قطرة ماء. . . ويشتد حصار الناس - ولا سيما نبي الله عيسى وأنصاره وهم لا يزالون على جبل الطور - حتى يغدو لأحدهم في تلك الأيام - من شدة الجوع وندرة الطعام - رأس الثور خيراً من الدرهم والدينار. . . إذ روى مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية

(١) الردم: السد العظيم.

(٢) أي: جعل الإصبع السبابة تُحلق على التي تليها، وضمها حتى لم يبق بينهما إلا خلل يسير. والمعنى؛ أنه لم يبق لمجيء الشر إلا اليسير من الزمن.

(٣) البخاري (ج ٣/١٢٢١) (ح ٣٣٤٦).

(٤) الحقيقه: سرعة السير.

فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم، خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم»^(١).

أما مدة الحصار فعلى الأرجح أن تطول سبع سنين، وإلى أن يأذن الله بهلاك عدوهم يأجوج ومأجوج. . كما ورد في حديث أخرجه ابن ماجه أيضاً عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «سيوقد المسلمون من قسيّ يأجوج ومأجوج ونشأبهم»^(٢) وأترستهم^(٣) سبع سنين»^(٤).

ويختبئ الناس - كما أسلفنا - في المدائن والقرى والدور العالية، بعد أن يضموا إليهم ما استطاعوا من مؤنهم ومواشيهم كي يدخروها طيلة الفترة التي يبقى فيها يأجوج ومأجوج يعيشون فساداً في الأرض. . والذين ما إن يمروا على ماءٍ إلا واشتفوه، وما أتوا على حربٍ إلا اقتموه، حتى إذا ما ظهروا على أهل الأرض جميعاً وجّهوا أسلحتهم وأقواسهم نحو السماء منذرةً بهلاكهم. . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون - كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ - فيعمّون الأرض، وينحاز منهم المسلمون، حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، حتى إنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذرون فيه شيئاً، فيمر آخرهم على أثرهم، فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء.. ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، ولتنازلن أهل السماء، حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبةً بالدم فيقولون: قد قتلنا أهل السماء»^(٥).

(١) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٤) (ح ٧٣٧٣).

(٢) النشأب: التبل.

(٣) أترستهم: جمع ترس وهو ما كان يتوقى به في الحرب.

(٤) ابن ماجه (ج ٢/١٣٥٩) (ح ٤٠٧٦) حديث صحيح.

(٥) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٣) (ح ٤٠٧٩) حديث حسن صحيح.

فبينما هم كذلك، إذ بعث الله عليهم نوعاً من الحشرات يشبه الجراد فتقتلهم جميعاً، وتهدأ أصواتهم حتى لا يكاد يُسمع لهم همسةٌ ولا ضجةٌ، فيتجرأ رجل وينزل إليهم لينظر ماذا فعلوا فيجدهم موتى، فينادي: أبشروا! فقد هلك عدوكم. فيخرج الناس، ويطلقوا سراح مواشيهم لتأكل من لحومهم، وتسمن كأحسن ما سمنت دابة من قبل.. فقد ورد في تمة للحديث السابق: «فبينما هم كذلك، إذ بعث الله دواب، كنعف^(١) الجراد، فتأخذ بأعناقهم، فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حساً، فيقولون: من رجل يشري نفسه وينظر ما فعلوا؟ فينزل منهم رجل قد وُظِن نفسه على أن يقتلوه، فيجدهم موتى، فيناديهم: ألا أبشروا فقد هلك عدوكم، فيخرج الناس ويُخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رغيٌّ إلا لحومهم، فشكر^(٢) عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط»^(٣).

وينزل نبي الله عيسى عليه السلام مع أصحابه من جبل الطور، فيجدون الأرض قد ملئت بنتنهم ورائحتهم الكريهة، فيتوسلون إلى المولى عز وجل ليخلصهم من هذا البلاء، فيرسل الله تعالى طيراً تحمل يأجوج ومأجوج من أعناقهم فتطرحهم بعيداً عن مساكنهم.. ثم يرسل الله عز وجل مطراً من السماء، فيطهر الأرض من رجسهم ويلقي بهم في البحار، فتغدوا الدنيا بعد يأجوج ومأجوج كالروضة..

روى مسلم في تمة لحديث سابق، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم^(٤) وتنتنهم، فيرغب

(١) النعف: دود طوال سود، وغبر وخضر، تقطع الحرث في بطون الأرض.

(٢) شكرت الدابة: أي أصابت مرعى فسمنت عليه.

(٣) ابن ماجه (ج ٢/١٣٦٣) (ح ٤٠٧٩) حديث حسن صحيح.

(٤) الزهم: نتن الجيف.

نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت^(١)، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلْفَةِ^(٢)»^(٣).

وينزل من السماء ماؤها، وتعود للأرض بركتها، فتنبت نباتها، وتوسق دوحتها، فتكبر ثمرتها، وتعلوا بيادرها، حتى تأكل العصابة من الرمانة فتشبعهم.. ويكثر سمينها، حتى تكفي اللقحة من الإبل القبيلة بأكملها.. وهذا ما نجده أيضاً في تنمة للحديث السابق: «ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها^(٤)، ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة^(٥) من الإبل لتكفي الفئام^(٦) من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ^(٧) من الناس»^(٨).

أما بيت الله الحرام فيحجّ ويعتمر ويزرع النخيل من حوله بعد يأجوج ومأجوج، وكما أخبرنا رسول الله ﷺ فيما أخرجه البخاري في صحيحه: «لِيُحَجَّجَ الْبَيْتَ وَلِيُعْتَمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ»^(٩).

وأما قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يُحجَّجَ الْبَيْتَ»^(١٠) وصله الحاكم من طريق أحمد بن حنبل عنه قال البخاري: المفهوم من الحديث الأول،

(١) البخت: الإبل الخرسانية.

(٢) الزَّلْفَةُ: الصخرة الملساء.

(٣) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٤) (ح ٧٣٧٣).

(٤) قحفها: قشرها مقعر كقمع الرأس.

(٥) اللقحة: اللبون القريبة العهد بالولادة.

(٦) الفئام: الجماعة.

(٧) الفخذ: جماعة دون القبيلة.

(٨) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٤) (ح ٧٣٧٣).

(٩) صحيح البخاري (ج ٢/٥٧٨) (ح ١٥٩٣).

(١٠) البخاري (ج ٢/٥٧٨) (ح ١٥١٦).

أن البيت يحج بعد بأجوج ومأجوج، ومن الثاني أنه لا يحج بعدها، ويمكن الجمع بين الحديثين أنه لا يلزم من حج البيت بعد خروج بأجوج ومأجوج أن يمتنع الحج في وقت ما قرب قيام الساعة.. والله أعلم.

أو أن البيت سيهجر بعد أن يرسل الله عز وجل ريحاً طيبة، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم على وجه الأرض، وهذا ما سيكون قبل يوم القيامة فلا يبقى إلا شرار الناس يتهارجون ويتمارجون، وعليهم تقوم الساعة كما جاء في تمة للحديث السابق الذي أخرجه مسلم في صحيحه، عن النبي ﷺ أنه قال: «بينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن، وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون^(١) فيها تهارج الحمُر، فعليهم تقوم الساعة»^(٢)..

..

هكذا يسدل الستار في هذه المسرحية الكبرى من تاريخ البشرية، على ذاك المشهد المروع والمثير، والذي سيعتبر من أكثرها دهشةً وذهولاً في عقول الناس!.

هذا النوع من المسرحيات والتي سيشارك في أدوارها كل الأحياء من البشر، لن يكون الأخير ولا الكبير، بل الساعة أشد وأدهى، وما هي ببعيد..

نسأله تعالى أن يرزقنا الحج إلى بيته الحرام.. وزيارة مسجد نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.. اللهم لا تبقنا إلى يوم لا يحج فيه بيتك الحرام.. واقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين..

(١) يتهارجون: أي يسافح الرجال النساء علانيةً ويحضرة الناس ولا يكثرثون لذلك، كما تفعل بعض البهائم؛ لأن البعض الآخر منها قد يستحي لفعل هذا الأمر أمام أي مخلوقٍ غيره؛ كالإبل مثلاً!.

(٢) صحيح مسلم (ج ٤/٢٢٥٤) (ح ٧٣٧٣).

طلوع الشمس من مغربها

● طلوع الشمس من مغربها

● طلوع الشمس وانشقاق القمر

طلوع الشمس من مغربها

في صبيحة ذاك اليوم يستيقظ الناس وإذا بالشمس بدلاً من أن تأتيهم من المشرق، إذ هي تشرق عليهم من المغرب! فيصعق الكافرون والذين في قلوبهم مرض بهذه الرؤية التي فاقت كل التوقعات، وكل الاكتشافات، وكل القوانين الكونية. . فحينئذ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾..

وطلوع الشمس من مغربها هو آية من الآيات العشر الكبرى لقيام الساعة، حيث روي في ذلك العديد من الأحاديث النبوية، أما في كتاب الله فقد جاء قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقوله تعالى ﴿بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: يوم يأتي بعض أسرار الساعة، قال الطبري: هي طلوع الشمس من مغربها. وفي حديث رواه الترمذي: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾ قال: «طلوع الشمس من مغربها»^(١).

وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ أي: حين تطلع الشمس من مغربها سيؤمن الناس جميعاً، فسبقت الله على الكافرين وأخبرهم بأن يومها لا ينفع نفساً كافرة إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ولا ينفع نفساً صلاتها لم تكن صلت من قبل.. كما جاء

(١) الترمذي (ج ٥ / ٢٦٤) (ح ٣٠٧١) حديث صحيح.

في حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها»^(١).

ومن تاب قبل تلك اللحظة، أي قبل أن تعكس الشمس مسارها المعتاد يوماً ولو بثانية واحدة غفر له. . فقد روى أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها، تاب الله عليه»^(٢).

ولقد أشارت بعض الأحاديث إلى أن أول أمارات الساعة الكبرى وقوعاً هو آية طلوع الشمس من مغربها. . من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول الآيات خروجا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبها، فالأخرى على إثرها قريب»^(٣).

إذ كل يوم - وبعد المغيب - تدنو الشمس نحو العرش فتسجد، وتستأذن ربها في أن تشرق على الناس كما كانت تفعل فيؤذن لها، حتى يحين أمر الله بطلوعها من المغرب فتستأذن فلا يؤذن لها، ثم تستأذن في المرة الثانية فلا يؤذن لها كذلك، وفي الثالثة أيضاً، فيطول الليل إذعانا لأمر ربها بطلوعها من مغربها. . فحينها ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾. إذ روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت، واستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع، حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها، فعلت كما كانت تفعل، أتت تحت

(١) البخاري (ج ٤/١٦٩٧) (ح ٦٥٠٦).

(٢) أحمد (ج ٢/٤٩٥) (ح ٩١٣٠) حديث صحيح.

(٣) مسلم (ج ٤/٢٢٦٠) (ح ٧٣٨٣).

العرش فسجدت فاستأذنت في الرجوع فلم يردّ عليها شيء، ثم تستأذن في الرجوع فلا يردّ عليها شيء، ثم تستأذن فلا يردّ عليها شيء، حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب، وعرفت أنه إن أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق قالت: رب ما أبعد المشرق، من لي بالناس؟! حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع، فيقال لها: من مكانك فاطلعي، فطلعت على الناس من مغربها»^(١).

يدلّل الحديث السابق على أن الشمس قبل أن تطلع على الناس من مغربها، ستطول تلك الليلة بمقدار ليلة أو ليلتين ويؤكد ذلك لنا قول النبي ﷺ: (فاستأذنت في الرجوع، فلم يردّ عليها شيء، ثم تستأذن في الرجوع فلا يردّ عليها شيء، ثم تستأذن، فلا يردّ عليها شيء). فكل استئذان يستدلّ به على ليلة واحدة، ثم بعد الاستئذان الثالث يقال لها: «من مكانك فاطلعي». أي في صبيحة اليوم الثالث تطلع من مغربها. . كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «آية تلکم الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال»^(٢). وعند البيهقي يصف لنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما تلك الليلة بقوله: «يستيقظ الذين يخشون ربهم، فيصلون ويعملون كما كانوا، ولا يرى قد قامت النجوم مكانها، ثم يرقدون، ثم يقومون، ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقص، فيضطجعون حتى إذا استيقظوا، والليل مكانه حتى يتناول عليهم الليل، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، ففرغ الناس وهاج بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا؟! فيفرعون إلى المساجد، فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينتظرون طلوعها من المشرق، إذ هي تطلع عليهم من مغربها، فضج الناس

(١) أحمد (ج ٢/٢٠١) (ح ٦٨٨١) إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تفسير الطبري (ج ٨/١٠٠).

ضجة واحدة، حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت فطلعت من مطلعها^(١).. فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل منهم، ويقال: لو كان بالأمس.

هذا وعلى الأرجح أنه بعد طلوع الشمس من مغربها، لا يبقى لقيام الساعة سوى بضعة عقود من الزمن قد لا تتعدى المئة عام.. والله أعلم.

إذ روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران يقول أحدهما لصاحبه: متى ولدت؟ فيقول: زمن طلعت الشمس من مغربها»^(٢).

فتوى:

يقول الفقهاء: تلك الليلة عن ليلتين ويوم، فيقضى خمس صلوات، لأن الليلة الأولى ما فيها صلاة، لأن الفرض أنهم ناموا بعد فعل العشاءين، والليلة الثانية مع اليوم فيها خمس، فتقضى قياساً على أيام الدجال، بجامع الطول، كما قاسوا اليومين الأخيرين على يومه الأول، وعلى هذا فمن نام عن صلاته فعليه مع قضاء الخمس، ما نام عنه. ويدخل وقت صلاة الصبح - يوم طلوعها من مغربها - بطلوع الفجر، وصلاة الظهر، برجوعها عن وسط السماء، فإنه بمنزلة الزوال، والعصر والمغرب والعشاء، كبقية الأيام^(٣).. والله أعلم.



(١) الإضاءة لأشراط الساعة (ص ٢٤٩).

(٢) الديلمي في (الفردوس بمأثور الخطاب) (ج ٨٣/٥) (ح ٧٥٢٩).

(٣) الإضاءة لأشراط الساعة (ص ٢٥٢).

طلوع الشمس وانشقاق القمر

في خضم هذا البحر المتلاطم من النظريات العلمية المتسارعة والاكتشافات الكونية، وما وصلت إليه الحضارات الغربية من كم غزير لقوانين الحركة داخل الذرة وداخل المجرة، وقف العالم مدهوشاً أمام كل هذه الحقائق التي بينت لنا الدقة والانضباط في حركة وسير تلك الأجرام السماوية، وما يسبح في فلكها من نجوم وكواكب وسيارات.. فانقسم المسلمون إلى فريقين:

أما الذين كانوا قد آمنوا من قبل بما زادتهم تلك الحقائق إلا إيماناً وتسليماً، ولا سيما بعدما وجدوا أن كل ذلك مكتوبٌ عندهم في كتابهم المقدس ألا وهو القرآن الكريم.. .

وفريق آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم طالما بقوا يتأففون من هذا الدين، تارةً بالطعن في كتابه وجعلهم كل محكم منه قابل للتأويل، وتارةً أخرى بالتشكيك في صحة الأحاديث فضلاً عما يكتنه أولئك من عظيم غلٍّ وجسيم حقدٍ على هذا الدين، وإن صاحوا بأعلى صوتهم: إنا لمن المسلمين، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

هؤلاء وأمثالهم من الذين اغتروا بالحضارة الغربية وإنجازاتها العلمية، حتى بدا لهم أن هذا الكون المتقن الصنع هو الذي أوجد نفسه ولا شيء سواه، فما زادتهم تلك الحضارة الغربية باكتشافاتها العلمية، وانغماسها في الشهوات المادية إلا بعداً ونفوراً من هذا الدين..

وفي هذا الزمان حيث اغتر أكثر الناس بالعلم، وما وصلت إليه الحضارة

الغربية من اكتشافات علمية وقوانين فيزيائية . . وفي ضوء كل هذا التقدم العلمي والتقني للغرب أقول: إن لم تحدث آية طلوع الشمس من مغربها وتقع في هذا العصر - كما شاهد أهل مكة في عصر الرسول ﷺ آية انشقاق القمر رأبي العين - فإنها - وعلى الأرجح - ستكون في مثل هذا العصر؛ ليخزي بها الله عز وجل الكافرين والمنافقين، وكل أولئك الذين كانوا قد انبهروا بالحضارة الغربية وإنجازاتها العلمية، فنبذوا الشريعة المحمدية وكل الإيديولوجيات الدينية..

فما هي معجزة انشقاق القمر؟

هذه المعجزة الفلكية لا تقل أهمية عن معجزة طلوع الشمس من مغربها، فعندما نتحقق بالبرهان العلمي - والمجرد عن كل أشكال النظريات الدينية والغيبية - من حادثة انشقاق القمر، يصبح عندها الخبر عن معجزة طلوع الشمس من مغربها أمراً منطقياً، ومقبولاً علمياً. لأن المصدر الذي أخبرنا بمعجزة انشقاق القمر هو نفسه الذي أنبأنا عن آية طلوع الشمس من مغربها.

وفعلاً جاء العلم الحديث ليثبت لنا بالدليل القطعي والمشاهدة، أن القمر قد انشق في الماضي إلى نصفين، وحدث ذلك عندما صعدت في أواخر القرن الماضي المركبة الفضائية الأمريكية (كولومبيا عام ١٩٩٩ م) إلى القمر؛ لتعود بشيء كان قد أذهل العلماء الأمريكيين أنفسهم، حيث وجدوا على سطح القمر حزاماً من الصخور المتحولة يقسم القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه، وعلى محيط مدار كامل منه، ووضعوا أجهزة للرصد الزلزالي للتأكد من ذلك، فتبين لهم أن القمر قد انشق إلى قسمين منفصلين منذ القديم^(١).

كما وجدوا أن نصف الجبل الأول ملتصق مع نصف الجبل الذي يليه، وهكذا دواليك ولكل السلاسل الجبلية الواقعة على نفس المدار، مما

(١) الموسوعة العلمية في الأعجاز القرآني د. سمير عبد الحليم (ص ٣٤).

دفعهم إلى القول بأن القمر قد انشق في الماضي إلى نصفين، وعندما عادا للالتحام حدث هذا الانزلاق^(١).

فالغاية من بقاء هذا الانزلاق ليست كما يظن بربهم بعض الحمقى من أنه عجز عن رده كما كان، وإنما الغاية من ذلك هي أن الله تبارك وتعالى أراد أن يبقي لهذه المعجزة دليلاً علمياً، كي يكتشفه فيما بعد علماء الفضاء، فيكون حجة جديدة على الكافرين، ودليلاً آخر على صدق محمد الصادق الأمين.. وصدق الله القائل في محكم تنزيله: ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وما من شك في أن رواد الفضاء أولئك لم يصعدوا بهذه الرحلة الشاقة والمكلفة كي يتحققوا من صحة المعجزة، أو انتصاراً لدين سيدنا محمد ﷺ. بل ربما لم يسمعوا بها حتى الآن.. تلك المعجزة التي أيد الله عز وجل بها نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام ليزداد المؤمنون إيماناً بربهم، وتصديقاً بنبيهم.

جرت هذه المعجزة عندما قال كفار مكة للرسول محمد عليه الصلاة والسلام: إن كنت صادقاً فيما تقول فشق لنا القمر فلقتين، إذ كانوا يعتقدون بأن الله جلّت قدرته إن كان موجوداً - على الرغم من إنكارهم الشديد له - فهو قادر على كل شيء، ولا يعجزه أن يشق القمر نصفين إكراماً لنبيه محمد ﷺ، بعدما وعدوه بأن يؤمنوا له إن هو فعل ذلك.

وما هي إلا لحظات وإذا بالقمر يبدأ بالانشطار إلى نصفين، فيهبط النصف الأول ويقف على جبل الصفا، أما الآخر فينزل ويقف على جبل قيعان المقابل

(١) ورد هذا أيضاً على قناة الجزيرة في حوار مباشر مع فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني في برنامج الشريعة والحياة بتاريخ ١٢/ ذي الحجة / ١٤٢٢ هجرية.

للجبل الأول، واستمر الأمر بضعة من الوقت حتى رأى هذه المعجزة سكان الأرض جميعاً، ولم تكن هناك أجهزة بث فضائية لتنقل الخبر مباشرة إلى الناس، وتخبرهم بحقيقة الأمر فنزل قول الله تعالى: ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۗ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ ۗ ﴾ [القمر: ١-٥].

ورداً على الذين دأبوا أن يهزؤوا من كل ما هو غيبي، أو خارق للعادة مع العلم، أن العلم - وكما أثبتنا في فصول سابقة - أخذ يتوصل تباعاً، ومنذ قرون عدة إلى صحة كل ما أخبر عنه، وأشار إليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.. . فربما يتساءل أحدهم: كيف يمكن لنصف القمر أن يقف فوق جبل الصفا أو جبل قيعان، وقد أثبت العلم أن قطره يزيد على (٣٠٠٠) كم، وأن وزنه قد يتجاوز (١٤ X ١٠^{١٥}) طن، وبالتالي إذا ما وقع نصف القمر على أي جبل من جبال الأرض فسيجعله دكاً، وسيغطي شبه الجزيرة العربية بطولها وعرضها؟!!

ونجيب الأخ المتسائل هنا - وكان الله في عونه على الفهم وإدراك الحقائق -: إذا كان الله تعالى قد فلق القمر فلقتين، فهل يعجزه تعالى أن يقلل أو يصغر من حجم ووزن القمر بليار مرة! أو بليارين؟! أو هل يعجزه أن يجعل جبل الصفا يتحمل أوزاناً تقدر بعشرات البلايين!!!

وعوداً إلى الحديث الذي بدأناه للتو نذكر أنه وبعدما رأى المشركون تلك المعجزة رأي العين، قالوا: لقد سحرنا محمد، ثم قالوا: إن كان محمد قد سحرنا، فهو لا يستطيع أن يسحر جميع الناس. فقال أبو جهل: اصبروا حتى تأتينا أهل البوادي فإن أخبرونا بانشقاقه فهو صحيح، وإلا فقد سحر محمد أعيننا. وعندما لقوا أهل البوادي أخبروهم بما رأوا من معجزة انشقاق القمر، فقال المشركون وأبو جهل حينئذ: هذا سحر

مستمر! أي سحر دائم. وذاك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢].

(١) هكذا دوماً يتنكر الكافرون والمنافقون لكل الحقائق التي تؤكد صدق هذا النبي وإن رأوها رأي العين، وسيبقى أحفادهم ممن هم على نهجهم ينكرون هذه الحقائق مهما بلغت من الصحة وأثبتها العلم، حتى ترى

(١) باللغظة والدهشة حينما تلقيت الخبر بأن العلماء الغربيين قد توصلوا بالفعل -ومن خلال أبحاثهم الفلكية- إلى أن الشمس سوف تطلع على الأرض من مغربها. وبالعودة إلى بعض المصادر العلمية لفضيلة البروفسور زغلول النجار (مدير معهد ماركفيلد للدراسات العليا بالمملكة المتحدة، وأستاذ علوم الأرض في العديد من الجامعات العربية والغربية) والتي تفسر هذه الظاهرة الفلكية المستقبلية، تبين أن التفسير العلمي لذلك: هو أن الأرض كانت سرعة دورانها حول محورها -ومنذ ملايين السنين- أكثر من أربعة أضعاف السرعة الحالية؛ أي أن طول الليل والنهار كان أقل من أربع ساعات، وهو في تباطؤ مستمر. وحينما رسم بعض العلماء المنحنيات المستقبلية لسرعة دوران الأرض حول محورها، وصلوا إلى نتيجة مفادها أن الأرض سوف تصل إلى درجة من التباطؤ، لا يجعلها قادرة على الدوران بالاتجاه الحالي، مما سيدفعها للدوران بالاتجاه المعاكس، وهذا بالتالي سيؤدي إلى أن تطلع الشمس من مغربها! فيا للحسرة على المتتقين من أبناء المسلمين الذين انهروا بالحضارة الغربية، واستصغروا ثقافة أمتهم وتراثها الخالد، بعدما أكرمنا به الباربي عز وجل، وتكفل بحفظه وعلو شأنه على كافة الأمم والحضارات الأخرى -سواء عاجلاً، أم آجلاً- وطماننا على نفاذ وعده من خلال إظهار تجدد إعجازه في هذا الكتاب المعجز: (القرآن الكريم). لقد كنا نقول لكم: إن القمر قد انشق في الماضي إكراماً لسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وحنةً على قومه. فكنتم تسخرون منا وتهزؤون! وجاء العلم ليقول لكم: إن القمر قد انشق في الماضي بالفعل! وكنا نقول لكم: إن الشمس سوف تطلع على الأرض من مغربها. فكنتم تسخرون منا أيضاً وتهزؤون.. وجاء العلم ليقول لكم: إن الشمس بالفعل، ستطلع على الأرض يوماً ما من مغربها! وإذا ما تليت عليكم آيات الله: ﴿إِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ ﴿٧﴾ وَخَفَّ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ النَّهْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾.. كنتم تهزؤون وتسخرون وتقولون: أتى للقمر، أن يجمع مع الشمس!؟. ودارت الأيام وصعد الإنسان بسلطان العلم إلى الفضاء، وطور أجهزته التلسكوبية على الأرض، حتى مكنته من الرؤية إلى مسافة تبعد أكثر من ٧٠٠ مليار سنة ضوئية.. ورصد حركة القمر وموقعه بالنسبة للأرض، فوجده كل عام يبتعد عنا ثلاث سنتيمترات، وبالتالي سوف يصل -وحسب تعبير العلماء- إلى موقع سيتحرر فيه من مجال الجاذبية الأرضية لتبقى مهيمنة =

أعينهم النار التي أعدت لهم، وبئس مثوى المتكبرين.. وصدق الله القائل:
﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ
حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾^(١).. [يونس: ٩٦ - ٩٧].

= عليه جاذبية الشمس، فتقوم بجذبه إليها، ومن ثم يُجمع الشمس مع القمر.. فهل كان هذا
كلاماً يفترى؟! أم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٣٨﴾ أَلَمْ يَأْنِ لَكُمْ آيَاهَا
المتفقون! وأيها العلمانيون! أن تعودوا لرشدكم وإلى ترائكم الباقي، كي تفوزوا بجنة
﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠١﴾.. وإلا فالسؤال هو: ﴿أَذَلَّ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
الزَّقُومِ ﴿١٧٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٧٨﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٧٩﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ
الشَّيَاطِينِ ﴿١٨٠﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ تَوَنَّنَا ﴿١٨١﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِمَّنَّ حَبِيرٌ ﴿١٨٢﴾ ثُمَّ إِنَّ
مَرَجَهُمْ لِأَلَى الْجَحِيمِ ﴿١٨٣﴾.. ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.. أم ستهزؤون أيضاً
من شجرة الزقوم ما لم يشتها لكم العلماء الغربيون! أما نحن فلم نعد نستبعد شيئاً، ولا أن
يرهن لكم العلم غداً أن في السماء ظلاً لشجرة عظيمة، فروعها كأنها رؤوس الشياطين؛
تتعلق بها أرواح كل أفاك أثيم!..

(١) لا بد لنا أن نفرّق ما بين مفهوم عبارة (تقارب الزمان) الذي أشرنا إليه من قبل - حيث عللنا
هذا التقارب الزمني بأنه إحساس لا إرادي نتيجة للتكنولوجيا العصرية وما أحدثته من
تسارع في الاتصالات وتبادل في المعلومات - وبين سرعة دوران الأرض وتباطؤها
بشكلٍ مطرد، كما تبين لعلماء الطبيعة اليوم. كما علينا أن ننتبه إلى أن مثل هذه
الاستنتاجات العلمية، وتطابقها بشكلٍ مدهل مع الكثير من الإحياءات القرآنية والأخبار
الغيبية، ربما لا يتعدى سوى أن يكون صورةً دنيويةً مصغرةً لما سيحدث في الآخرة، أو
قبل قيام الساعة مثل طلوع الشمس من مغربها. . أي: ربما كانت تلك الأخبار ليس لها
أي ارتباط وثيق مع تلك التفسيرات العلمية، التي هي قابلة بين الفينة والأخرى للنسخ
والتغيير كما أشرنا إلى ذلك في فصل سابق. وربما يبقى السؤال مطروحاً في أذهان
البعض، ما المعنى إذاً من هذا الكلام كله؟. فنقول في الجواب: ما دام أن العلم أخذ
يصدق ويقرّ بوقوع مثل تلك النبوءات التي كانت وإلى وقت غير بعيد يهزأ بها العلمانيون،
لا لشيء إلا لكون مصدرها نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ، الذي جاء - وحسب
زعمهم - بدين الخرافة والتخلف!.. وإذا بعلماء القرن الواحد والعشرين - ومن قبلهم -
يرهنون على صحة تلك الأخبار، وبعدها أنفقت عليهم حكوماتهم مئات المليارات من
الدولارات ثم ربما ليعودوا - بعد كل رحلة فضائية أو استقراء علمي - بشيء واحد فقط
ألا وهو؛ إثبات نبوءة واحدة من نبوءات المصطفى ﷺ!.. وبالتالي ليكون ذلك برهاناً
آخر على صحة الرسالة المحمدية، وتفوقها العلمي منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً على
كافة علوم وحضارات عصر العولمة..

بقية الأمارات الكبرى

- خروج الدابة
- ثلاثة خسوف
- الدخان
- نار من قعرة عدن

خروج الدابة

كلمة دابة تطلق على كل شيء يدب فوق الأرض مما فيه روح على اختلاف أشكالها وأحجامها وألوانها وأصواتها . . فالإنسان والحيوان والحيات والحشرات، كل ذلك يطلق عليه صفة دابة وقد تكررت هذه الكلمة في القرآن الكريم في أكثر من آية، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وبالنظر في الآية السابقة نجدها تفرق ما بين الدابة والطير. فالدابة كل شيء يدب فوق الأرض أو تحت الأرض، إن كان تحت التراب أو تحت الماء، أما ما يطير بجناحيه، فهو من فصيلة الطيور. . والله أعلم.

والرسول ﷺ أطلق على البراق الذي أسري عليه من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى اسم دابة. وهي دابة بيضاء طويلة، ارتفاعها أعلى من الحمار وأدنى من البغل. . وصفها لنا حديث رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «أُتيت بالبراق؛ وهو دابة أبيضٌ طويلٌ، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه. قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد»^(١).

أما دابة الأرض التي ستخرج في آخر الزمان والتي هي من الآيات الكبرى لقيام الساعة، فقد جاء عن ابن عباس أن لها وجهاً كوجه الإنسان،

(١) مسلم (ج ١/ ١٤٥) (ح ٤١١).

ومنقاراً كمنقار الطير، وهي ذات وبر وزغب^(١).

أما في كتاب الله، فقد ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

هذا بيان من الله عز وجل لما سيكون بين يدي الساعة، أي: إذا حان الوقت لقيام الساعة أخرج الله تعالى للكفار خاصة، وللناس عامة هذه الدابة فتكلمهم وتناظرهم، ومن جملة كلامها أنها تقول لهم: ألا لعنة الله على الظالمين، الذين لا يصدقون بيوم الدين..

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد أكثر الناس، وتركهم لأوامر الله وتبديلهم الدين الحق، وحينما يقل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ويكون مع الدابة خاتم سليمان، وعصا موسى عليهما الصلاة والسلام، أما الخاتم فمكتوب عليه (كافر)، وأما العصا فمكتوب عليها (مؤمن)، حيث تضرب الدابة وجه المؤمن بالعصا فيوشم وشمة مكتوب في وسطها كلمة (مؤمن)، وتضرب أنف الكافر بالخاتم فيختم على أنفه خاتم مكتوب عليه (كافر).. فقد روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو^(٢) وجه المؤمن، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان^(٣) ليجتمعون فيقول: هاها يا مؤمن، ويقال: هاها يا كافر، ويقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر»^(٤).

بعدها يعرف الناس بعضهم بعضاً، وبعدها فضحت الدابة ما كانت تخفي الصدور، فيفرح المؤمن ويفتضح الكافر.. فلا نفاق بعد ذلك اليوم بل كفر وإيمان فقط. وعلامة المؤمن ستكون على وجهه - كما أسلفنا -

(١) الإضاءة لأشراط الساعة (ص ٢٦٢).

(٢) تجلو: تصقل.

(٣) الخوان: ما يؤكل عليه.

(٤) الترمذي (ج ٥ / ٣٤٠) (ح ٣١٨٧) حديث حسن. وقال الألباني: ضعيف.

بعضاً موسى، فيكون كما قال تعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾، وأما الكافر فعلامته ستكون على أنفه بخاتم سليمان، فيكون كمن وصفه الله تعالى بقوله: ﴿سَسَمُّهُ عَلَى الْخُرْطُورِ﴾، فيتمايز الناس حتى أنهم يتنادون فيما بينهم بالعلامة التي سَوَّموا بها.

روى أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم^(١)، ثم يغمرون^(٢) فيكم حتى يشتري الرجل البعير فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين^(٣)»^(٤).

وتخرج الدابة من مكانٍ قريب إلى مكة، ومن أرض يابسة تحيط بها الرمال من كل الجهات، حيث أشار النبي ﷺ إلى موضع خروجها في حديث أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: «ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ: تخرج الدابة من هذا الموضع»^(٥).

ولقد أشارت أيضاً بعض الأحاديث إلى أن خروج الدابة هو أول آيات الساعة الكبرى كما ورد في سنن أبي داود، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، أو الدابة على الناس ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على إثرها»^(٦).

(١) خراطيمهم: أنوفهم.

(٢) يغمرون: يكثررون.

(٣) المخطمين: يقال: خطم أنف فلان، أي: ألصق به عاراً ظاهراً.

(٤) أحمد (ج ٥/٢٦٨) (ح ٢٢٣٠٨) حديث صحيح.

(٥) ابن ماجه (ج ٢/١٣٥٢) (ح ٤٠٦٧) قال البوصيري: إسناده ضعيف. وقال الألباني: ضعيف جداً.

(٦) أبو داود (ج ٤/١١٤) (ح ٤٣١٠) حديث صحيح.

إلا أن الأحاديث التي دلت على أن خروج الدجال سيكون أول
أشراط الساعة الكبرى، هي أقوى من التي تقول بأن آية الدابة قبل آية
الدجال. وعلى كل حال فإن آية طلوع الشمس من مغربها، وآية خروج
الدابة آيتان متلازمتان، فأيتهما سبقت فالأخرى على إثرها، فإذا طلعت
الشمس أولاً، خرجت الدابة ضحى وفي نفس اليوم، أو قريباً من ذلك،
وإن خرجت الدابة أولاً، طلعت الشمس أيضاً من الغد أو قريباً من
ذلك، ولعل الحكمة في ذلك أن بطلوع الشمس من مغربها ينسد باب
التوبة، فتجيء الدابة فتميز بين المؤمن والكافر تكميلاً للمقصود من
إغلاق باب التوبة.. والله أعلم.



خسف بالمشرق والمغرب وفي جزيرة العرب

نقول: خَسَفَ الشيء خَسْفًا: أي نَقَصَ، و خَسَفَ المكان يَخْسِفُ خسوفًا: أي ذهب في الأرض، ويكون خسوف القمر إذا احتجب نور القمر جزئياً أو كلياً، وهي مرادفة لكلمة الكسوف حينما تطلق على احتجاب نور الشمس كلياً أو جزئياً أيضاً، ويمكن استخدام كلا اللفظين في كلا المعنيين. وخَسَفَ عين فلان: أي فقأها فهي خسيفة، وخَسَفَ الله بفلان الأرض: أي غيَّبَه فيها.

والمراد بكلمة الخسف هنا: السحب بشكل مفاجئ من فوق الأرض إلى تحت الأرض، ويشبهه النبي ﷺ هذا الفعل بالاغتيال من الأسفل، كما جاء في حديث أخرجه النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يتعوذ من هذا الأمر قائلاً: «اللهم إني أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»^(١). قال جبير: وهو الخسف.

هذا ويعتبر الخسف من أهم الوسائل التي يعاقب الله عز وجل بها أقواماً كفروا به، ثم ازدادوا كفراً وعزوفاً عنه، وبعدما يكون تعالى قد أنذرهم بإرسال الرسل إليهم لينذروهم لقاء يوم عظيم، أو بالعقاب الأليم في الدنيا قبل الآخرة. وقد حدثنا القرآن الكريم عن أقوام كثير منهم، كقوم لوط وعاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم تبع.. إلخ، وآخرون غيرهم لم يذكرهم القرآن ولا التاريخ..

(١) النسائي (ج ٨ / ٢٨٢) (ح ٥٥٣١) حديث صحيح.

وقد تعددت أساليب عقاب الله عز وجل لتلك الأمم، فمنهم من أهلكهم بالطاغية، ومنهم من أهلكهم بريح صرصر عاتية، ومنهم من أمطر عليهم حجارة من سجيل، وآخرون قلب عليهم الأرض رأساً على عقب، فجعل عاليها سافلها، وآخرون أهلكهم - جلت قدرته - بالخسف..

اللهمّ إنّنا نعوذ بك من أن تهلكنا كما أهلكت هؤلاء، ونعوذ بك من أن تبقينا أحياء مع أقوام كهؤلاء الفجرة الكفرة..

والخسف ليس عقاباً منوطاً بأمم كعاد وشمود، بل هو عقاب لأصناف أخرى من البشر، كالذين يمشون على الأرض خيلاء واستعلاء على الناس.. ومن كانت عاقبته بالخسف لا ينتهي عقابه، بل هو بداية لعذاب أليم ومستمر، كما يروي لنا النسائي في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «بيننا رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يتجلجل^(١) في الأرض إلى يوم القيامة»^(٢).

وتتميز آية الخسف هذه عن غيرها من الآيات الكبرى في أنها تتجزأ إلى ثلاث آيات (خسوفات): خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب. إذ روي عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ عندما سئل عن الساعة، أجاب عليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث: «إنها لن تقوم، حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»^(٣).

(١) يتجلجل: يتحرك في أعماق الأرض، والجلجلة: الحركة مع الصوت.

(٢) النسائي (ج ٨/٢٠٦) (ح ٥٣٢٨) حديث صحيح.

(٣) مسلم (ج ٤/٢٢٢٥) (ح ٧٢٨٥).

فأما الخسف الذي سيكون في شبه الجزيرة فربما كان هو المقصود بالخسف الذي مرّ معنا في باب (عصر المهدي عليه السلام)، ومن أن الجيش الذي يكون آتياً من بلاد الشام ومستهدفاً المهدي عليه السلام، يسير حتى إذا كان بيداء بين مكة والمدينة خسف به.

أما الخسف الثاني الذي في المشرق، فعلى الأرجح سيكون في منطقة يقال لها: البصرة، أو البُصرة في العراق قرب عكبراء، فقد أشار إليها النبي ﷺ في حديث رواه أبو داود في سننه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال له: «يا أنس، إن الناس يمضّرون أمصاراً، وإن مصراً منها يقال له: البصرة، أو البُصرة؛ فإن أنت مررت بها أو دخلتها، فإياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون، يصبحون قردة وخنازير»^(١).

وأما بالنسبة للخسف الذي سيكون في بلاد المغرب، فلم يصلنا عن رسول الله ﷺ حديث واحد يذكر لنا فيه منطقة بعينها في بلاد المغرب يكون فيها الخسف قبل يوم القيامة.. فالله عزّ وجلّ أعلم بها.

تعقيب:

جاء عن بعض أهل العلم أن الخسوفات الثلاثة - وكذلك الدخان - وقعت في الماضي ولم يبق منها شيء.. وعليه أقول: بما أن الخسف والدخان آيتان من الآيات الكبرى لقيام الساعة، فأية آية منها - في حال وقوعها - لا بد أن يتحقق معها ثلاثة شروط هي التالية:

أولاً: لا بد أن يكون لوقوعها أثر كبير وضجة كبيرة في حياة البشرية من حين وقوعها إلى قيام الساعة.. وما أحداث الحادي عشر من أيلول في نيويورك وواشنطن، إلا مثالٌ مصغّرٌ جداً لما سيكون عليه حال البشرية فيما

(١) أبو داود (ج ٤/١١٣) (ح ٤٣٠٧) حديث صحيح.

لو وقعت أي آية من الآيات الكبرى لقيام الساعة.

ثانياً: لا بد أن يراها أو يسمع بها أهل الأرض جميعاً، ولهذا فلعل السبب والحكمة من تأخير وقوع الآيات الكبرى إلى عصرنا هذا وما بعده، هو أن الله تعالى كان يعلم أن عباده سيصلون إلى ما وصلوا إليه من رقي وتقدم وتسارع في مجال الاتصالات وتبادل المعلومات، وهذا بالتالي سيعجل في نشر الخبر ليصل لحظة وقوعه من أقصى الأرض إلى أذناها، وإلى الناس كافة.

ثالثاً: من أهم خصائص الآيات الكبرى هو قربها من قيام الساعة. وقربها كما أشارت إليه بعض الأحاديث يقدر بعشرات السنين، وليس بمئات أو بآلاف السنين، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: «يمكن الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومئة سنة»^(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران، فيقول أحدهما لصاحبه: متى ولدت؟ فيقول: زمن طلعت الشمس من مغربها»^(٢).

وها هو قد مضى على الدخان الذي أصاب أهل مكة ما يزيد عن أربعة عشر قرناً، فهل يمكن القول بأن تلك هي آية الدخان المقصودة من الآيات الكبرى لقيام الساعة؟

وكذلك الأمر بالنسبة للخسوفات التي وقعت في الماضي، وقد مضى عليها عدة قرونٍ ولم تقم الساعة حتى الآن، بل ولم تأت حتى آية واحدة من الآيات الكبرى الباقية لقيام الساعة!



(١) مصنف ابن أبي شيبة (ج ٧/٥٠٦).

(٢) الديلمي في (الفردوس بمأثور الخطاب) عن ابن عباس (ج ٥/٨٣).

الدخان

نقول: دَخَنَتِ النار: أي ارتفع دخانها بعد أن يلقي عليها حطب، فأفسدت ليهيج لها دخان. ودَخِنَ الطعام: إذا أخذ ريحه ينتشر، ونقول: دَخِنَ خُلُقُهُ: أي ساء وخبث. والدَّخَن: الحقد وسوء الخلق، وتغير العقل والدين والحسب.

والمعنى الاصطلاحي للدخان هنا: هو آية من الآيات الكبرى لقيام الساعة؛ حيث تنتشر في السماء سحب دخانية تغطي الناس جميعاً فوق الأرض، وهذا ابتلاء شديد يكون بين يدي الساعة. قال ابن عباس: هو يأتي قبيل القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام، وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين، حتى يصبح رأس الواحد كالرأس المشوي ويغدو كالسكران، فيملاً الدخان جوفه، ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره^(١).

وآية الدخان هذه، هي الآية الوحيدة من الآيات الكبرى التي جاءت باسمها سورة كاملة في كتاب الله، ألا وهي سورة الدخان وفيها يقول تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٥﴾ يَغشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ أَتَى لَّهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٩﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٥ - ١٦].

ولقد اختلف المفسرون في زمن وقوع آية الدخان؛ فمنهم من قال: أنها

(١) صفة التفاسير للصابوني (ج ٣/ ١٧٢).

وقعت في زمن النبي ﷺ، ومنهم من قال: لم تقع حتى الآن. وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه كان يقول: (خمس قد مضين: الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام)^(١) لأن قريشاً لما عصت النبي ﷺ دعا عليهم قائلاً: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»^(٢) فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف، وكان الرجل يحدث أخاه فيسمع صوته ولا يراه لشدة الدخان المنتشر بين السماء والأرض. فقال ابن مسعود: خمس قد مضين: الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام. وفي حديث رواه البخاري في صحيحه، ذكر مثل هذا عن عبد الله رضي الله عنه، أن قريشاً لما أبطؤوا على النبي ﷺ بالإسلام قال: «اللهم اكفنيهم سبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة حصت^(٣) كل شيء، حتى أكلوا العظام، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان؛ قال الله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ قال الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكَ عَائِدُونَ﴾ أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة وقد مضى الدخان، ومضت البطشة؟»^(٤).

وقال ابن عباس: لم يمض الدخان بل هو من أمارات الساعة، ويأتي قبيل القيامة^(٥). وهذا الرأي أقرب من رأي ابن مسعود؛ إذ لو أن الدخان الذي غشي قريشاً هو المقصود من أمارات الساعة الكبرى، لأشار إليه النبي ﷺ في أحاديثه، إلا أنه لم يصلنا حديث واحد عن رسول الله ﷺ يؤكد لنا فيه ذلك. فضلاً عن أن قول الله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ربما تشير هذه الآية إلى أن الدخان سيغشى الناس جميعاً وليس قريشاً دون غيرهم، أو مكة وحدها.. والله أعلم.

(١) البخاري (٤٣٩٥).

(٢) البخاري (٧٦٢).

(٣) حصت: استأصلت النبات حتى خلت منه.

(٤) البخاري (ج ٤ / ١٧٣٠) (ح ٤٦٩٣).

(٥) صفوة التفاسير للصابوني (ج ٣ / ١٧٢).

نار من قعرة عدن

وهذه هي الآية العاشرة والأخيرة من الآيات الكبرى لقيام الساعة كما أشارت إلى ذلك بعض الأحاديث، وجاء فيها أنها تكون قبيل الساعة بأيام. أما عدن فهي منطقة من بلاد اليمن في شبه الجزيرة العربية، تخرج من قعرها نار عظيمة تنساب رويداً رويداً حتى تحيط بالخلائق، ثم تدفع بهم إلى أرض المحشر، (قيل: صحراء الجزيرة العربية) فتبيت معهم النار حيثما باتوا، وتقبل معهم حيثما قالوا. . حتى تقوم الساعة وهم على ذلك. فقد روى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات: فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»^(١).

وأخرج الترمذي أيضاً عن حذيفة الغفاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات.. (ثم ذكر منها).. ونار تخرج من قعر عدن، تسوق الناس - أو تحشر الناس - فتبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا»^(٢).

وروى أبو سلمة عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) مسلم (ج ٤/٢٢٢٥) (ح ٧٢٨٥).

(٢) الترمذي (ج ٤/٤٧٧) (ح ٢١٨٣) حديث حسن صحيح.

ﷺ: «لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له: برهوت^(١)، يغشى الناس فيها عذاب أليم؛ تأكل الأنفس والأموال، تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام، تطير كطير الريح والسحاب، حرها بالليل أشد من حرها بالنهار، ولها بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد القاصف، هي من رؤوس الخلائق بالنهار أدنى من العرش. قلت: يا رسول الله، أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: وأين المؤمنين والمؤمنات يومئذ؟! هم شر من الحمر، يتسافدون^(٢) كما تتسافد البهائم، وليس فيهم رجل يقول: مه مه^(٣)».

وخروج النار من قعر عدن هو آخر آية من الآيات الكبرى لقيام الساعة، وذلك أنها ستطرد الناس إلى أرض محشرهم وعليهم تقوم الساعة. . إذ حينها لا يكون على وجه الأرض إلا شرار الخلق يتهارجون ويتمارجون، فتجف الصحف وترفع الأقلام. . ثم يرسل الله ريحاً طيبة فتقبض روح كل مؤمن ومسلم. . فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ - وهو يصور لنا ذاك المشهد بعد قتل يأجوج ومأجوج وعودة الحياة على الأرض إلى طبيعتها - قال ﷺ: «بينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»^{(٤)(٥)}.

(١) برهوت: اسم وادٍ في قعر عدن يقال له: وادي النار.

(٢) يقال: تسافد الحيوان؛ إذا وثب بعضه على بعض.

(٣) أبو نعيم في الحلية (ج ٥/١٩٢) في إسناده رجلان ضعيفان.

(٤) مسلم (ج ٤/٢٢٥٤) (ح ٧٣٧٣).

(٥) إن المراقب لتطور المجتمعات وتسارعها بشكل غير معقول، وما أحدثته تكنولوجيا العصر من ثورة في الاتصالات وتمازج في الثقافات - حتى غدت معظم مبتكراتها كالستالايتات، وشبكات الإنترنت، وأجهزة الهواتف النقالة (الخليوي). . إلخ، تستخدم في كثير من الأوقات لنشر الفساد وبث الأفلام واللقطات الشهوانية - أصبح لا يستبعد دخولنا عما قريب ذاك العصر الذي سيتهارج فيه الناس تهارج الحمر ويتسافدون فيه تسافد البهائم! . كيف لا؟ وقد كنا بالأمس القريب نستنكر اقتناء التلفاز في البيوت - والذي لم يكن حينها يبيث سوى عددٍ محدود من البرامج التقليدية، وبعض المسلسلات =

وما ندرة الأحاديث التي تحدثت عن هذه الأمانة مقارنة مع غيرها من الأمارات السابقة، إلا لأن الناس في ذلك الوقت لا يستطيعون سبيلاً، لا إلى عمل، ولا إلى طعام، أو شراب.. حالهم حال واحدة، ووقفهم وقفة واحدة، وهم جميعاً في مكان واحد، همهم واحد، وبأسهم واحد، ويجأرون إلى المولى عز وجل - ليخلصهم من هذا البلاء - بجئير واحد، وعويل واحد، يوم لا ينفعهم عويل ولا جئير حتى تقوم الساعة، وهم على ذلك..



= المحلية - أما اليوم؛ وقد أصبح عامة الناس - بما فيهم جلّ رجال الدين - يقتنون الدشات ويستثمرون شبكات الإنترنت، التي كانت وإلى وقت غير بعيد يُستحي من التلفظ باسمها، فضلاً عن أن يفكر باقتنائها كثير من رجال الدين، فإذا تلك الوسائل أصبحت بين سنةٍ ومنتهاها في تناول الجميع، وغدت بما يمكن أن تبثه من رذيلة من ضرورات العصر، بعدما حطمت أعتى أسوار الحضارات، كما جاء عن أحد دعاة الماركسية في وصفه لأدوات الإنتاج ووسائل الاتصالات بأنها: (بمثابة مدفعية ضخمة تقتحم وتخرق كل ما هنالك من أسوار صينية). وأزيد على قوله فأقول: إن تلك المدفعية ما دامت قد حطمت أعتى أسوار العالم، بخرقها المجال الثقافي والاجتماعي لخير أمة أخرجت للناس، فمن الطبيعي جداً أن تحطم أعتى أسوار الصين!.. ولعل ما هو آتٍ أعظم مما كان.. ويمكن أن يقال..

في الطريق إلى الآخرة

● ذلك ما كنت منه تحيد

● نفخة الصور الأولى وقيام الساعة

ذلك ما كنت منه تحيد

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ١٩ - ٢٢].

إنها حقيقة لا مفر منها.. سواء أكرهناها أم كنا عنها من الغافلين.. وسواء علينا أجزعنا أم صبرنا، فما لنا عنها من محيص.. والموت الذي نفر منه اليوم فإنه ملاقينا غداً، أو بعد غد.. والعاقل يدرك أنه يعبر من هذه الدنيا إلى دار الآخرة فيعدّ العدة ليوم الرحيل، يوم يعود المال والأهل والولد ويبقى العمل؛ ليُفتح لك به نافذة إما إلى الجنة، وإما إلى النار.. فلا تظننّ أيها العبد أنّ حسابك وجزاءك سيبقى إلى يوم الجزاء.. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه البخاري في صحيحه: «العبد إذا وضع في قبره، وتُوّليّ وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعدها، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة». قال النبي ﷺ: «فيراها جميعاً، وأما الكافر، أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربةً بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»^(١).

(١) البخاري (ج ١/٤٤٨) (ح ١٣٧٤).

وأشدد أبو العتاهية قائلاً:

يا عجباً للناس لو فكروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها
لا فخر إلا فخر أهل التقى
ليعلمن الناس أن التّقى
عجبت للإنسان في فخره
وحاسبوا أنفسهم أبصروا
فإنما الدنيا لهم معبر
غداً إذا ضمهم المحشر
والبرّ كانا خيراً ما يدخر
وهو غداً في قبره يقبر

وإلى كل فتاة آمنت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً
ورسولاً، أقول لها: الموت أيتها الأخت المسلمة حقّ، ولو أن أحداً نجا
من الموت؛ لكان حبيب الرحمن محمد عليه الصلاة والسلام، أذاقه الله
عز وجل الموت مع أنه أحب الخلق إليه، فلا بدّ إذن من أن يذيق الله
الموت لأقرب الناس إليك، فاعتبري ولا تكوني إذا ما فجعت بفقد
زوجك، أو أحداً من خاصتك من الصاكات وجوهن، أو الناشرات
شعورهن، أو الداعيات بويلهن.. فعن ابن عمر قال: إذا قبض ملك الموت
روح المؤمن قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجة، فمنهم الصاكة
وجهها، ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الداعية بويلها، فيقول ملك الموت
عليه السلام: فيم هذا الجزع؟ فوالله ما أنقصت لأحد منكم عمراً، ولا
ذهبت لأحد منكم برزق، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً، فإن كانت
شكايتكم وسخطكم علي، فإنني والله مأمور، وإن كان ذلك على ميتكم،
فإنه في ذلك مقهور، وإن كان ذلك على ربكم، فأنتم به كفرة، وإن لي
فيكم عودة ثم عودة. فلو أنهم يرون مكانه، أو يسمعون كلامه، لذهلوا عن
ميتهم، ولبكوا على أنفسهم^(١).

فابكِ على نفسك أيتها الأخت بدلاً من أن تبكي على ميت لا ينفعه
عويل ولا صريخ، إلا الدعاء له بحسن الختام وصحبة خير الأنام. ولا

(١) التذكرة للقرطبي (ص ٦٢) خرجه أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي في كتابه
(اللؤلؤيات). وروى معناه مرفوعاً عن أنس بن مالك، وضعفه الألباني في ضعيف
الجامع الصغير (٤٨٢٨).

تشبهي بتلك المرائيات بشورهن أمام حشود النساء ليقال عنك: إنك أحزن من فلانة بنت فلان، فلئن ترائي بعملك وصبرك أمام الله، خير لك والله من ذاك المصير الذي توعدك به رسول الله ﷺ، فيما رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: «هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين، صفاً عن اليمين، و صفاً عن الشمال، ينبحن كما تنبح الكلاب، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يؤمر بهن إلى النار»^(١).

ويا للحسرة أيها العبد حينما سيأتيك الدور ويأتيك ملك الموت الذي وكل بك، فلا تستطيع أن تتأخر حينها ولو ساعة من عمرك، ولن تستطيع أن تنجز ما كنت تنوي فعله من صلاة وزكاة وعمل صالح.. ولن تجد حينها إلا الحسرة والندامة وتقول: ﴿بَحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايُتِي فَكَذَّبْتِ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتِ وَكُنتِ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦ - ٦٠].

وأنشد بعضهم:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثلته وأنتك لم ترصد كما كان أرصدا
وأعظم رصيد بوسعك أيها العبد أن تدخره من الآن وقبل فوات الأوان، فيحقق لك السعادة بكل أشكالها والنجاة من كل ألوان العذاب، ومن الممات إلى دار الخلود هو الصلاة على وقتها، فلا تضيعها لأنها رأس مالك الوحيد الذي لن يتخلى عنك حين فقرك.

نظر رسول الله ﷺ ذات مرة إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: يا ملك الموت، ارفق بصاحبي فإنه مؤمن.

(١) الطبراني في (الأوسط) (٥/٢٥١). قال الهيثمي في المجمع (ج ٣/١٤): وفيه سليمان ابن داود اليمامي وهو ضعيف.

فقال ملك الموت: يا محمد، طب نفساً وقرّ عيناً؛ فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم أن ما في الأرض بيت مدر، ولا شعر في بر ولا بحر، إلا وأنا أتفحصهم في كل يوم خمس مرات، حتى إني أعرف بصغيرهم وكبيرهم من أنفسهم. والله يا محمد، لو أنني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك، حتى يكون الله هو الأمر بقبضها.. قال جعفر بن محمد: أبي هو الصادق، بلّغني بتفحصهم عند مواقيت الصلاة، فإذا حضر عند الموت، فإذا كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان، ولقنه الملك: لا إله إلا الله، محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة^(١).

وتبقى ملائكة الموت تقطف أرواح الناس حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول: الله الله.. ويبقى شرار الخلق.. وعليهم تقوم الساعة.



(١) الطبراني في الكبير (ج ٤ / ٢٢٠). قال الهيثمي في المجمع (ج ٢ / ٣٢٥): فيه عمر بن شمر الجعفي، والحارث بن الخزرج، ولم أجد من ترجمهما.

نفخة الصور الأولى وقيام الساعة

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رِيكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَاهُم بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج : ١ - ٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٣ - ١٨].

هكذا يصور كتاب الله لنا ذلك اليوم العظيم بكلمات تورق مضاجع السالكين، ومنذرة للذين هم عنها غافلون.. فيصف ذاك اليوم الذي ستنسف فيه الجبال نسفاً، وتدك في الأرض دكاً، وتنشق السماء فتتناثر الكواكب والنجوم، وتتطاير الجبال والبحار.. ويصرخ الإنس والجن صرختهم الأخيرة.. ليصبح الكل في الكل، والنار في الماء، والماء في التراب.. ولا يعلم أحد كم ستكون حينها حرارة المكان، التي سيصهر فيها الحديد والإنسان. وما أكثر ما يصف الجليل جلّ جلاله في القرآن الكريم ذلك اليوم الموعود، لينذر الناس لعلهم يدركوا أنفسهم قبل أن يتداركوا في الجحيم.. إذ قال تعالى: ﴿هَذَا وَإِلَى الطَّغْيَانِ لَشَرٌّ مِّنَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَنَسَ الْهَادِ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿٥٧﴾ وَآخِرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَصِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجِبًا بِكُمْ أَنْتُمْ

فَدَمَّتْهُ لَنَا فَيَسَّ الْفَرَارُ ﴿٦٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٧﴾ اتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٩﴾ [ص: ٥٥ - ٦٤].

وللمكذبين بيوم القيامة إنذار خاص ، ووعيد مرتقب منه تعالى كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْنَتَ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ [المرسلات : ٧ - ١٥].

كل هذه الحرب الكونية وتلك الأهوال الجسيمة ، وما ستنضوي عليها من صواعق وانفجارات-بركانية ستشيب لها الولدان ، وستذهل لهولها كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها.. إنما فقط تنتظر النفخة الأولى من حامل الصور إسرافيل عليه السلام حتى يرى الناس ما وعدوا به ، كما جاء في هذا الحديث الذي رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «ما طرف صاحب الصور مذ وكّل به ، مستعداً ينظر نحو العرش ، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه»^(١).

فتخيل أيها المرء كم هي عظمة هذا الصوت وهذه النفخة ، إذا كان سيصعق لها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فيقهر الله تعالى العباد والكائنات بالموت جميعاً ، ويبقى الحي القيوم الذي لا يموت ، ويبقى تعالى حملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت .

ثم يكمل لنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه هذا المشهد كما جاء في الأثر ، فيقول : «فإذا اجتمعوا أمواتاً ، جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول : قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت ، فيقول الله سبحانه - وهو

(١) أبو نعيم في الحلية (ج ٤ / ٩٩). وفي رواية أخرى في المستدرک علی الصحیحین (ج ٤ / ٦٠٣) (ح ٨٦٧٦) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

أعلم - : من بقي؟ فيقول: يا رب، بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقي حملة العرش، وبقي جبريل وميكائيل وإسرافيل، وبقيت أنا. فيقول الله عز وجل: ليتمت جبريل وميكائيل، فينطق الله عز وجل العرش فيقول: أي رب يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول: اسكت، إني كتبت الموت على كل من تحت عرشي؛ فيموتان. قال: ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار جل جلاله فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله سبحانه - وهو أعلم - : من بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقي حملة عرشك، وبقيت أنا. فيقول: ليتمت حملة العرش. فيموتون، فيأمر الله العرش، فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يقول: ليتمت إسرافيل، فيموت. ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك. فيقول - وهو أعلم - : من بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت أنا. فيقول الله: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت فمُت. فيموت. فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، فكان كما كان أولاً، طوى السماء كطي السجل للكتب، ثم قال: أنا الجبار؛ لمن الملك اليوم؟ فلم يجبه أحد! فيقول جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه: لله الواحد القهار^(١).

ويُبقي سبحانه وتعالى جميع الخلائق على هذه الوضعية إلى ما شاء... حتى يحين موعد النفخة الثانية، فإذا هم قيام ينظرون.



(١) البداية والنهاية (ج ١ / ٦٢) دار أبي حيان - القاهرة.

عصر الدار الآخرة

- الموقف
- الشفاعة
- الحساب
- تطاير الكتب
- الميزان
- الحوض
- الصراط
- عند جهينة الخبر اليقين

الموقف

هو المشهد الأول من مشاهد الدار الآخرة يبدأ بالنفخة الثانية؛ ليقوم الناس لرب العالمين حفاةً عراةً، تلفح وجوههم حرارة الشمس والمكان.. وتصطلي أقدامهم بحرارة الأرض، وجذوة الرمال.. وتأتي كل نفس معها سائقٌ وشهيد.. ويوضع الكتاب والميزان.. وتتهيأ ملائكة الحساب.. ويتصب الصراط فوق الجحيم.. فيصعق الكافرون والمنافقون.. ويقول المذنب العاصي: واخيبتاه.. ويقول الكافر والمنافق: يا ليتني كنت تراباً..

يصف رب العزة هذا المشهد، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بُولَاقْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥١ - ٥٢].

هاك وإن بعد النفخة الثانية للصور يعود إعمار الكون من جديد - وبعد أن كان قد دمر بالكامل عند النفخة الأولى وقيام الساعة - حيث تبدل الأرض غير الأرض، وكذلك الشمس والمجرات، وإذا بالخلائق يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر، وعلى أرض جديدة لم تطأها قدم إنسان من قبل، يخرجون حفاةً عراةً مدهولين لا يستطيعون حراكاً، وكل امرئ يقف فوق قبره ينتظر المفاجآت.. مشغولاً بحاله، خائفاً ترتعد فرائصه.. . روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرلاً^(١)». قلت:

(١) جمع أغرل: وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته، أي: قلفته، وهي الجلدة التي تقطع في الختان. والمعنى؛ أن الناس يبعثون يوم القيامة غير مختونين.

يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال ﷺ:
يا عائشة! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض^(١).

وبعد انقضاء فترة من الزمن لا يعرف قدرها إلا الله، يأتي فوج من
الملائكة فيحيطون بالخلائق، ثم يدفعون بهم إلى أرض المحشر والتي
تسمى أرض الساهرة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ
بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣ - ١٤].

وأول صوت يسمعه الناس في ذلك الموقف هو زفير جهنم.. أعاذنا الله
وإياكم منها. فحينها يعلم الكافرون والمنافقون بأنها أعدت لهم، وكذلك
المقصرون، وكلّ منهم بحسب ما قدّم من عمل في حياته الدنيا.. فيولون
مرتعدين من هذا الصوت، وكل منهم يصرخ ويدعو ثبوراً، وكلما أرادوا
الهروب من هذا الموقف تلتفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم..
ولهذا أنذر المرسلون أقوامهم يوم التناد، إذ قال تعالى على لسان مؤمن آل
فرعون: ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢].

فأعرضوا في الدنيا، فكانت النتيجة: ﴿يَوْمَ تُولُون مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣].

وتقترب الشمس من الخلائق حتى تغدو من الرؤوس قاب قوسين أو
أدنى، فيزداد الموقف هولاً وشدةً، ويبلغ عرق الناس إلى الركب، ومنهم
من يبلغ إلى كعبيه، وأكثرهم من يتغرغر فيه.. إذ روى أحمد في مسنده عن
أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تدنو الشمس يوم القيامة
على قدر ميل، ويزاد في حرها كذا وكذا، يغلي منها الهوام^(٢) كما يغلي
القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم؛ منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم
من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه

(١) مسلم (ج ٤/٢١٩٤) (ح ٧١٩٨).

(٢) الهوام: جمع هامة، وهي الرأس.

وفي هذا الموقف ذي الهول الشديد، حيث إن الناس قد أيقنوا بأنهم بعثوا ليوم الحساب، وما هو إلا يومٌ - قد يطول وقد يقصر - ليعرف كل امرئ منهم مصيره الذي طالما انتظره، فإما إلى الجنة خالداً فيها أبداً، أو إلى النار - أعاذنا الله وإياكم منها - خالداً مخلداً . . إذ لا توجد حينها منطقة وسطى، أو دارٌ يسكنها المرء غير الجنة أو النار.. والكل مشغول بحاله فلا يشغله حبيب أو قريب سوى نفسه المرتعدة، ويجأر إلى المولى عز وجل قائلاً: اللهم إني أسألك نفسي.. اللهم إني أسألك نفسي.. يصف ربّ العزة هذه الحال فيقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبَيْهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ - ٣٧].

في تلك الوقفة الصعبة لا ينسى تعالى عبده المؤمن وهو بأشدّ الحاجة إليه، وليس ذلك إلا لسبعة أصناف من المؤمنين، فسارع أيها العبد لكي تحجز مع إحدى هذه الزمر مقعداً لنفسك، ومن قبل أن تدق ساعة الرحيل.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظلّه: إمامٌ عادل، وشاب نشأ في عبادة ربّه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصبٍ وجمالٍ فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، فأخفى، حتى لا تعلم شماله، ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه»^(٣).

هؤلاء الزمر هم الذين سيستبشرون بالأمن والأمان فور قيامهم من القبور، وهم الذين سيضحكون بينما الناس في همٍّ وغمٍّ وخوفٍ، حتى

(١) يلجمه العرق: يبلغ فاه.

(٢) أحمد (ج ٥/٢٥٤) (ح ٢٢١٨٦) إسناده قوي.

(٣) البخاري (ج ١/٢٣٤) (ح ٦٦٠).

يعلم كل امرئ منهم علامة الامتحان.. كما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ ۝٤١﴾
 أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿[عبس: ٣٨ - ٤٢].

أيها العبد! لا زالت الفرصة سانحة أمامك فلا تضيعها، واقتد بذاك الرجل من بني إسرائيل، الذي اشترى منذ الآن مطيته ليأتي راكباً عليها إلى الموقف، بينما سيأتي الناس سيراً على الأقدام، حفاة عراة، تصطلي وجوههم وأقدامهم بحرارة الشمس والمكان.. ذكر ذاك الرجل في حديث أورده القرطبي في التذكرة أن النبي ﷺ قال: «كان رجل من بني إسرائيل كثيراً ما يفعل الخير، حتى إنه ليحشر فيكم، قالوا له: وما كان يصنع؟ قال: ورث من أبيه مالا كثيراً، فاشترى بستاناً فحبسه للمساكين، وقال: هذا بستانني عند الله تعالى. وفرق دنانير عديدة في الضعفاء، وقال: بهذا اشتري جارية من الله تعالى وعبيداً. وأعتق رقاباً كثيرة، وقال: هؤلاء خدمي عند الله تعالى. والتفت ذات يوم لرجل ضرير البصر، فرآه تارة يمشي، وتارة يكبو، فابتاع له مطية يسير عليها، وقال: هذه مطيتي عند الله تعالى أركبها. والذي نفس محمد بيده، لكأني أنظر إليه وقد جيء بها إليه مسرجة^(١) ملجمة^(٢) يركبها، تسير به إلى الموقف»^(٣).

وبينما لا يزال الخلائق على أرض السّاهرة حيث تطول وقفتهم وتستمر لوقت لا يعلم قدره إلا الله، ولا يملك امرؤ حينها سوى موضع قدميه، حتى يصير الناس إلى أن يتمنوا أن ينتهي الموقف، ولو بأن يكون مصيرهم إلى النار.. فتنزل ملائكة السماء الأولى فتحيط بالخلائق، ويسألونهم: أفيكم ربنا؟ فترد الملائكة: تعالى ربنا، ليس بعد. ثم تنزل ملائكة السماء الثانية، وتحيط بالخلائق أيضاً، ويسألونهم: أفيكم ربنا؟ فترد عليهم ملائكة

(١) مسرجة: عليها سرج وهو رحل الدابة.

(٢) ملجمة: عليها لجام.

(٣) التذكرة (ص ١٨٠ - ١٨١) من غريب الرواية.

السماء الثانية: تعالى ربنا، ليس بعد.. ثم السماء الثالثة، ثم الرابعة، حتى تنزل ملائكة السماء السابعة، ويحيطون بالخلائق جميعهم. بعد ذلك يأتيهم النداء الأول من الجليل جلّ جلاله، وبه يستبشر المؤمنون وتسودّ وجوه الذين كفروا.. كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «يقول الربّ عزّ وجلّ يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم»^(١).

بعد هذا النداء يتجلى ربّ العزّة على أهل الموقف ومن وراء كل الحجب، وبعدما يكون قد وصل اللوح المحفوظ وجميع الملائكة، ثم يستدعى الرسل والأنبياء، لأول جلسة من جلسات المحكمة الإلهية.. إذ أول من سيحاكم ويدعى للمحكمة يوم القيامة هم الرسل والأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالسُّهُدَاءِ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٨ - ٦٩].

لأنه تعالى - وقبل أن يقضي بين العباد - سيسأل الرسل والأنبياء عن أداء الأمانات وتبليغ الرسالات، وهل أُنذروا أقوامهم من بأس هذا اليوم العظيم؟ وهل تلووا عليهم الصحف والكتب السماوية كما أنزلت عليهم؟

هنا ينادي الله تعالى: أين اللوح المحفوظ؟ فيؤتى به له هرج عظيم من الملائكة، فيقول الله تعالى: أين ما سطرت فيك من توراة وزبور وإنجيل وفرقان؟ فيقول (اللوحة المحفوظ): يا ربّ نقله مني الروح الأمين. فيؤتى به يردد وتصطك ركبته، فيقول الله تعالى: يا جبريل هذا اللوح المحفوظ يزعم أنك نقلت منه كلامي ووحبي؛ أصدّق؟ قال: نعم يا ربّ، قال: فما فعلت فيه؟ قال: أنهيت التوراة إلى موسى، وأنهيت الزبور إلى داود، وأنهيت الإنجيل إلى عيسى، وأنهيت الفرقان إلى محمد، وأنهيت إلى كل رسول رسالته، وإلى أهل الصحف صحائفهم. فإذا بالنداء: يا نوح. فيؤتى

(١) أحمد (ج ٦٨/٣) (ح ١١٦٥٢) إسناده ضعيف.

به يردد وتصطك فرائصه. فيقول: يا نوح زعم جبريل أنك من المرسلين، قال: صدق، فقيل له: ما فعلت مع قومك؟ قال: دعوتهم ليلاً ونهاراً، فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً.. فإذا بالنداء: يا قوم نوح. فيؤتى بهم زمرة واحدة، فيقال: هذا أخوكم نوح يزعم أنه بلغكم الرسالة، فيقولون: يا ربنا كذب، ما بلغنا من شيء. وينكرون الرسالة، فيقول الله: يا نوح ألك بينة، فيقول: نعم يا رب، بينتي عليهم محمد وأمه، فيقولون (أي: قوم نوح): كيف ونحن أول الأمم، وهم آخر الأمم؟! فيؤتى بالنبي ﷺ فيقول الملك جلّ جلاله: يا محمد هذا نوح يستشهد (أي يطلبك شاهداً عليه)، فيشهد له بتبليغ الرسالة، فيقرأ ﷺ: (من سورة نوح) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ فيقول الجليل جلّ جلاله: قد وجب عليكم الحق وحقّت كلمة العذاب على الكافرين، فيؤمر بهم زمرة واحدة إلى النار، من غير وزن عمل ولا حساب.

وهكذا يستدعي ربّ العزّة جلّ جلاله كل الرسل والأنبياء، ومعهم أممهم فرادى فرادى؛ ليكون سيدنا محمد وأمه صلوات الله وسلامه عليه الشاهد على جميع الأمم، فيشهدون لأنبياء الله تعالى بتبليغهم رسالات ربهم، ولأنه تعالى قد شهد على ذلك بنفسه في كتابه العزيز.. ولهذا أيضاً وصف ربّ العزّة هذه الأمة كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ثم ينادى بموسى بن عمران، فيأتي وكأنه ورقة في ريح عاصف قد اصفر لونه واصطكت ركبته، فيقول له: يا ابن عمران، جبريل يزعم أنه بلغك الرسالة والتوراة أفتشهد له بالبلاغ؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى منبرك واتل ما أوحى إليك من ربك، فيرقى المنبر ثم يقرأ، فينصت له كل من في الموقف، فيأتي بالتوراة غضة طرية على حسنها يوم أنزلت، حتى تتوهم الأحبار أنهم ما عرفوها يوماً. وكذلك يؤتى بعيسى عليه السلام، ثم يرقى المنبر ويتلو الإنجيل وهو غضّ طريّ، حتى يظن الرهبان أنهم ما

عملوا به قط، ثم ينقسم قومه فرقتين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. ثم ينادى بمحمد عليه الصلاة والسلام، فيرقى المنبر، ويقرأ القرآن. . فإذا فرغت قراءة الكتب، خرج النداء من قبل سرادقات الجلال: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾!!! فيرتج الموقف، ويقوم فيه روع عظيم، والملائكة قد امتزجت بالجن، والجن ببني آدم، والكل لجة واحدة، ثم يخرج النداء: يا آدم ابعث بعث النار. فيقول: كم يا رب؟ فيقال له: من كل ألف؛ تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة^(١)!!.

ويقاد الذين كفروا إلى جهنم ورداً.. كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرّاً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧١ - ٧٢].

تلك كانت مقتطفات من حديث طويل أخرجه أبو حامد في كتابه كشف علوم الآخرة كما ذكر القرطبي في كتابه التذكرة، حيث ينتهي هذا الحديث - كما رأينا - إلى أن أقواماً سيؤمر بهم مباشرة إلى النار، من دون حسابٍ عملٍ ولا كتابٍ ولا ميزان، وهؤلاء هم الذين كانوا في الحياة الدنيا قد أصروا على استكبارهم ومناهضتهم لله ولرسوله، ولدينه الذي ارتضى من بعده منذ أن بلغوا الحلم، حتى أدركهم الأجل..

وبالمقابل سيدخل الجنة زمرٌ من الناس بلا حساب ولا كتاب ولا ميزان، وهذا ما سنلفيه لاحقاً، إلا أنه وريثاً تفتح الجنة أبوابها، فالطريق إليها لا يزال مقلقاً وحرماً جداً.



(١) التذكرة (ص ٢٦٦ - ٢٦٧).

الشفاعة

ينتظر الخلائق الذين بقوا ولم يؤمر بهم إلى النار وقتاً طويلاً، وهم في همٍّ وغمٍّ وخوفٍ، وجوعٍ وعطشٍ شديدين، فيأتون آدم عليه السلام كي يشفع لهم عند ربهم ليبدأ الحساب، فلا يجروا على ذلك ويقول لهم: اذهبوا إلى نوح. وهكذا حتى يذهبوا إلى كل الرسل والأنبياء، وفي النهاية يصلون إلى سيدنا محمد ﷺ فيشفع لهم عند الملك جلّ جلاله، ثم يأمر تعالى ملائكة الحساب بنشر الدواوين والكتب والموازن، مؤذناً بذلك بدء الحساب. .

يروى لنا البخاري حكاية الشفاعة هذه في حديثٍ أخرجه في صحيحه عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي، وَيَنفُذُهُم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟! ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك؛ اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟! فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته؛ نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه

قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالته ، وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبياً ، اشفع لنا ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتون محمداً ﷺ فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فأنتقل فأتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله عليّ من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه عليّ أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول : أمّتي يا ربّ ، أمّتي يا ربّ. فيقال : يا محمد ، أدخل من أمّتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال : والذي نفسي بيده ، إن ما بين المصراعين^(١) من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وحمير ، أو كما بين مكة وبصرى^(٢).

(١) المصراعين : جانبي الباب.

(٢) البخاري (ج ٤/١٧٤٥ - ١٧٤٦) (ح ٤٧١٢).

وبعدما يقبل مالك الملك شفاعة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام،
يؤذن له وللملائكة أن يدخلوا إلى الجنة من الصابرين وأهل البلاء من
يستحق دخولها، من دون حساب عمل، أو كتاب، أو ميزان، كما قال
تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٦﴾ وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ
أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٦﴾ وَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٣ - ٧٥﴾.

قد يتساءل البعض: كيف سيدخل الجنة أحدٌ قبل رسول الله ﷺ، إذا
كنا نعلم بأن أول من سيفتح باب الجنة هو رسول الله ﷺ، وأول قدم ستطأ
أرض الجنة هي قدمه الشريفة؟

في الجواب أقول: لا ريب أن الله تعالى سيأذن لنبيه محمد عليه
الصلاة والسلام بفتح باب الجنة، ثم يعود إلى الحوض؛ لأنه وبعد أن
يكرم مالك الملك نبيه بهذه الشفاعة، ولأن الوقت لا يزال طويلاً، يكرم
تعالى صفيه محمد ﷺ بهذا الحوض ليسقي أمته بعد الظمأ. وإن دل هذا
على شيء، فإنما يدل على مدى رأفته ﷺ بأمة حتى في الدار الآخرة. إذ
يأبى النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يبقى في الجنة ويتلذذ بنعيمها،
وهو يعلم أن أحداً من أمته لا يزال قبل الصراط، فيبقى عليه الصلاة
والسلام على الحوض يسقي العطاش من أمته بعد الظمأ. حتى إذا ما انتهى
الحساب، وعرف كل امرئ مصيره، توجه النبي ﷺ إلى الجنة وهو لا يزال
يشفع لمن بقي في النار قائلاً: يا ربُّ أمتي أمتي^(١) ..

(١) أو كما يقول بعض العلماء بوجود قنطرة عند باب الجنة ينتظر عليها الذي جاوزوا
الصراط ولم يبق لهم سوى دخول الجنة. فينتظرون على بابها ريثما ينتهي رسول الله
ﷺ من مهمته على الحوض، وبعدما تنتهي مواقف الحساب واستلام الكتاب والميزان
لجميع الخلائق، ولم يبق أحدٌ إلا على الصراط، أو هوي به إلى النار - أجازنا الله
وليأكم منها - أو عند باب الجنة على القنطرة، فيأتي رسول الله ﷺ ويؤذن له بفتح باب
الجنة والدخول إليها! لأنني أظن بأن من دخل الجنة حتى وإن كان رسول الله ﷺ، فلا
يخرج منها أبداً سرمداً... والله وأعلم.

الحساب

للحساب كما يقول بعض العلماء: خمسون موقفاً. يقف عند كل واحدٍ منها عددٌ من الملائكة وهم مختصون بمادةٍ واحدةٍ من الأسئلة، وأول ما سيسأل عنه العبد يوم الحساب هي الصلاة، فإذا صلحت صلح سائر عمله، وإذا فسدت فسد سائر عمله. . فقد ورد في حديثٍ أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته؛ فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت، فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء، قال الربّ عزّ وجلّ: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك»^(١).

إذا؛ فمن كرم الله تعالى على عبده يوم الحساب، أن يكمل له ما نقص من فرائض صلاته بما أداه من نوافل في حياته الدنيا، وعلى ذلك تؤخذ جميع فرائض الإسلام الأخرى من زكاة وصيام وحج.. إلخ، فاحرص أخي المسلم على النوافل كحرصك على الفرائض؛ لأنه آتاك يوم ستحتاج فيه ولو إلى كلمة طيبة ستتمنى أنك لو نطقت بها في حياتك الدنيا.. فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟ فليقولن: بلى. ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولن: بلى. فينظر عن يمينه،

(١) الترمذي (ج ٢/٢٦٩) (ح ٤١٣) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الألباني: صحيح.

فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة»^(١).

وبعدما يُسأل العبد عن الصلاة فإن صلحت جاز به إلى الموقف الثاني ليسأل فيه عن الزكاة، فإن صلحت جاز به إلى الموقف الثالث ليسأل فيه عن الصيام، فإن صلح جاز به إلى الموقف الرابع ليسأل عن الحج، ثم يسأل عن بر الوالدين، وصلة الأرحام، وحقوق الجار، وأكل الربا، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفق، وعن الغيبة والنميمة، وعن الصدق والكذب والغش والأمانة، وعن حفظ الفرج وغض البصر وحفظ اللسان، وعن شهادة الزور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن تربية الأولاد وتأديبهم على تلاوة القرآن، وارتياح المساجد وحب النبي ﷺ، وأهل بيته الأطهار وصحابته الأخيار..

وفي كل موقف من هذه المواقف الخمسين إذا لم ينجح فيه العبد أسقط في نار جهنم ألف عام، ثم يخرج منها ليجاز به إلى الموقف التالي وهكذا حتى يصل إلى الصراط^(٢). إلا أنه وقبل الصراط فإن للعبد حظ ووقفة بين يدي ربه عز وجل؛ ليسأله مباشرة ودون واسطة أو ترجمان عن الدماء ومظالم الناس.. فيا له من موقف تشيب له الولدان! فكيف بمن سفك وأراق الدماء بغير حق ولا سلطان؟! إذ روى البخاري في صحيحه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من

(١) البخاري (ج ٢/ ٥١٢) (ح ١٤١٣).

(٢) هكذا يقول بعض العلماء، إلا أنني أرجح بأن النار لا يدخلها أحد إلا بعدما يفرغ من كل مواقف الحساب والميزان واستلام الكتاب، لأنني أظن أيضاً بأن من دخل النار وخرج منها فلا يعود إليها أبداً، وكذلك الجنة - كما أسلفنا - من دخلها فلا يخرج منها أبداً سرمداً... والله أعلم.

عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»^(١).

وأخرج النسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء»^(٢).

وللأمراء والوزراء حظّ ووقفه خاصة بين يدي ربهم عزّ وجلّ؛ ليسألوا عما فعلوا فيما ملكهم الله وهل حكموا العباد بتقوى الله؟ أم تناسوه فقهروا العباد ونهبوا البلاد وبدلوا شرع الله بشرائع وضعيّة: علمانيّة و ماسونيّة و

وللمنافق أيضاً حظّ ووقفه بين يدي ربه عزّ وجلّ ليظهر على حقيقته، كما يروي لنا مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال - وهو يحدثنا عن مثل هذه الوقفات - : «يلقى العبد فيقول: أي قلّ^(٣) ألم أكرمك وأسودك وأزوّجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوّجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ها هنا إذاً. قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهداً عليك، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله؟ وذلك ليُعذر من نفسه؛ وذلك

(١) البخاري (ج ٦/٢٧٢٩) (ح ٧٥١٢).

(٢) النسائي (ج ٧/٨٣) (ح ٣٩٩٦٠) حديث صحيح.

(٣) أي: يا فلان.

المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»^(١).

ويا للغرابة من تلك المرأة العجوز! وقد أيقنت بيوم الحساب، وبأن الله تعالى سيجمع الأولين والآخرين ليقتص من هذا وذاك، ويعطي هذا وذاك، فينال كل ذي حق حقه.. فعجب كل العجب من أولئك الرجال وحملة الشهادات وخريجي الجامعات، وهم لا يزالون يستهترون بيوم الحساب.. أخرج ابن ماجه في سننه: «عن جابر قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر^(٢)، قال: ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة. قال فتية منهم: بلى يا رسول الله؛ بينا نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهايينهم، تحمل على رأسها قلة^(٣) من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت، التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر^(٤)، إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً. قال: يقول رسول الله ﷺ: صدقت صدقت؛ كيف يقدر الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟!»^(٥).

وكما أن رسول الله ﷺ كان يربي أصحابه بأحسن الأخلاق لأجل أن يؤدبهم ويؤدبنا من بعدهم، فنعمو عمن ظلمنا ونعطي من حرمانا ونحسن لمن أساء إلينا.. فكهذه الخصال الحميدة هي أيضاً ستظل يوم القيامة من سجايا المؤمن.. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس، إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم

(١) مسلم (ج ٤/٢٢٧٩) (ح ٧٤٣٨).

(٢) المسلمون الذين كانوا قد هاجروا إلى الحبشة.

(٣) إناء من الفخار لشرب الماء.

(٤) أسلوب نداء للغادر المفرد، وللجمع يقال: يا آل غدر.

(٥) ابن ماجه (ج ٢/١٣٢٩) (ح ٤٠١٠) حديث حسن.

تضحك يا رسول الله؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي عز وجل، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته، فقال: يا رب ما بقي من حسناتي شيء، فقال: يا رب فليحمل من أوزاري. وفاضت عينا رسول الله ﷺ، ثم قال: إن ذلك اليوم يحتاج الناس فيه إلى أن تُحمل عنهم أوزارهم، ثم قال الله تعالى للطلاب حقه: ارفع بصرك فانظر إلى الجنان، فرفع بصره فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة، فقال: لمن هذا يا رب؟ فقال: لمن أعطاني ثمنه، قال: ومن يملك ثمن ذلك؟ قال: أنت، قال: بيم إذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة. ثم قال رسول الله ﷺ: فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»^(١).

وبعدما يفرغ العبد من مواقف يوم الحساب، ولكي توزن أعماله - التي سجلتها ملائكة الحساب عليه في الكتاب - دفعةً واحدةً في الميزان، توزع الآن تلك الكتب على العباد ليحمل كل امرئ كتابه إما بيمينه، أو بشماله وذلك قبل وضعها في الميزان.. فإلى الموقف التالي وتطير الكتب.



(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (ج ٤ / ٦٢٠) (ح ٨٧١٨).

تطير الكتب

الجزع وشدة الهلع في هذا الموقف لا ينقصان كثيراً عما كان سائداً أثناء مواقف البعث والحشر والحساب . . هذا وإن أعمال العبد التي سجلها عليه - في الدنيا - ملكان؛ أحدهما للحسنات، وآخر للسيئات، سيذهل يوم القيامة هذا العبد حينما يتسلم كتابه، فيجد أن ما من سكنة وما من حركة نتجت عنه في هذه الحياة الدنيا إلا وقد دونت على صفحات هذا الكتاب . . كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَيْدٍ ﴿١٦﴾ إِذْ يَنْقَلِي الْمَتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ [ق: ١٦ - ١٨].

هذا وإن مواقف الحساب بعدما تُستكمل تطير تلك الكتب في السماء؛ ليقع كل كتاب فوق صاحبه فمن وقع الكتاب في يمينه فقد فاز ونجا، ويأتي ملائكة الميزان ضاحكاً مسروراً، ويقول لهم: هاؤم اقرؤوا كتابيه.. وأما من سقط الكتاب على شماله، فقد خاب وخسر، ويقول: يا ليتني لم أوت كتابيه.. يصف رب العزة هذا المشهد كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِنِي لَرَّ أُوْتِيَ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَرَّ أَدْرِمَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلْتَنِنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴿٢٩﴾ خُدُوهُ فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾ تَرَّ الْجَحِيمَ صَلْوَهُ ﴿٣١﴾ تَرَّ فِي سَلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ [الحاقة: ١٩ - ٣٢].

فيا أخي المسلم حاسب نفسك قبل أن تحاسب، وثقل ما استطعت ميزانك من الآن؛ ليأتيك الكتاب عن يمينك فذلك خير لك والله من أن تفجع يوم القيامة وإذا بكتابك أسقط على شمالك، فتدعو ثبوراً، وتصلى سعيراً، وتندم أن لم تكن قد زدت من رصيد حسناتك، كما كان غيرك قد رصد.. يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري في صحيحه: «فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراعٌ، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة»^(١).

وبعدما يستلم كل امرئ كتابه يأتي دور الميزان.. إذ لا يزال الطريق إلى الجنة محفوفاً بالمفاجئات والمكاهرة، فلا تعجل أخي المسلم على دخول الجنة إن لم تكن ممن دخلها من قبل، بلا حساب ولا كتاب ولا ميزان..



(١) البخاري (ج ٣/١١٧٤) (ح ٣٢٠٨).

الميزان

عندما أُعلنت نتائج الثانوية العامة والتي كانت تعتبر مفترقاً لسبل شتى في حياتنا الدنيا، سارعنا إلى لوائح الامتحانات ليعرف كلُّ منا مصيره الذي طالما انتظره على مدار السنة وطيلة أعوام الدراسة، فإما النجاح، وإما السقوط. ذهبنا ونياط أفئدتنا تكاد تنقطع، وقلوبنا من شدة الخفقان، تكاد أن تقف! .

كانت تلك حالنا ونحن ننتظر نتيجة الامتحان لنعرف شكل مستقبلنا في دنيا قصيرة، ومنتَهيةٍ عما قريب. . فكيف سيكون حال العبد حينما سيقف أمام الميزان وهو ينتظر نتيجته التي ستَحسم له المصير في حياة أبدية سرمدية، فإما إلى جنة عرضها السماوات والأرض خالداً فيها أبداً، أو أنه سيحكم حكماً قضائياً عدلاً غير قابلٍ للطعن، ويزجّ به في نار جهنم خالداً فيها مؤبداً. . روى أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: «أما في ثلاثة مواطن، فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزان، حتى يعلمَ أيخفَ ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال: هاؤم اقرؤوا كتابيه، حتى يعلمَ أين يقع كتابه، أفي يمينه؟ أم في شماله؟ أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط، إذا وضع بين ظهري جهنم»^(١).

ثم تنصب الموازين يوم القيامة كي توزن بها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه جاز على الصراط إما كطرف العين، أو كأجاويد الخيل.. إلخ، وكل منهم حسب درجة الميزان التي حصل عليها، ويصل باب الجنة ضاحكاً مسروراً. . ومن خفت موازينه، فسيهوي في نار جهنم مذموماً مذعوراً،

(١) أبو داود (ج ٤ / ٢٤٠) (ح ٤٧٥٥) حديث ضعيف.

ويصلى سعيراً.. كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

ويفاجأ الناس بالموازنين يوم القيامة، فما كانوا يحسبونه هو الأثقل كالصلاة والصيام وحج البيت، فسيكون هناك ما هو أثقل منه.. فما من شيء يومئذ أثقل في الميزان من حسن الخلق.. فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»^(١).

فثقل أخي المسلم ميزان حسناتك ما استطعت من الآن، بعبادة الرحمن وقراءة القرآن وحسن الخلق وصللة الأرحام، والإكثار من ذكر الله، والصلاة على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.. إذ روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «توضع الموازين يوم القيامة؛ فيؤتى بالرجل فيوضع في كِفَّةٍ، فيوضع ما أحصي عليه، فتمايل به الميزان قال: فيبعث به إلى النار. قال: فإذا أدبر به، إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له؛ فيؤتى ببطاقة فيها: لا إله إلا الله! فتوضع مع الرجل في كِفَّةٍ حتى يميل به الميزان»^(٢).

وروى الطبراني في الكبير، وابن كثير، عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال: «إني رأيت البارحة عجباً، فرأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرد عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من

(١) الترمذي (ج ٤/ ٣٦٣) (ح ٢٠٠٣) حديث صحيح.

(٢) أحمد (ج ٢/ ٢٢١) (ح ٧٠٦٦) إسناده قوي.

أمّتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم، ورأيت رجلاً من أمّتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمّتي يلهث عطشاً، كلما ورد حوضاً منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمّتي والنبيون قعود حلقاً حلقاً، كلما دنا لحلقة طردوه، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمّتي من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، وهو متحير فيها، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أمّتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه، فكلموه، ورأيت رجلاً من أمّتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه، وظلاً على رأسه، ورأيت رجلاً من أمّتي قد أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذه من أيديهم، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمّتي جائياً على ركبتيه، بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه، فأخذ بيده، فأدخله على الله عز وجل، ورأيت رجلاً من أمّتي قد هوت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من النار^(١) فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمّتي قد خف ميزانه، فجاءته أفراطه^(٢) فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمّتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمّتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار، ورأيت رجلاً من أمّتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة^(٣)، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمّتي على الصراط يزحف أحياناً، ويحبو أحياناً، فجاءته صلاته علي،

(١) وفي رواية أخرى: «فجاءه خوفه من الله تعالى». التذكرة (ج ٢/ ١٣٨).

(٢) أفراطه: جمع قَرَط. وقَرَطُ الولد: صغاره ما لم يدركوا. وفي الدعاء للطفل الميت: اللهم اجعله لنا قَرَطاً أي: أجراً يتقدمنا حتى نرد عليه.

(٣) السعفة: جريد النخل وورقه.

فأخذت بيده فأقامته، ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله! ففتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة»^(١).

أما أهل البلاء فحدث ولا حرج لِمَا سيلاقونه من كرم الله عز وجل لهم، حتى إن الناس يوم القيامة ليتمنون أن لو قرَضوا بالمقاريض في الحياة الدنيا، وذلك من دهشتهم لِمَا سيناله أهل البلاء من أجر وثواب في الآخرة.. كما ذكر القاضي منذر بن سعيد البلوطي، والطبراني في (الكبير) أن النبي ﷺ قال: «تنصب الموازين يوم القيامة: فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صَباً بغير حساب»^(٢).

وخرَجَ أبو نعيم الحافظ حديثاً بمعناه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالشهيد يوم القيامة، فينصب للحساب، ويؤتى بالمتصدق، فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء، فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، فيصب عليهم الأجر صَباً؛ حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسامهم قرضت بالمقاريض، من حسن ثواب الله تعالى لهم»^(٣).

وفي روضة المشتاق، ذكر ابن الجوزي حديثاً عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال لي جدي ﷺ: «يا بني عليك بالقناعة تكن أغنى

(١) ابن كثير (ج ٢/٥٣٦). قال الهيثمي في المجمع (ج ٧/١٨٠): رواه الطبراني بإسنادين ضعيفين.

(٢) السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٢٣) ضعيف جداً لأن فيه ضرار بن عمرو متروك.

(٣) أبو نعيم في الحلية (٣/٩١). والطبراني في الكبير (١٢٨٢٩) حديث ضعيف فيه مجاعة.

الناس، وأدّ الفرائض تكن أعبد الناس، يا بني إن في الجنة شجرة يقال لها: شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة، فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، يصب عليهم الأجر صباحاً، وقرأ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١) ..

فما من أحد إلا سيتمنى يوم القيامة أن لو عاش عيشة المساكين والبسطاء من أهل البلاء، وكم سيتمنى أن لو أوتي من الدنيا فقط ما يسدّ له رمقه، ويروي ظمأه.. أو كما يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «ما من أحدٍ، غني ولا فقير، إلا يود يوم القيامة أنه كان أوتي في الدنيا قوتاً»^(٢).

وبعدما عرف كل امرئٍ وزن أعماله في الميزان، وقبل عبوره على الصراط، سيتخلل ذلك استراحة قصيرة عند الحوض وذلك لمن ثقلت موازينهم كالمطهرين والمتوضئين، وكلّ منهم حسب نتيجة الميزان التي حصل عليها..



(١) الطبراني في الكبير (٢٧٦٠) ضعيف جداً فيه سعد بن طريف متروك.
(٢) أحمد (ج ٣/١٦٧) (ح ١٢٧١٠) إسناده ضعيف.

الحوض

نقول: حاض الماء، أي: جمعه. والحوض يجعل للنخلة تشرب منه. والمقصود بحوض النبي ﷺ: نهر يكرم الله تعالى به نبيه محمد ﷺ؛ ليروي العطاش من أمته بعد الظمأ، وبعد كل هذا الجهد الذي اعتورهم أثناء مواقف الحشر والحساب واستلام الكتاب والميزان.. ولأن الوقت لا يزال طويلاً، والعبور على الصراط حرج جداً، فأول ما يكرم تعالى به عباده الفائزين من نعيم الجنة، هو هذا الحوض. وعلى حواف الحوض أكواب عددها أكثر من عدد نجوم السماء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً.. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده! لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب^(١) فيه ميزابان^(٢) من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة^(٣)، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»^(٤).

(١) يشخب: يسيل.

(٢) الميزاب: أنبوبة من الحديد تتدلى من سطح البيت لينصرف منها ماء المطر المتجمع.

(٣) أيلة: مدينة في جنوب فلسطين على البحر الأحمر، ولعلها قد تكون: إيلات.

(٤) مسلم (ج ٤/١٧٩٨) (ح ٥٩٨٨).

وسمي بالكوثر لأنه يتفرع من نهر الكوثر الذي يتفجر في أرض الجنة كما جاء في الحديث: «يشخب فيه ميزابان من الجنة». وروى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، أنيته عدد النجوم»^(١).

فالكوثر هو الخير الكثير كما جاء في القاموس المحيط، وبالمعنى الاصطلاحي - كما جاء في الحديث - هو نهر من أنهار الجنة، أما الحوض فهو فرع من فروع الكوثر الذي يتفرع منه ميزابان إلى أرض الموقف ليسمى حينها بالحوض.

وأكثر من سيرتوي من هذا الحوض هم المتوضئون والمتطهرون، وكل منهم حسب ميزان حسناته. . إذ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «واني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه! قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سبب ما ليست لأحد من الأمم، تردون علي غراً^(٢) محجلين^(٣) من أثر الوضوء»^(٤).

وعند الحوض يستطيع المرء التنقل والتحدث مع من يشاء، ولا يبحث المرء حينها إلا عن منفعة وعلى من يشفع له؛ ليخفف عن نفسه العذاب ومشقة السفر على الصراط ما استطاع. فهذا أنس بن مالك رضي الله

(١) مسلم (ج ١/٣٠٠) (ح ٨٩٤).

(٢) غراً: من الغرة؛ وهي بياض في الجبهة.

(٣) التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس.

(٤) مسلم (ج ١/٢١٧) (ح ٥٨١).

تعالى عنه يسأل النبي ﷺ أن يشفع له يوم القيامة، فقبل منه ذلك رسول الله ﷺ. . . كما جاء في حديث أخرجه الترمذي «عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: أنا فاعل. قال: قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فأني لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن»^(١).

وللأنصار عند الحوض نصيب ليس لغيرهم من الناس، فالنبي عليه الصلاة والسلام كما أنه لم ينس الأنصار في الحياة الدنيا فأكرمهم ووصى بهم من بعده، فكذلك لن ينساهم في الآخرة بعدما وعدهم أن يلقاهم عند الحوض وقد جاء في الحديث: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني، وموعدكم الحوض»^(٢).

وبعد هذا الحوض يبقى المشهد الأخير من مسلسل مواقف الدار الآخرة، ألا وهو العبور على الصراط^(٣).

-
- (١) الترمذي (ج ٤ / ٦٢١) (ح ٢٤٣٣) حديث حسن غريب. وقال الألباني: صحيح.
(٢) البخاري (ج ٣ / ٣٨١) (ح ٣٧٩٣).
(٣) اختلف العلماء في ترتيب مواقف يوم القيامة إذ رتبها البعض كالتالي: نفخة الصور الأولى (وقيام الساعة) - البعث (ونفخة الصور الثانية) - الحشر (الموقف) - الشفاعة - الحساب - تطاير الصحف - الميزان - الحوض - الصراط - وأخيراً إما الجنة، وإما النار. . . وقد كان هذا الترتيب يخالف الطرح الذي طرحه في الطبعة الأولى، ولا سيما عند الحوض وعند الحساب. فإن كان طرحي ذاك مصيباً فأسأله تعالى أن ينفع به الأمة، وأن يؤتيني الأجر مرتين. وإذا كنت مخطئاً فمن غير قصدٍ والله يعلم ما أسررنا وما أعلننا، وأسأله تعالى أن لا يؤاخذني بما نسيت وأخطأت، وأن يشملني برحمته التي سبقت غضبه.. ولذا عكفت في هذه الطبعة الجديدة والمنقحة على فعل بعض التغيير في تسلسل مواقف الدار الآخرة كي يوافق الطرح السابق. إلا أن الحوض فقد كان أقرب =

.....
= إلى ظني أنه بعد الشفاعة مباشرةً وذلك للمبررات التالية:

١ - إذا كان ترتيب الحوض بعد مواقف: الحشر، والحساب، واستلام الكتاب، والميزان، ولا يبقى إلا الصراط، ومن ثم دخول الجنة، فما لزوم الحوض حينها، إذا أصبح كل امرئ من أهل الجنة لم يبق أمامه إلا العبور فوق الصراط ومن ثم دخول الجنة.. في حين أن أهل الجنة كانوا أحوج ما يكونون إلى هذا الحوض خلال مواقف الحشر، والحساب، وتطهير الكتب، والميزان.. والله أعلم.

٢ - إن الحوض لا يستطيع أن يشرب من آتيته سوى المتطهرين والمتوضئين كما جاء في الحديث: «لكم سيماء ليست لأحد من الأمم، تردون علي غُرًا محجلين من أثر الوضوء». والناس بعد الحساب، والكتاب، والميزان، يكون كل امرئ منهم قد عرف نتيجته، وكذلك ملائكة الحوض، أصبحت تدرك تماماً من هم أهل الحوض ومن ليس كذلك. فما فائدة سيماء الوضوء إذاً؛ إذا أصبح كل امرئ بعد الميزان، وبعد الحساب، وبعد الكتاب يعرف نتيجته، فإن كان من أهل الجنة، فهو من أهل الحوض، وإن كان من أهل النار، فليس له أن يشرب منه.. والله أعلم.

٣ - حتى وإن كانت آراء السلف الصالح والتابعين ترجح بأن الحوض سيكون قبل الصراط وبعد الانتهاء من مواقف الحساب، والميزان، واستلام الكتاب، وما لم يكن هناك نص صريح يؤكد لنا هذا الأمر، فعلياً أن نتضرع إلى المولى عزّ وجلّ كي يغيثنا به قبل بدء الحساب، وأن نقر له ونعترف بأننا لا طاقة لنا على تحمل ثقل ذلك الموقف، ما لم يغيثنا ربنا جلّ جلاله بشيء من عنده كالحوض.. فنسأله تعالى أن يسقينا - وقبل بدء الحساب - من يد نبيه ﷺ شربةً من ماء الحوض كي لا نظماً بعدها أبداً. إنه جواد كريم.. وبالإجابة جدير.

الصراط

بعد أن يفرغ الناس من المواقف التي رأيناها يأتي الموقف الأخير من مواقف يوم القيامة وهو عبور الصراط، حيث يضرب جسر فوق جهنم - والعياذ بالله - هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، عليه كلاليب وخطاطيف وحسك في كل منها شويكة يقال لها: السعدان.. والناس من أهل الجنة مضطرون للعبور من فوقه، أما أصحاب النار وأهلها فأول ما تطأ قدم أحدهم طرف الصراط، فسيهوي في نار جهنم سبعين خريفاً حتى يصل قعرها!.

والصراط بضم الصاد: السيف الطويل. وبالكسر: الطريق. وهو دين الحق الذي دعا إليه جميع الأنبياء، وهو القرآن الكريم، ودين الإسلام، وهدى النبي محمد عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى في فاتحة الكتاب: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

فالصراط لغة: هو الطريق المستقيم. وبالمعنى الاصطلاحي: جسر ممدود على متن جهنم، منعوتٌ في كثير من الأحاديث الصحيحة، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم. قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض^(١) مَزَلَّةٌ^(٢)

(١) دحض: زلِق.

(٢) مَزَلَّةٌ: موضع الزلل.

فيه خطاطيف، وكلايب، وحسك^(١) تكون بنجد^(٢) فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب؛ فناج مسلم، ومخدوش^(٣) مرسل^(٤)، ومكدوس^(٥) في نار جهنم^(٦).

وروى أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «ولجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلايب وحسك يأخذون من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون: ربِّ سلم، ربِّ سلم»^(٧).

ووظيفة تلك الكلايب والحسك هي أن تخطف عن الصراط من شاء الله تعالى من العباد، ثم ترمي به إلى النار، وذلك حسب النتائج التي حصل عليها في المواقف السابقة.. فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم.. أعاذنا الله وإياكم منها. وأما السابقون الأولون، والعاملون المؤمنون، فيجتازون الصراط كلمح البصر، وكلمح البرق، ومنهم كالريح، ومنهم كالطير، وآخرون يزحفون على الركب..

وأكثر من ستزل قدماء عن الصراط النساء كما ذكر القرطبي في التذكرة عن ابن الجوزي، أن رسول الله ﷺ قال: «الزائون على الصراط كثير، وأكثر من يزل عنه النساء»^(٨).

(١) الحسك: نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل، ومنه حسك السعدان.

(٢) نجد: قسم من الجزيرة العربية ممتد ما بين الحجاز والعراق.

(٣) مخدوش: فيه خدش.

(٤) مرسل: مطلق.

(٥) مكدوس: من الكدس، وهو المجتمع من كل شيء.

(٦) مسلم (ج ١/١٦٩) (ح ٤٥٤).

(٧) أحمد (ج ٦/١١٠) (ح ٢٤٧٩٣) إسناده ضعيف.

(٨) التذكرة (ص ٣٠٤).

ويذكرنا هذا الحديث بحديث مر معنا آنفاً عند الحديث عن الدجال، والذي رواه أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «فيكون أكثر من يخرج إليه^(١) النساء»^(٢).

ويعدّ هذا الحديث بمثابة تعليل وتفسير للحديث السابق، إذ إنه لما كان أتباع الدجال جميعهم من أهل النار، ولما كان أكثرهم من النساء، فما من شك أن أكثر من ستزل قدماه من على الصراط إلى النار هنّ النساء أيضاً.

وقد تتساءل متسائلة: ما بال رسولكم تارة يجعلنا من أتباع الدجال، وتارة نكون عنده من أهل النار؟ وفي الرد عليها أقول:

رسول الله ﷺ إنّما يبلغ ما جاء به جبريل عن ربه عز وجل، وقد حدثنا عليه الصلاة والسلام بما رآه ليلة عرج به إلى السماء بعدما رأى النار فوجد أن النساء أكثر من فيها.. فهذا الصنف من النساء هن اللواتي يظلمن أنفسهن بإعراضهن عن أوامر الله وليس رسول الله ﷺ، ولهذا فالتبّي عليه الصلاة والسلام إنّما يندركن من ذلك ولم يكن ليحكم عليكن بالشقاء، أو دخول النار.

فضلاً عن أن التاريخ الإنساني لم يشهد رجلاً قط حافظ على كرامة وعفة النساء أكثر من رسول الله ﷺ. إذ كيف يمكن أن يكون هناك من هو أكثر رافةً بهنّ منه ﷺ وهو القائل: «حبّ إلي من الدنيا النساء والطيب»^(٣)، وهل من أحد أخوف عليهنّ منه ﷺ وهو القائل في حجة الوداع: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً.. ألا واستوصوا بالنساء خيراً»^(٤)..

هذا ولم يشمل حديث رسول الله ﷺ كل النساء، بل إن منكن - وهن

(١) أي: الدجال.

(٢) أحمد (ج ٢/٦٧) (ح ٥٣٥٣) إسناده ضعيف.

(٣) النسائي (ج ٧/٦١) (ح ٣٣٩١) حديث صحيح على شرط مسلم كما قال الحاكم في المستدرک.

(٤) الترمذي (ج ٣/٤٦٧) (ح ١١٦٣) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

كثراً أيضاً - من اقتدين بخديجة وفاطمة وعائشة وأمّهات المؤمنين. فأنى لنا نحن الرجال، وأمام أمثال هذا الصنف أن نصل إلى ما وصلنَ إليه من درجةٍ عند الله عز وجل، وهو الذي قضى بأن الجنة عند أقدامهنّ. فطوبى لمن كنّ من هذا الصنف وحسن مأب..

وردّاً على الفتاة المتسائلة والتي ألقت بمثل هذه التهم على رسول الله ﷺ أقول: إنك وبلا شك إما أن تكوني من المتبرجات، أو من السائحات الكاسيات بالرقائق والفيزونات، أو تكوني من العاريات اللواتي أظهرن قسطاً من أترابهن، وأشباراً فوق السيقان.. فتغرين قلوب الشباب، وتغوين أفئدة الرجال.. وصدق على لسانكن من قال:

إن هنتُ هان بعدي أخى وولدي وبنو إنسانٍ

ألا تستحيين بعد ذلك أن تطلبي دخول الجنة، فحريّ بك أن تطلبي دخول النار تكفيراً عن بلواك، لعل الله - يوم الحساب - أن يغفر لك شيئاً من خطاياك.. وأذكرك بالبيت المعروف لفظاً، والمنسوخ عقلاً عند أكثر من ويا للخيبة:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وأخيراً؛ وبعدما تزلّ أقدام كثيرة في النار عن الصراط، ويدخل كثير من أهل الجنة الجنة.. يأتي دور الشفاعات والكرامات، فيخرج من النار أقوام كثيرون ويؤذن لهم بدخول الجنة.. فمن هو آخر من سيخرج من النار، وآخر من سيدخل الجنة؟..



عند جهينة الخبز اليقين

بعدهما يطمئن الذين دخلوا الجنة على أنفسهم ويرون كل ذاك النعيم الذي ما كانوا يتوقعونه في حياتهم الدنيا، يأتي رسول الله ﷺ تحت العرش ليشفع شفاعته الثانية لمن بقي من أمته في النار، وربما كانت الشفاعة تلك هي الثالثة أو الرابعة. . . إذ إن الناس يوم القيامة كلما اشتد بهم الحال وطال عليهم الانتظار - سواءً أكان ذلك أثناء الموقف أم قبل الحساب أم بعد الصراط - أتوا رسول الله ﷺ ليشفع لهم عند الملك جل جلاله كي يفرّج عنهم. . . وكذلك الذين وصلوا الجنة من غير حساب ولا كتاب ولا ميزان، ينتظرون على أبوابها ريثما تفتح لهم فيطول عليهم الانتظار، فيأتون رسول الله ﷺ ليشفع لهم عند مالك الملك لكي يأذن لرسوله ﷺ بفتح باب الجنة والسماح لهم بالدخول إليها.

وأول ما يقوم به الذين دخلوا الجنة واطمأنوا على أنفسهم، هو مناقشة ربهم عز وجل لإخلاء سبيل إخوانهم الذين دخلوا النار، ولم تشملهم أي شفاعة بعد. فيستجيب لهم ربهم عز وجل ويُخرج من النار أناساً كثيرين أجسادهم سوداء متفحمة، ثم يؤمر بهم إلى نهر يسمى نهر الحياة فيلقون فيه، ثم يخرجون منه بعدما تكون أجسادهم قد صبغت بصبغة أهل الجنة، فيدخلونها. . . كما يروي لنا مسلم - وفي حديث شائقٍ طويل - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدّ مناقشة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة، لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم

صورهم على النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه. فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً». وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. «فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً، فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيُخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل؛ ألا ترونها تكون إلى الحجر، أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض. فقالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعى بالبادية! قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة، فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين. فيقول: لكم عندي أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا! أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(١).

ويستمر إلى ما شاء الله خروج أناس كثيرين من النار، حتى يخرج آخر رجل منها وهو آخر من سيدخل الجنة، ويروى أن اسمه جهينة (وقد قيل: هو من قبيلة

(١) مسلم (ج ١/١٦٩ - ١٧٠) (ح ٤٥٤).

جهينة). ولهذا - كما جاء في الأثر - فإن أهل الجنة يقولون: (عند جهينة الخبر اليقين)^(١)، إذ بخروجه من النار سيعلم أهلها أن لا أمل لأحدٍ بعده بالخروج منها، وبدخوله الجنة سيعلم أهل الجنة أن لا أمل لأحدٍ بعده في الدخول إليها، كما أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا، رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة. فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربِّ وجدتها ملأى. فيقول: اذهب فادخل الجنة. فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربِّ وجدتها ملأى. فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها.. فيقول: أتسخر مني وأنت الملك؟! فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»^(٢).

وفي رواية أخرى أخرجها أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل؛ فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتَسْقُفُهُ^(٣) النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي أنجاني منك، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين. فترفع له شجرة فيقول: أي ربِّ، أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها، فأشرب من مائها. فيقول له الله: يا ابن آدم، فلعلي إذا أعطيتكها سألتني غيرها. فيقول: لا يا رب. ويعاهده أن لا يسأله غيرها. قال: وربّه عز وجل يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي ربِّ، هذه فلاأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني

(١) فتح الباري (ج ١١/٤٥٩).

(٢) البخاري (ج ٥/٢٤٠) (ح ٦٥٧١).

(٣) تسقفه: لغة من صفق: أي ضربه ضرباً يسمع له صوت.

غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها. فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربّه عز وجل يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي ربّ، أدني من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى أي ربّ، هذه لا أسألك غيرها. فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها. فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربّه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي ربّ، أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني^(١) منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أي ربّ، أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟. فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني ممّ أضحك؟ فقالوا: ممّ تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقال: ألا تسألوني ممّ أضحك؟ فقالوا: ممّ تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك ربي حين قال: أتستهزئ مني، وأنت رب العالمين؟! فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قدير^(٢).

قصة جهينة هذه التي حدثنا عنها رسول الله ﷺ هي حكاية لم يسبق لها مثيل، لا في الأولين ولا في الآخرين، حكاية من قراءتها لا تمل فكلما قرأتها تشوقت لها مرة أخرى، فينتابك شعور بالفرح تارة، وبالضحك تارة أخرى، وبالدمع ثالثة، وشوق إلى اللقاء مع الملك الديان، في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.. فبآن واحد تنتابك كل تلك المشاعر فتزداد ثقةً بالله، و يقيناً بلقائه، وإنّ غداً لناظره قريب..

فإذا دخل جهينة الجنة، أغلقت أبواب الجحيم، وأغلقت أبواب

(١) ما يصريني: ما يمنعي.

(٢) أحمد (ج ١/ ٤١٠) (ح ٣٨٩٩).

الجنة، ليخلد في النار كل من بقي في النار، ويخلد في الجنة كل من دخل الجنة، ثم يكتب على أبواب جهنم خلود بلا موت، ويكتب على أبواب الجنة خلود بلا موت أيضاً.. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشربون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشربون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود بلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ . . . وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا»^(١).

فكيف هي تضاريس الحياة الجديدة في الجحيم؟ وما هي ألوان العذاب التي سيتعرض لها سكانها من الكفار والمنافقين؟ وكيف سيتأقلم أهل النعيم مع طبيعة الحياة الجديدة التي ستكون في الجنة؟

فإلى الباب الأخير من هذا الكتاب والذي أطلقت عليه تسمية، أرجو أن أكون قد وفقت فيها؛ لأنها خاتمة الكتاب وفيها ختام العباد.. فإلى عصر الخلود..



(١) البخاري (ج ٤ / ١٧٦٠) (ح ٤٧٣٠).

عصر الخلود

- الجحيم
- النعيم
- الحور العين
- هل عرفت أين المقر؟

الجحيم

لقد وصف النبي ﷺ الجنة لنا بأن فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.. وفي الجهة المقابلة فإن هذه الحال هي أيضاً ستتتاب أهل الجحيم غداً، إذ سيرون فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من الأهوال وألوان العذاب.. فما هي البداية في رحلة الشقاء الدائم هذه لمن أراد الاشتراك فيها؟ إذ الباب لا يزال مفتوحاً لمن أراد الحجز في هذه الرحلة الغيبية.. كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

أول ما يدخل أهل النار النار- وقبل بدء العذاب- سيؤمر بهم إلى حوض عند باب جهنم- والعياذ بالله- فيصبغون فيه صبغةً، ينسون بعدها كل نعيم ذاقوه في حياتهم الدنيا.. وبالمقابل فإن أهل الجنة أيضاً أول ما سيدخلون الجنة، سيؤمر بهم إلى حوض عند بابها فيصبغون فيه صبغةً، ينسون بعدها كل بؤس مر عليهم في حياتهم الدنيا.. فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغةً ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأهل الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»^(١).

(١) مسلم (ج ٤/٢١٦٢) (ح ٧٠٨٨).

فهذه هي البداية إذا؛ غمسة في النار تنسي أهلها كل نعيم رأوه في الدنيا، وتريهم كم هي رخيصة متعتها وزائلة.. فما هي أوصاف هذه النار التي أعدت لتكون مستقراً لهم بعد هذه الغمسة؟

النار - كما يقول بعض المفسرين - هي سبع دركات: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، وآخرها الهاوية - أجازنا الله وإياكم منها - . أما لونها فسوداء مظلمة، بعدما كانت حمراء مدة ألف عام، ثم بيضاء ألف عام أخرى، ثم أسجر من تحتها ألف عام حتى اسودت . . . فقد ورد في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة»^(١).

أما قعرها؛ فسبعون خريفاً، لِمَا ورد أيضاً في حديثٍ أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة»^(٢) فقال النبي ﷺ: أتدرون ما هذا؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار، الآن حتى انتهى إلى قعرها»^(٣).

وجهنم فيها من التضاريس الطبيعية والسلاسل الجبلية، ما تشيب له الولدان، إذ فيها وادي الويل وجبل الصعود، وهو جبل من نار يصعد فيه الكافر ثم يهوى به إلى قعر الويل، ليجد فيه ما لا عين رأت من القساورة والزواحف، وألوان كثيرة من العذاب تقشعر لوصفها الأبدان . . فكيف إذا هو حال من سيستقر فيها؟! إذ روى أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل: وادٍ في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين

(١) الترمذي (ج ٤ / ٧١٠) (ح ٢٥٩١) قال الترمذي: حديث أبي هريرة في هذا موقف أصح. والألباني قال: ضعيف.

(٢) وجبة: سقطة.

(٣) مسلم (ج ٤ / ٢١٨٤) (ح ٧١٦٧).

خريفاً قبل أن يبلغ قعره. والصَّعود: جبلٌ من نار، يصعد فيه سبعين خريفاً، يهوي به كذلك فيه أبدأ»^(١).

أما وادي الحزن، وما أدراكم ما وادي الحزن؟ إنه وادٍ في جهنم، وكأنه ليس من جهنم!! بل إن جهنم لتصوّح وتصهد به في كل يوم مئة مرة!! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من جبّ الحزن! قالوا: يا رسول الله، وما جبّ الحزن؟ قال: وادٍ في جهنم، تتعوذ منه جهنم كل يوم مئة مرة»^(٢).

وفي ذاك الوادي جبّ تصوّح وتصهد به جهنم وذاك الوادي، في كل يوم سبع مرات!! وفي ذاك الجب حيةٌ توعدك، وتصخذ بها جهنم والوادي، وذاك الجب، في كل يوم سبع مرات!! كما ذكر القرطبي في التذكرة، والذهبي في السير عن النبي ﷺ قال: «إن في جهنم لوادياً، إن جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادي في كل يوم سبع مرات، وإن في ذلك الوادي لجباً؛ إن جهنم وذلك الوادي، ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب، وإن في الجب لحية إن جهنم والوادي وذلك الجب، ليتعوذون بالله من شر تلك الحية»^(٣).

أوهامٌ! وأضغاث أحلام هو ذاك أم حقيقة؟! . . هكذا ربما يتساءل بعض المرتابين والمتشككين، والذين لا يدينون إلا بما يرون ويُحسون، فنقول لهم كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾^(٤) ولكن انتظروا - ونحن معكم من المنتظرين - يوماً قال عنه الله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ

(١) أحمد (ج ٣/٧٥) (ح ١١٧١٢) إسناده ضعيف.

(٢) الترمذي (ج ٤/٥٩٣) (ح ٢٣٨٣) حديث ضعيف.

(٣) الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/٣٤٥)، وفي شعب الإيمان للبيهقي (٢/٣٠٩) (ح ١٩٠٠).

(٤) [الذاريات: ٢٣].

هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الطور: ١١ - ١٦].

وكما أن الجنة تشتاق إلى أهلها، أفلا تغار منها جهنم وتشتاق لزوارها
أيضاً؟.. بلى! وإنما لتطلب المزيد كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ
أَمْتَلَاتِ وَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

ويشتد غيظ الكافرين حينما يناديهم أهل الجنة - فرحين مسرورين بما
وجدوا عند ربهم، ومستهزئين بأولئك الكفار -: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا
حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ فلا يجدون حينها إجابة إلا أن يقولوا
كما قال تعالى عنهم: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾. وعندها يؤذن بينهم مؤذن: ﴿أَنْ لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

ومن فيح جهنم وشدة العذاب، سيتوسل سكان أهل النار إلى أهل
الجنة؛ ليسكبوا عليهم ولو قطرات معدودات من الماء، عسى ولعل أن
يخفف عنهم ذلك حرارة المكان، كما قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ
أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فيأتيهم الرد كما
قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ كُنَّا نَرَى اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
لَهُوَ وَلِعْبًا وَعَزَّوْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا
وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥٠ - ٥١].

وبعدما يكون أصحاب النار قد يشسوا من أهل الجنة من أن يقدموا لهم يد
العون والمساعدة، يتوجهون بتوسلهم هذا إلى الخزنة؛ ليتوسطوا لهم عند
ربهم كي يخفف عنهم ولو كان يوماً واحداً من العذاب: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ
لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩].

فيرد عليهم الخزنة: ﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا
بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠].

فلما يشسوا من عون أهل الجنة والخبزنة ينادون رئيس الخزنة واسمه

مالك، فيقولون كما قال تعالى: ﴿وَأَدَاؤُا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ وذلك لشدة العذاب الذي هم فيه. فيجيبهم خازن النار بقوله: ﴿إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ﴾ [الزخرف: ٧٧].

حينها ييأس الكافرون من الخزنة وأهل الجنة من أن يقدموا لهم يد العون والمساعدة وهم في هذا العذاب المستمر، فيتوجهون بتوسلهم هذا إلى مالك الملك كي يعيدهم إلى الدنيا فيؤمنوا به من جديد.. ولكن هيهات هيهات أن يؤمنوا وقد كانوا كلما دُعوا إلى الحق: ﴿جَعَلُوا أَصْدِعَهُمْ فِي آءَادَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]..

ولهذا يرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٢٨].

وهنا يبدأ الحوار بين أهل النار ورب العزة جل جلاله، كما يحكي لنا البيهقي أن لأهل النار خمس دعوات، يجيبهم الله في أربع فإذا كانت الخامسة لا يتكلمون بعدها أبداً:

يقولون في الأولى: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

فلا يستجيب تعالى لدعواهم تلك، ويذكرهم بالجرم الأول: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَدُّونَ فَلْيُكْفِرْ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

فلا يستجيب تعالى أيضاً لدعواهم تلك، وذلك لتجاهلهم ذكر ربهم واستكبارهم عن عبادته، فيرد عليهم بقوله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا

سَيِّئِكُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[السجدة: ١٤].

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَسْمِعِ الرَّسُلَ﴾
[إبراهيم: ٤٤].

فيرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِن قَبْلِ مَا
لَكُمْ مِن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾
[فاطر: ٣٧].

وفي الرابعة كذلك لا يستجيب الله تعالى لدعواهم تلك، ويذكرهم
بالجرم الرابع والأخير: ﴿أَوْلَمْ نَعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ
الْذِّكْرُ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

حتى إذا كانت دعوتهم الخامسة والأخيرة، اعترفوا بضلالهم
واستكبارهم عن عبادته عز وجل، ويقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا
وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾
[المؤمنون: ١٠٦ - ١٠٧].

فيجيبهم مالك الملك: ﴿أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّن
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ
سَخِرَاتًا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا
أَنَّهُمْ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨ - ١١١].

بعدها لا يتكلم أهل النار أبداً أبداً، وهم في هذا العذاب ماكثون.

وأخيراً؛ فإن ما تم ذكره عن جهنم وألوان العذاب التي فيها، لهو لمحة
سريعة عما قيل عنها، إلا أنني ولضيق المجال حاولت الاختصار قدر
المستطاع.. وإن في ذلك لعبرة لمن يخشى.

النعيم

النعيم: اسم من أسماء الجنة السبع، وهي: الجنة، والنعيم، وعدن، والفردوس، والمأوى، والغرفة، والخلد.. وعن ابن عباس قال: الجنان سبع: دار الجلال، ودار السلام، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم.

والجنة بمعناها اللغوي: هي الحديقة ذات النخل والشجر، ونقول: نخلة مجنونة، أي: طويلة، وذات أغصانٍ وثمر.

أما الجنة بمعناها الاصطلاحي: فهي دار المؤمنين التي أعدها الله عز وجل لعباده العاملين في الحياة الدنيا، خالدين فيها في الحياة الآخرة.. وقد تكرر وصف الجنة في القرآن الكريم بألوان مختلفة، كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٧﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاتِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ ولَدَانٌ مُّخْلَدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَبِيبَتُهُمْ لَوْلُؤُهُمْ مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ يَابُوسٌ سُدُسٌ حُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِّن فِضَّةٍ وَسَقَنُهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْجَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ [الإنسان: ١٢-٢٢].

وفي سورة الرحمن والتي هي عروس القرآن، أعد الله فيها للمتقين خير الجزاء: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَإِنِّي ءَأْتِي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَإِنِّي ءَأْتِي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَإِنِّي ءَأْتِي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾

فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّيْنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٦٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَالْمَرْجَانُ ﴿٦٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٧٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٧٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨١﴾ نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٢﴾ [الرحمن : ٤٦ - ٧٨].

وعن ابن الجوزي عن جرير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أخذ عوداً ذات مرة بيده، وقال له: «يا جرير، لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده»، قال: فقلت: فأين النخل والشجر؟ قال: (أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاها الثمر)^(١).

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»^(٢).

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد: ١٥].

والجنة كما لها أقسام، فلها أبواب ودرجات أيضاً يرتقي بها العبد عند ربه، فإن كان من المصلين، دخل من باب الصلاة فيه من الأجر والثواب ما لا يوجد

(١) أبو نعيم في الحلية (٢٠٢/١) حديث صحيح.

(٢) الترمذي (ج ٤/٦٧١) (ح ٢٥٢٥) حديث حسن غريب.

في غيره من الأبواب ، وإن كان من الصائمين دخل من باب الريان ، وهكذا فلجنة ثمانية أبواب وللمؤمن أن يدخلها من الأبواب الثمانية إذا أدى حقها . أما حفظة القرآن فيقال لكل واحد منهم : «اقرأ ، وارتق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(١) . وللمجاهدين في سبيل الله مئة درجة أيضاً ، ما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض . فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن في الجنة مئة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ؛ ما بين الدرجتين ، كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله ، فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، أراه فوقه عرش الرحمن ، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة»^(٢) .

أما بناؤها فهو عبارة عن حجارة مرصعة من الذهب والفضة ، يتخللها طين يفوح منه رائحة من المسك الأذفر ، وأما حصباؤها فالدرّ والياقوت ، وتربتها الزعفران .. من دخلها خلد فيها فلا يبأس ولا يحزن ولا يفنى شبابه .. إذ روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «قلنا : الجنة ما بناؤها؟ قال : لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها^(٣) المسك الأذفر^(٤) ، وحصباؤها^(٥) اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران . من يدخلها ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم»^(٦) .

ويدخل أهل الجنة الجنة على صورة القمر ليلة البدر وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً ، فلا يتباغضون ولا يتحاسدون ، وأزواجهم الحور العين ،

(١) أبو داود (ج ٢/٧٣) (ح ١٤٦٤) صحيح لغيره .

(٢) البخاري (ج ٣/١٠٢٨) (ح ٢٧٩٠) .

(٣) الملاط : طين يجعل بين كل لبنتين في البناء .

(٤) المسك الأذفر : الجيد للغاية .

(٥) الحصباء : صغار الحجارة .

(٦) الترمذي (ج ٤/٦٧٢) (ح ٢٥٢٦) قال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بذلك القوي ،

ليس هو عندي بمتصل ، وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي هريرة . وقال

الألباني : صحيح .

وأمشاطهم وأكوابهم من الذهب والفضة، لا يبصقون ولا يتغوطون ولا يتبولون، وإنما يتعرقون عرقاً يفوح منه رائحة المسك. . كما أخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد ضوء كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتقلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم^(١) المسك، ومجامرهم^(٢) الألوة^(٣)»، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، في طول ستين ذراعاً^(٤).

«وعن جابر بن عبد الله: قيل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ قال: لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها»^(٥).

فلا نوم ولا موت ولا سقم ولا بؤس ولا فاقة، وإنما شباب وصحة ونعيم وخلود.. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما: «ينادي مناد؛ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»^(٦).

كل هذا النعيم والجليل جل جلاله يعدنا بالمزيد في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٢٤﴾ لَكُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٥﴾﴾ [ق: ٣٤ - ٣٥].

فما هو هذا المزيد الذي أخفاه عنا في الدنيا، ليدهشنا به الكريم جل ثناؤه في الآخرة؟ وماذا يا ترى بعد كل هذا النعيم؟.. يقول النبي عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه:

(١) رشحهم: كل ما يرشح من العرق.

(٢) مجامر: جمع مجمر، وهو ما يوضع فيه الجمر من البخور.

(٣) الألوة: عود يتبخر به.

(٤) مسند أحمد (ج ٢/٢٣١) (ح ٧١٦٥).

(٥) الطبراني في الأوسط (١/٢٨٢) حديث صحيح.

(٦) مسلم (ج ٤/٢١٨٢) (ح ٧١٥٧).

«يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(١).

وأخيراً؛ فلتعلم أخي المسلم أن الجنة حقت بالمكارة، فلا ينام طالبها، ولا يمل راغبها، وها هو الرسول عليه الصلاة والسلام يستنهض الهمم ويثير العزائم لدى طلابها والراغبين فيها، فيحرض المؤمنين على بذل المزيد ومضاعفة الجهد؛ ليضاعف لهم الأجر والثواب في جنة الخلد ودار العاملين.. فعن كريب مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد رضي الله عنهم، أن النبي ﷺ قال: «ألا مشمّر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي وربُّ الكعبة نورٌ يتلأأ، وريحانة»^(٢) تهتز، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مُطرِدٌ»^(٣)، وفاكهةٌ كثيرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءٌ جميلةٌ، وحُلٌّ كثيرةٌ في مقامٍ أبداً، في حَبْرَةٍ»^(٤) ونَضْرَةٍ في دورٍ عاليةٍ سليمةٍ بهيةٍ. قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله»^(٥).

فالمهر غالٍ لمن يطلبها.. فإن شئت ذاك فأدّ الثمن.. فما الثمن يا ترى؟

هل الثمن هو ترك الصلاة؟ أم هجر بيوت الله، وهجر قراءة القرآن؟ أم بعقوق الوالدين وإيذاء الجار؟ أم بالتبرج والسفور أيتها النساء؟ أم بالغش والرشوة وأكل الربا أيها الرجال؟ أم بالغيبة والنميمة؟ أم بالكذب واللعن والشتيمة؟ أم بأكل حقوق الناس بالباطل؟ أم بحكم الجاهلية بدلاً من كتاب الله؟ أم بالاقتصار على المفاوضات والسياسة، وترك الجهاد؟..

(١) الترمذي (ج ٥/٣٤٦) (ح ٣٢٩٢) حديث حسن صحيح.

(٢) ريحانة: مؤنث من ريحان؛ وهو كل نبت طيب الرائحة.

(٣) مُطرِدٌ: يجري باستقامة.

(٤) حَبْرَةٍ: الابتهاج والنضارة.

(٥) ابن ماجه (ج ٢/١٤٤٨) (ح ٤٣٣٢). قال البوصيري في الزوائد: في إسناده مقال. وقال

الألباني: ضعيف.

الحوور العين

كثيراً ما يعتقد العامة أن الله تبارك وتعالى قد خصّ رجال أهل الجنة بمتعة الحور العين، دون أن يخصص للنساء ما يقابلها من متع الجنة. . ولهذا أفرد للحوور العين فصلاً خاصاً بهنّ، وذلك أيضاً لوفور الأحاديث النبوية التي رويت فيهنّ، ولكون متعتهن من أهم متع الجنة، إلا أنها ليست أقواها بعدما كانت متعة النساء هي أقوى متع الحياة الدنيا. كما أن متعة الحور العين تتميز عما سواها من متع الجنة بفارقٍ رئيس، هو أن نعيم الجنة ليس عليه ضوابط أو قيود - كما هو الحال في الحياة الدنيا - إلا نعيم الحور العين!. فما هنّ الحور العين؟

نقول: الحوراء: هي البيضاء شديدة البياض. والعيناء: عظيمة العينين. ولهذا فإن حور الجنة من أهم أوصافهن الخَلقية: البَيَّاض، وسعة العينين. . كما ورد في حديثٍ أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة، ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلّة، حتى يرى مَخَّها»^(١)، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر، لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته، لأرَبته من ورائه»^(٢).

أما قولنا بأن نعيم الجنة ليس عليه قيدٌ أو شرطٌ إلا نعيم الحور العين، فذلك لأن الخمر مثلاً كانت حراماً في الدنيا وصارت حلالاً في الآخرة،

(١) مَخَّها: نقي العظم والدماغ.

(٢) الترمذي (ج ٤/٦٧٦) (ح ٢٥٣٣) إسناده ضعيف.

ودون قيدٍ أو شرطٍ . . وكذلك الطعام، والشراب، واللباس، والزينة.. أما حور الجنة فإنهن مقصورات الطرف، لا يرين ولا يُنكحن إلا من قبل أزواجهن، أو من يرغب في طمث إحداهن للمرة الأولى^(١) . . كما قال تعالى: ﴿ فِيهنَّ قَصِرَتُ الطَّرْفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٥٦].

ومما قيل في وصف الحور العين ما جاء عن ابن وهب، عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها، لأطفأ نور سوارها نور الشمس والقمر^(٢).

وقال أبو هريرة: إن في الجنة حوراء يقال لها: (العيناء) إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها، أو عن يسارها كذلك، وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟^(٣).

وعن ابن عباس قال: إن في الجنة حوراء يقال لها: (لعبة) لو بزقت في ماء البحر لعذب ماء البحر كله، مكتوب على نحرها: من أحب أن يكون له مثلي، فليعمل بطاعة ربي عز وجل^(٤).

وهذا رجل يقول لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شوّقنا، قال: يا عطاء! إن في الجنة حوراء يتباهى بها أهل الجنة من حسننها، لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا، لماتوا على آخرهم من حسننها. فلم يزل عطاء كمداً^(٥) من قول مالك أربعين يوماً^(٦).

ويروى عن أحدهم عن أبيه، أنه قال: كان أبي من القوامين لله في سواد

(١) لأن في الجنة - كما سنلفي لاحقاً - معرض للحور العين، لم يطمئن أحد من إنسٍ ولا جانٍ ولنس من أزواجٍ أحدٍ بعد، حتى إذا ما رغب أحدٌ من رجال أهل الجنة في طمث إحداهن، فتصبح بعد الطمث من أزواجه.

(٢) (٣) (٤) التذكرة (ج ٢/٤١٨ - ٤١٩).

(٥) كمداً: حزناً شديداً.

(٦) التذكرة (ج ٢/٤١٩).

الليل، فقال: رأيت ذات ليلة في منامي امرأة لا تشبه النساء، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: حوراء أمة الله. فقلت لها: زوجيني نفسك. فقالت: اخطبني من عند ربي وأمهرني! فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد.

فأنشد الشاعر قائلاً:

يا خاطبَ الحور في خدرها وطالباً ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانياً وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم وحالف الوحدة في ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه وصم نهاراً فهو من مهرها

وروى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيلٌ يوشك أن يفارقك إلينا»^(١).

فإذا فارق الرجل زوجته التي كانت من نصيبه في الحياة الدنيا، إلى زوجته التي ما تزال بانتظاره من حور الجنة، فما هو مصير الزوجة الأولى؟.. فربما كانت من الصابرات عليه وعلى حدته وسوء خلقه معها.. فهل العدالة الإلهية تقضي بأن يحظى هو بمن يشاء من الحور العين، وتبقى هي وحيدة أرملة في الجنة؟

سألت أم حبيبة - زوج النبي ﷺ - رسول الله ﷺ: يا رسول الله، المرأة يكون لها زوجان في الدنيا ثم يموتون ويجتمعون في الجنة، لأيهما تكون، للأول، أو للآخر؟ قال: «لأحسنهما خلقاً كان معها يا أم حبيبة»^(٢).

وفي الجنة معرض للصور من الرجال والنساء، فإذا أحب الرجل صورة من صور الرجال، دخل في الصورة فيقلب شكله كذلك، وكذلك النساء

(١) الترمذي (ج ٣/٤٧٦) (ح ١١٧٤) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الألباني: صحيح.

(٢) الطبراني في الكبير (ج ٢٣/٢٢٢). والعقيلي في الضعفاء (ج ٢/١٧١).

من أحببت صورة امرأة دخلت فيها، فيصبح شكلها مطابقاً للصورة.. وأيضاً هناك معرضٌ للحوار العين، كأجمل ما يكن من حوار الجنة، يعزفن وينشدن بأعذب أصوات يسمعونها أهل الجنة، ويقلن: طوبى لمن كان لنا وكنا له.. كما ورد في حديثٍ أخرجه أحمد في مسنده عن عليّ كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة سوقاً، ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من النساء والرجال؛ فإذا انتهى الرجل صورة دخل فيها، وإن فيها لمجمعاً للحوار العين، يرفعن أصواتاً لم يز الخلائق مثلها؛ يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن الناعمات فلا نبؤس، فطوبى لمن كان لنا وكنا له»^(١).

قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: إن الحوار العين إذا قلن هذه المقالة: (نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن الناعمات فلا نبؤس) أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات، وما تصدقتن، ثم قالت: فغلبنهن^(٢).

ولئن كان تعدد الزوجات مباحاً في الدنيا، فالجنة أولى من الحياة الدنيا بالتعدد.. ولئن كان سقف حوار الدنيا أربعة - وقلّ من تجاوز الواحدة - فإن سقف حوار الجنة أدناه اثنتان وسبعون حوراء وعيناء وحسناء، وأقصاه لا يعلمه إلا الله.. كما أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد^(٣) وياقوت، كما بين الجابية إلى صنعاء»^(٤).

(١) أحمد (ج ١/١٥٦) (ح ١٣٤٣) إسناده ضعيف.

(٢) التذكرة (ص ٤٣٨).

(٣) الزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرد وهو ذو ألوان كثيرة.

(٤) الترمذي (ج ٤/٦٩٥) (ح ٢٥٦٢) حديث ضعيف، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

وربما متسائل يتساءل: كيف يكون للرجل الواحد من أهل الجنة سبعون حورية أو يزيد، وهو لا يقوى على الجماع مع بضعة نساء من نساء الدنيا؟ يجيبنا عن هذا التساؤل حديث رواه الدارمي في سننه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوّة مئة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة! فقال رجل من اليهود: إن الذي يأكل ويشرب تكون منه الحاجة! قال: يفيض من جلده عرق، فإذا بطنه قد ضمّر^(١)»^(٢).

ولأولئك الذين ما برحوا يطعنون في أحاديث المصطفى ﷺ، بالاستهزاء بها تارة وبالتشكيك فيها تارة أخرى، وخصوصاً بعدما يقرأ أحدهم ما جاء فيه وصف الحور العين وذاك النعيم الذي سيحظى به أهل الجنة.. إذ ربما يهزأ منها ويقول: كيف يمكن أن يكون للرجل الواحد من أهل الجنة المئات من القصور، والمئات من الحور، والمئات من الولدان المخلدين.. إلخ؛ فأبي مكان سيتسع لهذا كله؟

وفي الرد على هذا التساؤل أقول: يقول تعالى في كتابه العزيز:
﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فإذا كان عرضها كذلك؛ فكم سيكون طولها إذا؟! وإذا كان علماء الفلك قد توصلوا اليوم بأجهزتهم التقنية، ومراصدهم الإلكترونية إلى أنه وللوصول إلى آخر تجمّع مجري تمّ رصده حتى الآن - ولا أحد يعلم كم سعة هذا الكون بعد الذي وصل إليه العلماء - نحتاج إلى مدة زمنية تقدر بسبعمئة مليار سنة ضوئية، وبمركبة فضائية تسير بسرعة الضوء (٣٠٠٠٠٠٠ كم/ثا)، مع العلم أن السنة الضوئية الواحدة تعادل (٩,٤٦٠,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠) سنة، من سنواتنا الدنيا!!!

ألا يتسع هذا الكون إذاً، لأن يكون فيه لكل رجل من أهل الجنة

(١) انكمش، وانضم بعضه إلى بعض.

(٢) الدارمي (ج ٢/٤٣١) (ح ٢٨٢٥) حديث صحيح.

سبعون حائطاً، وفي كل حائط سبعون قصراً، وفي كل قصر سبعون حجرة، وفي كل حجرة سبعون وصيفة، ومع كل سبعين وصيفة حوراء، وعيناء، وحسنااء!

فيا أيها العبقري المنتطح: لو كنا في عصر ما قبل عصر الفضاء - حينما كان الناس لا يعرفون شيئاً عن هذا الكون، إلا الأرض التي يعيشون فيها، وأن الشمس والقمر والنجوم ما هي إلا حدود الكون - لكننا يوماً قد نعذر استغرابك من أحاديث المصطفى ﷺ . . . وصدق الله تعالى القائل في كتابه: ﴿لَذَكَّرَ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩].

ولعل الأخ المنتطح - سواء كان جاداً، أو مستهزئاً - يتساءل أيضاً: إذاً من أين لربكم أن يأتي بكل هذا الكم من الجنان، والهور، والقصور.. إلخ بعدما صدقنا بأن هذا الكون يتسع لأكثر مما وعدكم به ربكم؟

أما نحن فنأى بأنفسنا عن السخرية ونردّ عليه بجديّة؛ لأن السخرية هي مؤشر إفلاس المرء حينما ينتفي لديه الردّ بالحجة والمنطق، ونقول: إن الذي أيقن بأن هذا الكون هو من صنع الخالق جلّت قدرته، لا يستغرب أن يكون خالق هذا الكون ومبدعه قادراً على أن يخلق ما وعد به عباده من جنانٍ وهورٍ وقصور.. بأعدادٍ لا متناهية.

وأضرب لك هذا المثال: في البدايات من عصر التكنولوجيا كان هناك مصنع واحد لصناعة السيارات، ولا يستطيع هذا المصنع أن ينتج أكثر من سيارة واحدة في أقل من أسبوع. أما الآن فقد أصبح في دول العالم العشرات من المصانع، وكل منها ينتج من السيارات - بما فيها من الحداثة والفخامة - ما لم يكن الإنسان يتخيله من قبل، وفي اليوم الواحد أصبح كل مصنع منها ينتج عشرات السيارات! حتى غدت بعض الشركات تخفض كمية الإنتاج خشية الكساد.

فيا رفيقي العبقري: إذا كان هذا الكون من صنع الله جلّت قدرته، وإذا كانت الآلة والوسيلة لدى الخالق التي يصنع بها ما يشاء هي كلمة (كن)؛

فيكون. فهل يعجز هذا الخالق على أن يخلق أشياء كالبحور والقصور، والجنان.. بأعداد لا متناهية؟!.

غير أنك أخي المتسائل عليك أيضاً أن تعلم: كما أننا لم نذكر لك من ألوان العذاب التي في جهنم إلا القليل القليل، فإننا كذلك لم نذكر لك ما قيل عن الحور العين إلا أقل من القليل. فهناك من الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ ما لو تحدثنا أمامك بها؛ لكانت ساحة لك ولأمثالك في أن يهزؤوا ويسخروا منها أكثر من هذه، إلا أنه وكما يقول الإمام علي كرم الله وجهه: «حدّثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!»^(١).

وكما قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر، فلو بثته قطع هذا البلعوم»^(٢).

وأخيراً وليس آخراً، فكثيراً ما نسمع من النساء خاصةً ومن الناس عامةً: أنتم أيها الرجال! قد أغراكم ربكم بالبحور العين، فماذا أعد الله لنا - نحن النساء - عوضاً عن الحور العين؟

لقد أجاب عن هذا التساؤل، وأجاد في إجابته فضيلة العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، حينما ضرب لنا هذا المثال، فقال: لو كان لأحدكم شاب وشابة وكلاهما تقدما لنيل شهادة الدبلوم أو الماجستير في إحدى الكليات، فما من شك أنه قد يقول لولده: إذا نلت الشهادة بتفوق أو امتياز، سأزوجك من أجمل فتيات الحي أو ممن تحب. فهل يُعقل لهذا الأب أن يقول لابنته: إذا نلت الشهادة بتفوق أو امتياز، سأزوجك من أجمل شباب الحي أو ممن تحبين؟..

خلق الله تعالى المرأة وسيجها بالحياء، وخلق الله الرجل وأمدّه

(١) البخاري (ج ١/٥٩) (ح ١٢٧).

(٢) البخاري (ج ١/٥٦) (ح ١٢٠).

بالجراحة والإقدام، فكان هو الذي يبحث عنها وهي لا تزال بكرًا في
خدرها ..

والنتيجة في المآل واحدة، فلا متعة للرجل بلا زوجة، ولا متعة للمرأة
بلا زوج يحصنها.

ولذا يقول تعالى للرجال وللنساء على حد سواء، ودون أن يفرق بين
الذكر والأنثى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].



هل عرفت أين المقر؟

خُلِقَ الإنسان من عجل.. وانقضت الحياة الدنيا كساعة من نهار.. ونفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا هم يتساءلون.. وقضي بين الناس بالحق.. وغلقت أبواب الجنة.. وغلقت أبواب الجحيم.. فذاك مقر أهل الجنة.. وذاك مقر أهل الجحيم.. ونودي بأهل الجنة: أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون.. فطوبى لكم وحسن مآب.. ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم، ولهم فيها ما يدعون.. وتبقى الهدية والمفاجأة الكبرى لأهل النعيم: النظر إلى وجه ربهم الكريم!..

أخرج مسلم في صحيحه عن صهيب بن سنان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيضّ وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟! قال: فيكشف الحجاب؛ فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»^(١).

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: يقول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة بعدما يريهم وجهه الكريم: «يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك! فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٢).

(١) مسلم (ج ١/١٦٣) (ح ٤٤٩).

(٢) البخاري (ج ٥/٢٣٩٨) (ح ٦٥٤٩).

ورؤية الله جل جلاله ستكون في جنة عدن، وذلك بعدما يكون كل امرئ من أهل الجنة قد عرف مكانه، ويبقون في ذاك النعيم وقتاً طويلاً إلى ما شاء الله . . يدعو تبارك وتعالى أهل الجنة إلى المائدة الإلهية، فيرسل الملائكة إلى بيوت المؤمنين تقول لهم: إن ربكم يدعوكم إلى مائدته، فيتوجه الناس والملائكة تدلهم إلى مكان مرتفع (تل من المسك الأذفر) ليجلس عليه الناس، وتنصب المنابر فيجلس عليها الأنبياء والمرسلون، وعلى رأسها منبر أعلى يجلس عليه رسول الله ﷺ، ثم ورثة الأنبياء - وهم العلماء^(١) - على الأسرة، ثم العارفون بالله على الكراسي، ثم المؤمنون المقلدون على تلال المسك.

بعدها يؤمر بالموائد فتنصب بين أيديهم، وهي موائد اختصاص ما رأوا مثلها قط، ولا تخيلوها لا في حياتهم الدنيا ولا في جنتهم. فإذا فرغوا من الطعام والشراب جاء ملك لكل منهم بخلعة فيلبسونهم إياها، فإذا فرغوا من ذلك يؤمر رسول الله ﷺ أن يقرأ بصوته الشريف سورة (يس). وبعدما ينتهي من القراءة ينير عليهم نور شديد فيخرون سجداً، وإذا بصوت يناديهم: ارفعوا رؤوسكم، ليس ربكم بعد.

ثم يأتيهم ملك يسبق ربهم ويناديهم: تأهبوا لرؤية ربكم! . فيتأهبون ويهيئون أنفسهم للرؤيا، فيتجلى الحق بينه وبين الخلق ثلاثة حجب: (حجاب العزة، وحجاب الكبرياء، وحجاب العظمة). ثم يقول الله تبارك وتعالى لملائكته: ارفعوا الحجب بيني وبين عبادي حتى يروني. فترفع الحجب فيتجلى الحق من خلف حجاب واحد؛ هو حجاب اسمه (الجميل اللطيف)، ويصدر نور من رب العزة فيصيرون جميعهم نوراً! . . ثم يروي لنا الإمام علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ؛ أن ربنا الأعز الأعلى، وبعد رفع الحجب عن وجهه يقول لأهل الجنة:

(١) العلماء: هم أعلى درجات العارفون بالله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وقول النبي ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء».

(١)

(١) قبل الانتهاء من إعداد الطبعة الأولى بذلت من الجهد بما قد يكون الحد الأدنى لكي أتحقق من مصدر تلك الرواية التي تذكر رؤية الباري عز وجل في جنة عدن، كما سمعتها من فضيلة الشيخ أحمد بدر الدين حسون -مفتي حلب- والتي كان يرددها في أكثر من مناسبة في دروسه التي كان يلقيها في حلب الشهباء . ونظراً لطرحي آنذاك الكتاب على عجل، لم أتمكن من التحقق من تلك الرواية، وفي الوقت نفسه لم أشأ حذفها نظراً لأهميتها التي تصور مشهداً جليلاً وسعيداً لأهل الجنة، ولكون هذه الرواية -حينما سمعتها للوهلة الأولى- كانت السبب الذي أدى إلى التحول والانقلاب الاجتماعي والسلوكي في نفسي . وبالتالي لأضع نصب عيني هدفاً أسمى وأجل بكثير من زيف حطام الدنيا، ألا وهو كيفية الوصول بأدنى طريق إلى جنة عدن . وبالتالي عسى أن تكون تلك الرواية -وقراءتها- سبباً في صحوة وإيقاظ همم وعزائم المثات، بل الآلاف من أولئك الشباب المسلم الذين استهوتهم وأسرتهم مظاهر الحضارة الغربية الزائفة، بما تغزونا به من وسائل كي تلهي بها شبابنا وشاباتنا الطاهر . ولذا أبقيت -في الطبعة الأولى- على تلك الأحاديث من دون ذكر المرجع الأساسي لها، أما الآن ومع قرب انتهائي من إعداد هذه الطبعة المزيدة والمنقحة، فيؤسفني أيضاً أنني لم أعثر على المراجع الأساسية لها، علماً بأنني بذلت بما قد يكون -وحسب =

بعد هذا النداء ينظرون إلى وجهه تعالى فإذا رأوه خرّوا سجداً، فيناديهم الحق: ارفعوا رؤوسكم يا عبادي فليس موطن سجود هنا، فما دعوتكم إلا لتتعموا بمشاهدتي.. وينظرون إلى وجهه الكريم وقتاً طويلاً إلى ما شاء الله، ثم يقول لهم الحق عز وجل: يا عبادي، فيقولون: نعم يا ربنا! يقول: هل بقي لكم شيء بعد هذا؟ فيقولون: يا رب! وما بقي لنا؟ أنجيتنا من النار وأدخلتنا الجنة، وأنزلتنا بجوارك، وألبستنا ملابس كرمك، وأریتنا وجهك، فما نطلب منك بعد هذا؟ فيقول: بقي إليكم شيء واحد. فيقولون: ما هو يا رب؟! فيقول: دوام رضاي، فلا أسخط عليكم أبداً!.

فما أحلاها من كلمة، وما ألذها من بشرى، وما أجمله من لقاء.. فمن أراد منكم ذلك اللقاء، فليؤدّ الثمن.. مهرنا غالٍ لمن يطلبنا.. فإن شئت ذلك فأدّ الثمن.. فما الثمن يا سادة؟ هل الثمن هو إضاعة الصلاة.. والمنادي! كل يوم ينادي خمس مرات: حي على الصلاة، حي على الصلاة.. أم الثمن بمتابعة المسلسلات ورؤية الفيديو كليبّات؟.. وكتاب الله على الرفوف! قد لا يتلى إلا في الأعياد الرسمية وربما في المناسبات!.. أم الثمن بالدعوة إلى تحرر المرأة حتى من سلطان زوجها، بدلاً من دعوتها إلى طاعة الله؟!.. أم بنعت أشكال الحضارة الغربية - بما فيها من ديانة، وميوعة - بالتقدم والرقي!. ونعت اقتفاء أثر الرسول ﷺ بالتخلف والرجعية؟!..

ثم يخصص تبارك وتعالى وقتاً لأهل الجنة لزيارته جل جلاله، فيأذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيحدثهم ويحدثونه، ويضحك

= وسعي - الحد الأقصى للعثور على تلك المصادر، والله على كل شيء شهيد. ولذا عكفت في هذه الطبعة على حذف رواية سيدنا علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ، التي تذكر كلمة الباري عز وجل لأهل الجنة بعدما يريهم وجه سبحانه، على أمل التحقق منها في الطبعة القادمة - بإذن الله.. فأسأله تعالى أن يثبيني بفضلته عما كسب قلبي منها، وأن يتجاوز عما عجزت عن إتيانه فيها إنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

إليهم ويضحكون له ، ويسامرهم في الحديث ، ثم يذگرهم بما كانوا يفعلونه في حياتهم الدنيا ، وكيف أنهم كانوا يذنبون فعفا عنهم وأدخلهم الجنة . . ثم بعد ذلك يتوجهون إلى سوق هو أكبر أسواق الجنة وأكثرها انبهاراً ، كان قد خصص لمثل تلك المناسبة ولكل يوم يرون فيه ربهم عز وجل .

كل هذا الكلام ليس من نسج الخيال وإنما أخذاً من حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ، ويبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دني - على كئبان المسك والكافور ، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً . قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله ، وهل نرى ربنا؟ قال : نعم . قال : هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا : لا . قال : كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة ، حتى يقول للرجل منهم : يا فلان بن فلان ، أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذکر ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول : يا رب ، أفلم تغفر لي؟ فيقول : بلى ، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه . فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ، ويقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، فنأتي سوقاً قد حفت به الملائكة ، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، فيحمل إلينا ما اشتهينا ، ليس يباع فيها ولا يشتري ، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال : فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة ، فيلقى من هو دونه ، وما فيهم دني ، فيروعه ما يرى عليه من اللباس ، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ، ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا ، فيقلن : مرحباً

وأهلاً، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه . فنقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحجُّنا، أن نقلب بمثل ما انقلبنا»^(١) . .

أخي المسلم وفي الختام، هل عرفت أين المقر؟ هناك مقرنا بإذن الله، فاصبر على طاعة الله، وجاهد النفس عن معصية الله، ولا يغرَّتْكَ غِنَى ولا سرور الذين كفروا وتقلبهم في البلاد . . فمتاعهم قليل، ثم مأواهم الجحيم، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فمأواهم النعيم، على الأرائك ينظرون إلى أهل النار ويتذكرون، كيف كانوا من الذين آمنوا يسخرون، فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون، وسيرى الذين كفروا صدق قوله تعالى وهو يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٦]..



(١) الترمذي (ح ٢٥٤٩) حديث غريب . وقال الألباني: ضعيف .

خاتمة

مر معنا آنفاً قول بعضهم: إن آيات الخسف وكذلك الدخان وقعت في الماضي ولم يبق منها شيء، وبيّنا ضعف هذا القول وخطأه، ثم عللنا ذلك بضرورة توفر شروط ثلاثة عند ظهور آية آية من الآيات الكبرى لقيام الساعة. بعدئذ خلصنا إلى القول بأنه وعلى الأرجح سيكون للآيات الكبرى عصر خاصّ بها، وسيكون هذا العصر آخر عصور الحياة الدنيا.

بالإضافة إلى ذلك، فعلى الأرجح أن يكون هناك فاصل زمني طويل يفصل ما بين عصر المهدي عليه السلام، وعصر الأمارات الكبرى، وبالتالي فإن الفترة التي تفصل ما بين ظهور المهدي ونزول السيد المسيح عليهما السلام قد تطول، وربما لعدة قرون^(١)، وحجتنا على ذلك أمران:

أولاً: أن الرسول ﷺ كان إذا حدث أصحابه عن أحداث ستقع من بعده، كان يخيل للسامع أن تلك الأحداث ستقع بعده مباشرة، وفي فترة وجيزة. . . في حين أثبت التاريخ بأنه قد يفصل بينها فترات زمنية طويلة ومثال ذلك. . . قول الرسول ﷺ: (فتح القسطنطينية. فتح رومية). فنجد أن فتح القسطنطينية

(١) ولا ينفي ذلك من احتمال تداخل حياة السيد المهدي عليه السلام، مع خروج الدجال ونزول السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، كما جاء في حديث ذكره أبو عبد الله المقدسي في (الأحاديث المختارة) (ج ٩/٧٢) (ح ٥٦) عن عبد الله بن بسر المازني قال: قال رسول الله ﷺ: «الملحمة وخروج الدجال في ست سنين». أخرجه أبو داود عن حيو بن شريح. وبالتالي لعل الساعة تكون قريباً بالفعل، ولا سيما بعدما دخلنا عصر التسارع بعد عصر السرعة، مما ينبئ بقرب خراب العالم وقيام الساعة.. والله أعلم.

تم في القرن التاسع الهجري، في حين أن رومية - وقد مضى على فتح القسطنطينية ما يزيد عن خمسة قرون - لم تفتح حتى الآن.

ثانياً: أن رجلاً سيخرج قبل آخر الزمان ليسوق الناس بعصاه، ويدعى هذا الرجل بـ (القحطاني). . فقد ورد في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان^(١) يسوق الناس بعصاه»^(٢).

وشبه القحطاني هذا في حكمه الذي سيقود فيه الناس بعصاه، بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أما المهدي عليه السلام فقد شبه بأبي بكر الصديق. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على كثرة اتباع الهوى عند الناس، وتبديلهم أوامر الله في ذلك الزمان. وربما توسط ظهور القحطاني الفترة الممتدة ما بين ظهور السيد المهدي، ونزول السيد المسيح عليهما السلام. . والله أعلم^(٣).

أما بالنسبة لقتال اليهود فعلى الأرجح سيكون مرتين؛ الأولى ربما تكون في عصر المهدي عليه السلام، والثانية ربما تكون بعد نزول السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، وقتله مع أصحابه الدجال وأتباعه من اليهود والمشركين.

وفي هذه المناسبة كثيراً ما نسمع من علماء وأساتذة الإسلام، كلما تحدثوا ليغرسوا الأمل في نفوس أبناء الأمة، ذكروا لهم الأحاديث التي تشير إلى أننا سنقاتل اليهود وسنتصر عليهم، وأن اليهودي سيختبئ حينها

(١) قحطان: قبيلة من قبائل العرب المشهورة.

(٢) البخاري (ج ٦/٢٦٠٤) (ح ٧١١٧).

(٣) كنت قد أشرت آنفاً بأن العلماء قد اختلفت آرائهم في تحديد شخصية القحطاني، وبالتالي في حال أنه كان رجلاً صالحاً، فهو يشبه بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. أما وإن كان مستبداً في حكمه، ومحارباً لله ورسوله، فلا يشبه إلا بغيره من جبابرة وفراعنة هذا العصر، ولا يجوز تشبيهه بسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

وراء الآكام والأشجار، فينطق الله الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهوديٌّ ورائي، تعال فاقتله.

وأريد أن ألفت الانتباه هنا، إلى أن هذا سيكون في عصر السيد المسيح عليه السلام؛ لأنه - وكما أسلفنا - سيكون للأفعال الخارقة للعادة - على الأغلب - عصر خاص بها، وأطلقنا عليه (عصر الأمارات الكبرى). أما قتالنا اليوم لليهود في فلسطين وفي حال استمر حتى ظهور السيد المهدي عليه السلام، فعلى الأرجح سيكون قتالاً وحراباً ليس فيها شيء خارق للعادة.. والله أعلم.

ولهذا أيضاً، كثيراً ما نسمع من يقرن - وبشكل دائم - هزيمة اليهود في هذا العصر بظهور المهدي ونزول السيد المسيح عليهما السلام، فيفهم من كلامهم هذا - وبطريقة غير مباشرة - أن السيد المهدي عليه السلام لوحده غير كفء كي يحقق الله تعالى النصر على يديه على اليهود في فلسطين. على الرغم من أن الله تعالى قد طهر بيت المقدس وما حوله من رجس الصهاينة واليهود بمن هو أقل شأناً من المهدي، كصلاح الدين. فمن باب أولى أن يجري الله تعالى النصر على يد المهدي عليه السلام، دونما الحاجة الآن لنزول السيد المسيح عليه الصلاة والسلام.. والله أعلم.

وآخر ما أودّ أن ألفت الانتباه إليه هو أننا كثيراً ما نسمع بأن المهدي عليه السلام، لا يظهر إلا بعد عودة الحياة إلى طبيعتها الأولى وكما كانت في زمن النبي محمد ﷺ، وبعدها تتوقف كل وسائل ومقومات الحياة العصرية، من طاقة، وكهرباء، وإلكترونيات.. إلخ. وكذلك الدجال، حيث أشرنا من قبل إلى إمكانية خروجه في هذا العصر. أما بالنسبة للمهدي عليه السلام فحينما نرفض فكرة ظهوره في عصر كهذا الذي يعج بالمبتكرات الغربية، والاختراعات.. إلخ فهذا إقرار منا - وبطريقة غير مباشرة - بأن الإسلام غير صالح لكل زمانٍ ومكان.. فينبغي على كل مسلم التأهب لظهور السيد المهدي عليه السلام، أو أيّ آية من الآيات الكبرى لقيام الساعة في كل زمانٍ ومكانٍ أيضاً..

وربما عزيزي القارئ تتساءل، أو قد يساورك الظن بأن هناك تناقضاً بين النتيجة التي خلصنا إليها من احتمال تأخر قيام الساعة إلى عدة قرون، أو أكثر، وعنوان الكتاب الذي انتقيته من الآية الكريمة: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وردّاً على ذلك أقول: إذا كان الله تبارك وتعالى قد أخبرنا في نص الآية السابقة بقرب قيام الساعة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، أفلا يحق لنا وبعد كل هذه المدة أن نقول بأن الساعة قد اقتربت؟..

غير أنك عزيزي القارئ قد تتساءل أيضاً: ما المقصود إذاً بقول الله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ وها هو قد مضى على قوله تعالى عشرات القرون، والساعة لم تقم حتى الآن؟

في هذه الحالة لا شك أن قربها يقاس على عمر الكون الذي توصل إليه العلماء على أنه يقدر بـ (١٣,٥) مليار سنة. وبالتالي لو بقي ألف عام، أو عدة آلاف على قيام الساعة منذ نزول الآية السابقة؛ لكان ذلك قريباً قياساً مع عمر الكون. ولو أننا حسبنا النسبة المئوية لتلك المدة من عمر الكون؛ لوجدناها: ٠,٠٠٠٠١٪!!! تقريباً!! ألا تشير هذه النسبة إلى أن الساعة قد اقتربت بالفعل؟

فضلاً عن أن كل ما هو آت قريب، فإن كان قد مضى على عمر الكون تلك الفترة التي قدرت بمليارات السنين، فهل ستستطيل الأعوام القليلة الباقية ولا تقوم الساعة مثلاً؟

وفي الختام: فإن أكرمنا الباري عز وجل بأن نحيا في عصر عبده المهدي عليه السلام، فسأوجز وأكرر النصائح التي وصّى بها الرسول ﷺ أبناء أمته منذ ذلك العصر، وقد ارتأيت تعدادها - عسى ولعل - أن تكون أبلغ في المقصود:

١- يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن قامت الساعة، وبهد أحدكم فسيلةً، فإن استطاع، أن لا يقوم حتى يغرسها، فليفعل»^(١). فإذا سمعت أخي المسلم نبأ ظهوره عليه السلام، فلا يعني هذا أن تهجر الأرض والمدرسة، أو تهرب من متجرك لتتفرغ إلى بيوت الله وقراءة القرآن، ظناً منك أنها الوسيلة الوحيدة لعبادة الرحمن، إذ عليك الانقياد بمنهج القرآن وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام منذ الآن، وإلى أن تتلقى البشرى نبأ ظهوره عليه السلام.

٢- الفرار من الفتنة على نهر الفرات، وعدم الاشتراك في القتال الذي سيكون بين الأمراء الثلاثة وهم يتقاتلون على كنز من ذهب، (وقد يكون هذا الكنز - كما أسلفنا - إما ذهباً أصفر، أو ذهباً أسود).

ومن أمارات تلك الفتنة؛ أن كلاً من الأمراء الثلاثة سيكون ابناً لأمير سابق. والقتال هذه المرة سيكون لأجل الدنيا لا للأخرة، وبالتالي الكل مغلوب في النهاية - كما هو الحال في كل قتال لا يراد به إعلاء كلمة الله - وكما جاء في الحديث الصحيح: «فيقتل عليه الناس، فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون، يا بني فإن أدركته فلا تكونن ممن يقاتل عليه»^(٢).

٣- على الرايات السود حين عبورها بلاد فارس (إيران حالياً) أن تنزل وقت الشدة مدينة مرو، إذ كما جاء في الحديث: «ستكون بعدي بعوث كثيرة، فكونوا في بعث خراسان، ثم انزلوا مدينة مرو»^(٣).

٤- الالتحاق بالرايات السود ونصرتها وهي في طريقها إلى إيلياء

(١) أحمد (ج ٣/ ١٩١) (ح ١٢٩٨١) إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) مسند أحمد (ج ٢/ ٣٣٢) (ح ٨٣٨٨) حديث صحيح.

(٣) مسند أحمد (ج ٥/ ٣٥٧) (ح ٢٣٠١٨) إسناده ضعيف.

لتحرير بيت المقدس، كما جاء في الحديث التالي أيضاً: «..ثم إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان، فأتوها ولو حبواً، فإن فيها خليفة الله المهدي»^(١). وعن الحسن رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ ذكر بلاء يلقاه أهل بيته، حتى يبعث الله راية من المشرق، سوداء من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله الله»^(٢).

٥- عدم الخروج مع الجيش الذي سيخرج من بلاد الشام قاصداً المهدي عليه السلام إذ سيخسف بمن فيه عن بكرة أبيهم. . ومع أن النبي ﷺ كان قد حذر من الخروج مع هذا الجيش تحذيراً شديداً، فإن جلّ شباب الأمة اليوم أصبح لا يكثر بتلك النصائح ولم يعد يصدق بحدوثها من جهة، ومن جهة أخرى لجنبه في ائتماره لنصائح نبيه ﷺ، وعدم الطاعة إذا هو أجبر على الخروج مع ذلك الجيش لقتال المهدي عليه السلام، وأنصاره من الرايات السود. لذلك فإن في هذا الجيش من سيخرج جبراً لا مختاراً كما ورد في حديث أخرجه أحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «بينما رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، إذ احتَفَزَ^(٣) جالساً، وهو يسترجع^(٤)، فقلت: بأبي أنت وأمي، ما شأنك يا رسول الله تسترجع؟ قال: جيش من أمتي، يجيئون من قبل الشام يؤمّون البيت، لرجل يمنع الله منهم، حتى إذا كانوا بالبيداء من ذي الحليفة، خسف بهم، ومصادرهم شتى. فقلت: يا رسول الله، كيف يخسف بهم جميعاً ومصادرهم شتى؟ فقال: إن منهم من جبر، إن منهم من جبر، ثلاثاً»^(٥).

٦- أيضاً عدم الانضمام إلى البعث الذي سيخرج من المدينة غازياً

(١) المستدرک علی الصحیحین (ج ٤/٥٤٧) (ح ٨٥٣١) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الفتن لعنيم بن حماد (ج ١/٣١٣) (ح ٩٠٤).

(٣) احتفز: فزع.

(٤) يسترجع: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٥) أحمد (ج ٦/٢٥٩) (ح ٢٦٢٢٧) قال الهيثمي في المجمع (ج ٧/٣١٦): ورجاله ثقات.

المهدي عليه السلام، كما جاء في الحديث: «ثم ينشأ رجل من قريش، أخواله كلب، فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب»^(١).

(٢)

-
- (١) أبو داود (ج ٤/١٠٧) (ح ٤٢٨٦) وصححه الحاكم وابن القيم في (المنار المنيف) (ص ١٤٥) (ح ٣٣١) قال: الحديث حسن، ومثله مما يجوز أن يقال فيه: صحيح.
- (٢) أخرج مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (ح ١٥٩). وها أنا ذا أوجه نداءً أناشده به الشيخ أسامة بن لادن، والملا عمر، وعامة الحركات والتنظيمات الجهادية، في أن ينقادوا لوصايا الرسول ﷺ، وأن يتحروا عدم اجتراح الشبهات أثناء وضع أجندة الجهاد لديهم. فهم أولى من غيرهم بالالتزام بتلك الوصايا وتجنب قتل الأبرياء والمستضعفين من الناس، حتى وإن كانوا من غير المسلمين، وحتى لو كان من وراء قتلهم نيلٌ من أعداء الأمة.
- فكيف إذاً نقدم - وبمحض إرادتنا - على تدمير منشأة، أو مقرٍّ - مهما كانت صفته - =

= ويكون ذلك المقر أو المنشأة في دولة إسلامية كالمملكة العربية السعودية، التي لا زالت ومنذ عصر النبوة بيت السادن الذي يحفظ لهذه الأمة تراثها وثقافتها الإسلامية.. وكيف سيكون الحال إذا ما تم - لا قدر الله - زعزعة الأمن فيها؟ إن ذلك وبدون أدنى شك سيجعل المملكة عراقاً ثانية تنهب جلّ حضارتها بما تحتويه من علوم، ومعارف، وعتاد، واقتصاد.. إلخ. فهلا أعاد الشيخ أسامة بن لادن - وإخواننا المجاهدون في كل أصقاع الأرض - النظر في تحديد الخطوط التي نهانا رسول الله ﷺ عن تجاوزها أثناء الجهاد وإرهابنا للعدو.. فلا شك حينها بأنه وبقدر امتثالنا لتلك الوصايا سيُعجّل لنا النصر - بإذن الله - .

الأ ينبغي علينا أن نتخذ من رسول الله ﷺ أسوة حسنة، ولا سيما في حرصه الشديد على ألا يوصم الإسلام بالإرهاب، وذلك عندما نهى عن قتل زعيم المنافقين عبد الله بن أبيّ بعدما قال مقالته المشهورة: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال له النبي ﷺ: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه». البخاري (٤٥٢٥). أليس في هذا الحديث ما يشير إلى أن الرسول ﷺ كان أيضاً يهيمه رأي المجتمع الدولي في الإسلام! وبالتالي حرصه ﷺ على أن لا يلصق بهذا الدين سمة ليست فيه كسمة الإرهاب، التي هي من أشنع ما يشوه أيّ فكر، أو ثقافة أمة من الأمم.

أما التغيير الجذري لحال الأمة فلا يكون إلا بمشيئة الله وحده، وبمدى انقيادنا لوصايا نبينا عليه الصلاة والسلام. لا بالأخذ بالشبهات كي نبرر لأنفسنا بعض وسائل الجهاد التي أصبحت تسيء للإسلام والمسلمين أكثر من عدوهم، ولناتمر بقول النبي ﷺ: «سترون أموراً تنكرونها، فعليكم بالصبر، ولا تغيروا، ولا تقولوا: نغير، حتى يكون الله تعالى هو المغير». شعب الإيمان للبيهقي (٦/٦٣).

هذا وإن الله عزّ وجلّ إذا أراد تغيير حال الأمة سخر لذلك جنداً من جنده، والتي لا تستطيع كل الحركات الإسلامية وعلى رأسها تنظيم القاعدة أن تفعل فعلهم.. ﴿وَمَا يَكْفُرُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].. فمثلاً يخسف الله بعدوه الأرض إن شاء ومتى يشاء، أو يغرقهم كما أغرق فرعون وجنوده، أو يمطر عليهم حجارة من سجيل.. وما ذلك على الله بعزيز! وخير ما أستدل به على ذلك هو ما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، أن النبي ﷺ قال «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيباعدونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من أهل الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة،....». أبو داود (ح ٤٢٨٦).

وبالتالي يدلل هذا الحديث على أن التغيير حتى في زمن المهدي عليه السلام ستتدخل فيه المشيئة والقدرة الإلهية لإحداثه، وذلك بالخسف الذي سيطال الجيش القادم من بلاد الشام لقتال المهدي عليه السلام، وأما المهدي وأنصاره فما عليهم إلا أن يمثلوا ويتقادوا لوصايا الرسول الكريم ﷺ أثناء سلمهم وجهادهم.

من أجل ذلك أظن بأنه أن الأوان لكي يغير الشيخ أسامة بن لادن أجنדתه وخطابه مع جميع تلك الحكومات، وأن يعلن فيهما توقف كل العمليات الجهادية داخل أي دولة إسلامية أو غير إسلامية ما دامت تلك الدولة ليست في موقع اعتداء على أي بلد من بلاد العرب والمسلمين.. وأن يتبرأ من الآن فصاعداً من تحمل أي مسؤولية في أية عملية قد تستهدف منشآت، أو أفراد، أو حتى قوات معادية في داخل أي دولة غير معادية لنا؛ لأن في ذلك نكثاً للعهد والمواثيق التي كان رسول الله ﷺ أشد الناس حرصاً وحفاظاً عليها، هذا ما لم يكن نكث العهد أحد من تلك الدول المعاهدة.

فكما أننا لا نقبل من أية دولة أوروبية مثلاً أن تقوم بتعطيل أية منشأة، أو مؤسسة لدولة معادية لها، إذا كانت تلك المؤسسة أو المنشأة مقامة على أرضنا، فكذلك يجب أن لا نقبل لأنفسنا بأن نقوم بتخريب أية منشأة أو مؤسسة تابعة لأي دولة معادية لنا (أمريكية أو حتى صهيونية) إذا كانت تلك المؤسسة أو المنشأة مقامة على أرض دولة غريبة هي في حالة سلم وأمن معنا.

لذا ينبغي علينا جميعاً وعلى فضيلة الشيخ أسامة بن لادن، وإخواننا من كافة الحركات الإسلامية، أن نعلن توبتنا، وأن نستغفر الله عز وجل لهدر دم كل امرئ مسلم أو غير مسلم، إن كان قتل بغير حق أو بغير قصد منا.. إنه غفار رحيم.

كما أرجو من فضيلة الشيخ أسامة بن لادن أن يوجه كلمته الطيبة لحكام العرب والمسلمين، ولأمراء المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، معلناً فيها بأنه وفي حال عودته إلى ربوع الوطن سيعتبر نفسه جندياً ينفذ الأوامر ويطيع ولاة الأمر حتى وإن كان منهم ظلمة، وفي الوقت نفسه سيبقى صوته جهورياً بكلمة الحق لكشف المؤامرات وفضح الفساد في أي بلد من بلاد العرب والمسلمين.. لكن دون استخدام السلاح، أو رفعه في وجه أخيه المسلم كائناً من كان، إلا بحق الله وانقياداً لوصايا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. ولا شك حينها بأنه سيضع عدوه الأول - الولايات المتحدة الأمريكية - في زاويته الحادة والخرجة جداً، ويزول ذاك الخوف الذي كان يجبر أنظمتنا العربية، والأنظمة الأجنبية كذلك على الانصياع لما كانت تمليه عليهم الولايات المتحدة الأمريكية.. وإني على ثقة بأن الحكام العرب والمسلمين، وعامة الحركات والفصائل والأحزاب غير الإسلامية أصبحت أحوج ما تكون في هذه =

= الأيام إلى أن تضع يدها بيد الحركات الإسلامية، وذلك في حال ضمنت لها تلك الحركات في أجندتها المساواة في الحقوق والواجبات مع بقية أفراد الوطن والأمة. ولأن تلك الأنظمة أصبحت تدرك تماماً بأن الحركات الإسلامية وزعماءها - بالرغم من تشدد البعض منهم في كثير من الأمور - إن أعطوا عهداً فلن يغدروا ولن يخونوا ذلك العهد أبداً، وتعلم علم اليقين بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي ستغدر بهم وبنا يوماً ما، ويشهد على ذلك حاضرها وماضيها بأنها ما صانت العهد مع أحد من ذي قبل، ولن ترضى الولايات المتحدة الأمريكية بأن تستقيم الدبلوماسية والسياسة لديها من دون خيانة حتى مع أعز حلفائها (المملكة المتحدة)..

وعلى الشيخ أسامة بن لادن أن يعلن في كلمته تلك، أن ما يملكه من قوة ومن رباط الخيل أصبح مجنداً لظعن العدو وتلقيه الضربات الموجعة على أرضه وفي ديار المسلمين حيثما وجد، دفاعاً عن الأمة، وعن المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، وذلك بالاتفاق مع ولاية الأمر لتلك الديار، ومن دون اتفاق في حال كانت الضربات في ديار العدو، أو في إحدى مستعمراته وأماكن نفوذه؛ كفلسطين والعراق.

كما ينبغي على أمراء المملكة وحكام العرب والمسلمين قبول هذه الدعوة من الشيخ أسامة بن لادن، وأن لا يكابروا برفض هذه المبادرة - في حال استجاب لها فضيلة الشيخ - وأن لا يتذرعوا بما قد ارتكب من أعمال إرهابية (حسب وصفهم هم). فما حدث بين الصحابة - ولاسيما بين علي ومعاوية، وبين علي وعائشة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - أعظم بكثير مما قد اعتبر في ظن البعض إرهاباً، ولا يجوز إصلاحه إلا بالعقوبة! في حين أن الحسن سلام الله عليه - ولدرة الفتنة - ذهب إلى معاوية رضي الله عنه وباعه على خلافة الأمة بعد استشهاد أبيه علي كرم الله وجهه.. وحينما أحس معاوية بالخطر الداهم على دولة المسلمين من قبل ملك الروم بعدما بلغه أنه اقترب من الحدود في جنود عظيمة مستغلاً الخلاف الذي بينه وبين علي رضوان الله تعالى عنهما، فكتب إليه يقول: (والله لئن لم تنتهي وترجع إلى بلادك لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيغن عليك الأرض بما رحبت)..

فينبغي على أمراء المملكة خاصة، وحكام العرب والمسلمين عامةً حينما توجه إليهم مثل هذه الدعوات التي ترمي بالدرجة الأولى إلى إصلاح ذات البين، أن لا يترددوا لحظة واحدة في الاستجابة لها وإطلاق سراح كافة المعتقلين والسجناء؛ لأن في ذلك تضويد للجرح الذي ينزف ويكبر كلما تغاضينا عنه وأهملناه..

.....

=

كلمة شكر

لم يسهّل علي إنهاء صفحات الكتاب قبل أن أسجل مواقف بعض الرجال الذين وقفوا معي وقفاً ربما لم تكن أقل جرأةً ونبلاً ممن كانوا أكثر قرباً وصحبةً مني، وأخص بالذكر سيادة العميد الركن إسماعيل سيفو؛ ذلك الرجل المثقف الذي أشرت إليه في مقدمة هذه الطبعة الجديدة، ومعبراً من خلال هذه الإشارة عن خصلةٍ واحدة، من خصالٍ كثيرةٍ رأيتها فيه قد يعجز قلّمي عن وصفها. وذاك الآخر؛ الرجل المتواضع في مركزه وحياته الاجتماعية، لكنه كان أسداً بكل معنى الكلمة في ذوده ودفاعه عن حرية الفكر، ولوعته لاتساع ساحة التعبير عن الرأي، وتقبله من الآخر.. إنه ابن عمي السيد حسين علي رحمة (أبو نوار) الذي آزرني هو وعائلته رغم صغر سن البعض منهم..

فيا حسرةً على الذين تخندقوا في خندق المواجهة، والظعن في من أخوة الدين خاصةً، بينما كنت حينها بأمس الحاجة لنصرتهم لي ولو بكلمةٍ طيبةٍ.. يا حسرة علي أولئك الذين ما إن هبت رياح أوهمتهم بعاصفةٍ هوجاء ستقطّعي إرباً إرباً، إلا ورأيتهم هرعوا إلى الملاجئ يترقبون ما ستسفر عنه الأحداث.. ويا حسرةً على أولئك الذين ما فتئوا يقولون لي: إن الناس قد جمعوا لك فاخشهم.. فيتسارعون فيهم خشيةً على أنفسهم من أن تصيبهم دائرة أخرى، وغفلوا عن أن الله الذي بيده الأمر كله قد يأتي بالفتح، أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين.. وجزى الله خيراً كل من وقف إلى جانبي فناصرني ولو بكلمةٍ حق واحدة.. وكنت أتمنى أن أذكرهم فرداً فرداً بأسمائهم، لولا أنني سأقع في حرج كبير إن نسيت واحداً منهم، أو تجاهلت البعض لظني بأن وقفهم تلك لم تكن

غيرة في الله علي، ولا لإثبات نجاحي من جديد بل كانت أحياناً من باب الشفقة، وكانت وقفة البعض الآخر تحقيقاً لمآرب أخرى، أو ربما بغضاً للطرف الآخر.

ويا أسفاً على أولئك الذين أطلقوا العنان لحفنة من مأرب دفينه، فتكشفت نفوسهم عن أسبقيات من التشرذم والإسفاف، طهر الله نفوسنا من جميع أدرانها بالمغفرة والتقوى، وجندنا للعمل على نجاح كل مشروع فكرياً كان أم مادياً، إن كان يهدف بالدرجة الأولى ليكون لبنةً تبنى في بناء حضارة الأمة من جديد.. لبنة في بناء الإنسان السوي العاقل، من حيث هو كائن يظل تواقاً بفطرته لحنيفيته السمحة.. كم أصبح القارئ اليوم يشقى ويتعب في البحث عن كتاب يجد فيه كلمة طيبة تخرج من القلب، لكي تقع في القلب.. لا كلمة تخرج من اللسان، وإذا هي لا تتجاوز الأذان.. يريد كلمة تنبض بأحزان وأتراح الأمة، ومعبرة عن حالها بكل واقعية وجراءة.. لا كلمة تريد أن تُظهر مدى ثقافة قائلها وفصاحة كاتبها.. يريد كلمة يعيها العالم والمتعلم.. والكبير والصغير.. والأبيض والأسود.. لا كلمة مزركشة بزّي الفلسفة والعلمنة.. وإذا هي في الوقت نفسه تحتاج إلى ترجمة..

وفي الختام؛ لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أدلى بملاحظاته، أو قدم لي العون ولو بكلمة واحدة في إعداد هذا الكتاب، وأخص بالذكر فضيلة الشيخ الدكتور أحمد بدر الدين حسون.

كما لا أنسى أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور سمير عبد الحلّيم، لإتاحتي الفرصة للاستعانة بمراجعته العلمية، راجياً من المولى عز وجل أن يكتب ذلك له في صحائف أعماله.

وإلى كل العاملين في وزارة الإعلام والجهات المعنية الأخرى، أشكرهم شكراً جزيلاً لمنحهم الموافقة لي على نشر الكتاب، دون شطب أية كلمة، أو رأي منه، تقديراً للكلمة وحرية التعبير عنها..

وأخيراً؛ فإني أستحيي أن أتوجه إلى المولى عز وجل بالدعاء له أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وقد رضيت لنفسي أن أنال في هذه الدنيا الفانية قسطاً من الأجر والثواب، ثمرة لتعبي في إعداد هذا الكتاب. وإنما أدعو الله تعالى أن يهدي بكتابي هذا ولو كان رجلاً واحداً، يكون ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا ميزان، فيكون شافعاً لي في الآخرة فيدخلني معه الجنة بغير ميزان ولا حساب..

اللهم اجعلني يوم القيامة شافعاً لوالديّ، وأدخلني معهما الجنة بغير حساب.. اللهم شفّعي فيمن أحبك من أهلي، ومن تحب.. وارزقنا يا ربنا حبك، وحب من أحبك.. وآخر دعوانا، أن الحمد لله رب العالمين..
والصلاة والسلام على شافعنا وقرّة أعيننا، محمد ﷺ، وعلى آله، وأصحابه الغر الميامين..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أسامة يوسف رحمة

٥/ رجب/ ١٤٢٣

١١/ أيلول/ ٢٠٠٢

تم بعونه تعالى الانتهاء من إعداد

الطبعة الجديدة والمنقحة

بتاريخ: ١١/ صفر/ ١٤٢٦ هـ

الموافق: ٢١/ آذار/ ٢٠٠٥ م

مراجع البحث

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري: دار الفيحاء دمشق، الطبعة الأولى.
- صحيح مسلم: دار الفيحاء دمشق، الطبعة الأولى.
- سنن أبي داود: دار الفيحاء دمشق، الطبعة الأولى.
- سنن الترمذي: دار الفيحاء دمشق، الطبعة الأولى.
- سنن ابن ماجه: دار الفيحاء دمشق، الطبعة الأولى.
- سنن النسائي: دار السلام الرياض، الطبعة الأولى.
- سنن الدارمي: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى.
- مسند الإمام أحمد: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية.
- الرياض النضرة للطبري: دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى.
- فضائل الصحابة للإمام أحمد: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى.
- الأوسط للطبراني: دار الحرمين القاهرة.
- صفوة التفاسير للصابوني: دار الفكر بيروت.
- فتح الباري للعسقلاني: دار المعرفة بيروت.
- مجمع الزوائد للهيتمي: دار الريان للتراث القاهرة.
- المعجم الكبير للطبراني: مكتبة العلوم والحكم الموصل.
- الفتن لنعيم بن حماد: مكتبة التوحيد القاهرة، الطبعة الأولى.
- الجامع الصغير للسيوطي: دار طائر العلم جدة.
- المستدرک على الصحيحين للحاكم: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.
- الإشاعة لأشراط الساعة للشهرزوري: دار النمير دمشق، الطبعة الثانية.
- حلية الأولياء لأبي نعيم: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة.
- فيض القدير للمناوي: المكتبة التجارية الكبرى مصر، الطبعة الأولى.

- سير أعلام النبلاء للذهبي: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة التاسعة.
- تفسير الطبري: دار الفكر بيروت.
- الفردوس بمأثور الخطاب للدليمي: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.
- التذكرة للقرطبي: دار المنار القاهرة.
- صحيح ابن حبان: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية.
- الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني: للدكتور سمير عبد الحلیم مكتبة الأحباب دمشق، الطبعة الأولى.
- الجهاد كيف ندرسه وكيف نمارسه: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- مصنف ابن أبي شيبة: مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى.
- تفسير ابن كثير: دار الفكر بيروت.
- شعب الإيمان للبيهقي: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.
- الأحاديث المختارة لأبي عبد الله المقدسي: مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة، الطبعة الأولى.
- الدر المنثور للسيوطي: دار الفكر بيروت.
- الجامع الصغير للألباني: المكتب الإسلامي بيروت.
- البداية والنهاية لابن كثير: دار أبي حيان القاهرة.
- المنار المنيف لابن قيم الجوزية: مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، الطبعة الثانية.
- حاشية ابن عابدين: دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية.
- مصباح الزجاجة للبوصيري: دار العربية بيروت، الطبعة الثانية.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية.



